

الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الترادف والتشابه في النظم القرآني

دراسة أسلوبية

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

معين مصطفى خليل الفار

إشراف الأستاذ الدكتور :

محمد شعبان علوان

أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني بالجامعة الإسلامية

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

العام الجامعي

١٤٢٥ - ٢٠٠٤م

جامعة الإسلامية - تجربة قسم الدراسات المعاصرة



مكتبة الجامعة الإسلامية - غزة
المجموعات الفاصلة
التاريخ: 25-05-2004
الرقم العام: ١٢٦٥٨٦٥
رمز التصنيف: ٢٢٥



برهان الدين

جامعة الإسلامية - غزة
THE ISLAMIC UNIVERSITY OF GAZA

هاتف داخلي 1150

الرقم: ج. س. خ/35/.....
Date 2004/04/14.....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث معين مصطفى خليل الفار المقدمة لكلية الآداب لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب قسم اللغة العربية تخصص الأدب والبلاغة والنقد.

الترادف والتشابه في النظم القرآني - دراسة أسلوبية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 7 ربيع أول 1425هـ الموافق 27/4/2004م

الساعة 1 ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	أ.د. محمد علوان
.....	مناقشًا داخلياً	أ.د. نعمان علوان
.....	مناقشًا خارجيًا	أ.د. سليمان أبوعزب

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية الآداب قسم اللغة العربية تخصص الأدب والبلاغة والنقد.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،

عميد الدراسات العليا

٤٢٨

أ.د. أحمد يوسف أبوحلبة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
الْحُكْمُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ

الإمام

- إلى والدي - رحمه الله - الذي حبّب إلى العلم.
- إلى أمي - حفظها الله - التي لا تفارقني دعواتها.
- إلى عذابات أخي أيمان في سجنـه ...
- وإلى زوجتي وأولادي: مصطفى وإيمان.
- ضحوا بكثير من حقوقهم على
في أثناء إعداد هذا البحث.

معین

شكر وتقدير

١

أتقدم بتقديري وشكري إلى أستاذِي الدكتور
محمد شعبان علوان

مشرفي ... الذي لم يبخل على بنصائحه وتوجيهاته ... ومنعني
كثيراً من وقته وجهده ... ووفر لي بعض ما احتجته من مراجع ...
فجزاه الله خيراً ... وأدامه ذخراً للعلم وطلابه .

معين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلي آلـه وصـحبـه
أجمعـين، وبـعـد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم، وحبله المتين، وهو كتاب هداية وإعجاز، اجتمعت فيه عناصر الإعجاز في جوانبه المختلفة، واكتملت فيه وسائل الدعوة والإقناع، فكان نوراً وبرهاناً للعالمين.

والقرآن الكريم عربي المبني فصيح المعنى، وقد اختار الله تعالى لكتابه أفسح اللغات، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف: ٣)، وقال تعالى: ﴿نَزَّلَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ النَّذِيرِينَ يُلْسِانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥)، وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوْجٍ لَّعَلَّهُمْ يَسْعَونَ﴾ (الزمر: ٢٨).

ومن الراجح أن اللغة العربية أقدم اللغات على الإطلاق كما بينت الدراسات الحديثة، وأنها اللغة التي علم الله بها آدم الأسماء كلها، وهي لغة الجنة.

وقد عبر الإمام أبو منصور الشعالي (ت ٤٢٩هـ) عن هذه اللغة أبلغ تعبير، فيقول في مقدمة كتابه الشهير "فقه اللغة وسر العربية": من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم -، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضليتها العرب والجم، ومن أحب العربية عنى بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - خيرُ الرسل، والعرب خيرُ الأمم، والعربية خيرُ اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفهّم في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد.

وهذه دراسة سميتها "الترادف والتشابه في النظم القرآني - دراسة أسلوبية" ، وهي تبحث في بلاغة التعبير القرآني، وجمال تصويره، وبراعة نظمها.

وسبب اختياري لهذا الموضوع مبني على دوافع عدّة ، منها:

أولاً- في أثناء دراستي العليا في الجامعة الإسلامية بغزة لفت انتباهي كثيراً للأساليب البلاغية البارزة في النظم القرآني، وقد بدا واضحاً أن بعض هذه الأساليب لا بد أن تدرس دراسة علمية تبين خصائصها وأهدافها.

ومما زاد تمسكي بهذا الموضوع ما أكرمني الله به مشرفي الأستاذ الدكتور "محمد شعبان علوان" المشهور بأبحاثه المتعلقة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم، وقد أفادتني أبحاثه في وضوح صورة الموضوع ومعالمه، كما أفادني كثيراً بتوجيهاته البناءة ، فجزاه الله كلَّ خير.

ثانياً- إن الدافع الثاني يتعلق بالدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع، وبعد البحث تراءى لي أن هذا الموضوع لم يدرس دراسة علمية متخصصة ، وأغلب الدراسات التي لها علاقة بالموضوع - وهي كثيرة- لا تعطيه حقه من الدراسة والتحليل، حيث تم تناوله في الدراسات القديمة كمباحثات ضمن كتب لم تفرد لهذا الموضوع وحده.

أما الدراسات الحديثة - في حدود علمي - فمنها ما يهتم بالترادف في اللغة بشكل عام، ومنها ما يهتم بالتنظير للترادف، وأثر الفروق اللغوية في تفسير القرآن الكريم، وبعضها يتضمن مسائل بلاغية لها علاقة بالموضوع- معتمدة على سوق بعض الشواهد القرآنية؛ للتأكد على الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

وبالتالي فإن الموضوع في حاجة لأن يخرج في دراسة خاصة، فـي ثوب جديد، وبوجهه جديد.

ثالثاً : ما لهذا الموضوع من إقبال العامة والخاصة.

وأسأل الله أن أقدم دراسة تتصف بالموضوعية؛ ليستفيد منها الباحثون، ولتضييف لبنة إلى صرح المكتبة العربية الإسلامية.

وقد اعتمدت في البحث على منهج متكامل مستفيداً من المنهج التاريخي، والأدبي التحليلي، مع التركيز على المنهج الأسلوبي، حيث كانت النصوص القرآنية المفتاح الحقيقى للوصول إلى الحقيقة.

وبهذا المنهج قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

تناولت في القسم الأول من التمهيد مفهوم النظم القرآني لغة واصطلاحاً، والنظم قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني، وأثر نظم الجرجاني في الباحثين ودراساتهم.

أما القسم الثاني من التمهيد فتناولت فيه مفهوم الأسلوب والأسلوبية، وجدور الظاهرة الأسلوبية في التراث العربي

وخصصت الفصل الأول بدراسة مفهوم الترادف والتشابه، وتناولت العناصر التالية:

الترادف لغة واصطلاحاً ، واختلاف آراء العلماء في الترادف، ومفهوم التشابه ، وتقسيم المتشابه.

وخصصت الفصل الثاني بدراسة الترادف في النظم القرآني بين المؤيدین والمعارضین، وقد أبرزت فيه آراء العلماء القائلین بالترادف ، وآراء العلماء المانعين له في النظم القرآني.

وتناولت في الفصل الثالث، "الترادف في النظم القرآني"، ودرست فيه تأكيد المترادفات، وعطف المترادفات، وترادف الأسماء، وترادف الأفعال، وقد سقت مجموعه كبيرة من النصوص القرآنية.

وخصصت الفصل الرابع بدراسة التشابه في النظم القرآني، وتناولت العناصر التالية: التكرار وأنواعه ، وتكرار الكلمات ، والتشابه والاختلاف، وتكرار المقاطع، وتشابه الآيات، وتشابه الأساليب ، وقد سقت أيضاً - مجموعه كبيرة من النصوص القرآنية.

وختمت البحث بخلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد جعلت فهرساً للآيات القرآنية الكريمة، مرتبة حسب ترتيب سورها في المصحف الشريف، مشيراً إلى أماكن ورودها في صفحات البحث.

وألحقت ذلك بفهارس أخرى للأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار، والأعلام ، والكتب الواردة في صفحات البحث.

وقدمت بفهرسة مصادر البحث ومراجعه، وقد اعتمدت في ترتيبها حسب الأحرف الهجائية.

وختمت ذلك بفهرس الموضوعات مرتبة حسب ورودها في البحث أيضاً.

أما مصادر البحث ومراجعه فقد تتنوع بين القديم والحديث، فاستفادت من الدراسات البلاغية واللغوية والأدبية والنقدية، وكان لكتب علوم القرآن النصيب الأوفر في البحث، واستفادت كثيراً من كتب التفسير وبخاصة تلك التي تعنى بالمادة البلاغية، كما استفادت أيضاً من بعض الرسائل الجامعية والدوريات التي لها صلة ببعض موضوعات البحث.

ومع ذلك فلست أزعم أنني أحطت بالموضوع من كل جوانبه، وإنما حسي أن يكون خطوة على الطريق، فإن وقفت في هذا فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان. وختاماً : أسأل الله العظيم أن يكون عملي المتواضع هذا خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

أولاً - مفهوم النظم القرآني

مفهوم النظم القرآني

قبل تتبع الآراء التي وردت حول مفهوم النظم في الدراسات اللغوية والنقدية والبلاغية والآراء التي تناولت مهمته ووظيفته في الأساليب اللغوية العربية ، وفي الأسلوب القرآني خاصة، يجب تحديد مفهوم واضح للنظم .

كما أنَّ معرفة طبيعة النظم من الوجهة النظرية يساعد على الكشف عن أصول نظرية النظم في التراث العربي . ولتحديد طبيعة النظم لابد من تحديد معنى النظم في اللغة .

النظم لغة :

جاء في معاجم اللغة ، أن النظم : " أصل يدل على تأليف شيء " ^(١) ، وأطلق ليدل على " نظم الخرز وغيره ، ونظم ينظم نظاماً ونظاماً ، ونظم تنظيماً ، والنظم كواكب في السماء تسمى النظم ، وهي من نجوم الجوزاء " ^(٢) . وقال الزمخشري : " نظمت الدر ونظمته ، ودر منظوم ومنظم ، ومن المجاز : نظم الكلام ، وهذا نظم حسن ، وانتظم كلامه وأمره ، وليس لأمره نظام ، إذا لم تستقم طريقة " ^(٣) .

وجاء في القاموس المحيط : " النظم : التأليف ، وضم شيء إلى آخر ، ونظم المؤلَّف ينظمه نظاماً ونظاماً، ونظمته: ألفه وجمعه في سلك فانتظم . والمنظوم : الجماعة من الجواب ، وثلاثة كواكب من الجوزاء والثريا والدبران " ^(٤) .

وفي لسان العرب " النظم : التأليف ونظمه ينظمه نظاماً ونظاماً ، ونظمت المؤلَّف : أي جمعته في السلك ، والتنظيم مثله ، ومنه نظمت الشعر ، ونظمته ، ونظم الأمر على المثل . وكل شيء قرنته بأخر ، أو ضمت بعضه إلى بعض ، فقد نظمته " ^(٥) .

جاء في المعجم الوسيط : يقال : " رمى صيداً فانتظم ساقيه برمج ، وهذان البيتان ينتظمهما معنى واحد . وتتاظمت الأشياء تضامت وتلاصقت ، ويقال : تناظمت الصخور ،

(١) فارس، أحمد بن: معجم مقاييس اللغة، تج . عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ٤٤٣/٥ .

(٢) البصري، ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف- حيدر آباد، ط١، ١٢٥/٣ هـ ، ١٣٤٥هـ .

(٣) الزمخشري، جار الله: أساس البلاغة، تج. عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت/ ٤٦٣، ١٩٧٩م .

(٤) الفيروز أبادي ، مجد الدين : القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، ١٨٢/٤ .

(٥) المصري ، ابن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٩م مادة (نظم) ، ١٤ / ١٩٦ .

و تنظم الشيء : انتظم ، والإنظام : كل خيط نظم خرزاً ، والأنظومة : الإنظام ، والجمع أناظيم ، والنظام: الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره، والترتيب والاتساق. ويقال : نظام الأمر : قوامه وعماده ، والطريقة .

يقال : ما زال على نظام واحد . ومن البيوض : إنظمها . ويقال : جاء نظم من جراد : صف منه ، ومن الرمل إنظمه ، والجمع نظم وأنظمة وأناظيم ^(١) وهذا فإن النظم مرتبط بتأليف الأشياء ولا سيما بنظم الخرز واللؤلؤ .

وثمة فوارق دقيقة بين التأليف والترتيب والتتنظيم ، فـ " التأليف يستعمل فيما يؤلف على استقامة وعلى اعوجاج... والتتنظيم والترتيب لا يستعملان إلا فيما يؤلف على استقامة ، ومع ذلك فإن بين الترتيب والتتنظيم فرقاً هو أن الترتيب: هو وضع الشيء مع شكله ، والتتنظيم : هو وضعه مع ما يظهر به ، ولهذا استعمل النظم في العقود والقلائد ، لأن خرزها ألوان يوضع كل شيء منها مع ما يظهر به لونه ^(٢) .

إذن النظم في أصل معناه اللغوي ارتبط بدلاله مادية تطورت إلى دلالة معنوية ، فنظم الخرز في السلك له جانب جمالي في حياة العربي ، كما أن رؤية الكواكب التي تشبه الجوادر المنظومة في عقد تحدث في النفس الراحة والجمال .

إن لنظم الشعر ، ونظم الكلام دلاله معنوية ، ابنتقت من المعنى اللغوي المادي . وقد أطلق النظم على نظم الشعر ، يقول الجوهرى : " ومنه نظمت الشعر ونظمته " ^(٣) وعلل ابن سيده سبب تسمية الشعر بالنظم بقوله : " قيل للشعر نظام لاتصاله واتساقه " ^(٤) ويقال : نظم القرآن ، حيث عرفه الزبيدي قائلاً : " لفظه ، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغةً ولغةً " ^(٥) .

وقد بدا من رصد مصطلح النظم في المعاجم اللغوية المشهورة أنه ولد ولادة مادية ، وتطور دالاً على عدة دلالات معنوية ، منها : نظم الشعر ، ونظم القرآن ، ولكن المتأمل في

(١) مصطفى ، إبراهيم (بالاشتراك) : المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، إسطنبول - تركيا ، ٢ / ٩٣٣ .

(٢) العسكري ، أبو هلال : الفروق اللغوية ، تج. محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، ١٦٧ .

(٣) الجوهرى ، إسماعيل بن حماد : تاج اللغة وصحاح العربية ، تج. أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملائين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، ٥ / ٢٠٤١ .

(٤) ابن سيده الأندلسى ، علي بن إسماعيل: المخصص ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ٤٥٦ / ٢ .

(٥) الزبيدي ، محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ٩ / ٧٦ .

هذه الدلالات والمعانى يجدها تدور حول معنى واحد مشترك ، وهو ضم الشيء إلى الشيء ، مع مراعاة الاختلاف في هذا الضم ، في الماديات أو في المعنويات .
ويفهم مما سبق أن معنى النظم اللغوي يدور حول الاختلاف والتلاطم بين عناصر التراكيب .
النظم اصطلاحاً :

اعتمد الإمام عبد القاهر الجرجاني في تعريف النظم على المعنى اللغوي ، فهو يعني بالنظم تعليق الكلم بعضها ببعض ، وتارة أخرى يرى أن النظم تأليف الكلام وفقاً لأبواب النحو المختلفة ، وبيان ذلك أننا حين ننطق بالكلمات والجمل ، فلا بد أن تكون مرتبة ترتيباً مقبولاً ومعقولاً .

يقول الجرجاني : " أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيف عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها " ^(١) .
ويوضح الإمام عبد القاهر أن معانى النحو ليست في الإعراب ولا في معرفة القواعد النحوية وإنما في معرفة مدلول العبارات .

وكما هو معلوم في النحو أن الفعل لابد له من فاعل يقع منه الفعل ، وقد ترى الخبر يتقدم على المبتدأ ، أو المفعول يتقدم على الفعل ، وحينما تبحث عن سر هذا التقديم ، فإنك تجد أن الأمر ليس جزافاً ، ولا بد من غرض وسبب من أجله كان هذا التقديم للخبر على مبتدئه ، وللمفعول على فعله .

لذلك يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني أننا حينما ننطق بأية جملة فإن هذه الجملة تتربّى من كلمات ، وهذا التركيب ناشئ عن المعنى الذي هيأناه في نفوسنا وأردنا أن نعبر عنه بهذه الألفاظ .

" فالآلفاظ لا تفيض حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويعد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب " ^(٢)

ويقول الجرجاني عن النظم في موقع آخر : " فليس الغرض بنظم الكلم أن تتوالت ألفاظها في النطق ، بل أن تتساقط دلالتها وتلتقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " ^(٣)

(١) الجرجاني ، الإمام عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٦٤ .

(٢) الجرجاني ، الإمام عبد القاهر : أسرار البلاغة ، تج محمد خفاجي وعبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١ ، ٢٢ .

(٣) دلائل الإعجاز : ٤١

٥

لابد للنظم من أمرتين اثنين : " المعنى الذي نريد التحدث عنه ، ثم اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى ، فإذا اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه ، فلابد من أن يختلف اللفظ ، حتى إن كانت مادته واحدة ، هناك إذن الصورة والمعنى الذي نعبر عنه بهذه الصورة " ^(١) . فالنظم يقتضي أن يكون ترتيب الكلام وأنت تتطق به قد صمم تصميمًا تماماً ؛ ليوافق المعاني التي ت يريد أن تعبر عنها .

وقد شرح الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ذلك عندما قال : قد يسألك سائل : هل حفظت سورة البقرة ؟ يمكنك أن تجيبه بالجملتين : (حفظت سورة البقرة) (سورة البقرة حفظت) ولكن هل معنى ذلك أن الجملتين سواء ؟

سنجد أن المعنيين مختلفان في النفس ، وإذا كان هناك اختلاف بين المعنيين ، فلابد أن ينتج عنه اختلاف بين اللفظين . إن اللفظ واحد في كلتا الجملتين ، لكن الذي اختلف هو النظم ، أعني ترتيب الكلمات ، ففي الجملة الثانية (سورة البقرة حفظت) قدمنا المفعول على الفعل وهذا التقديم يفيد القصر والاختصاص ، معنى هذا أتنى لم أحفظ إلا هذه السورة ، أما الجملة الأولى (حفظت سورة البقرة) لا تدل على أتنى لم أحفظ غير هذه السورة . وهكذا ندرك أنه إذا اختلف المعنى الذي نريد أن نعبر عنه ، فلابد أن يختلف اللفظ الذي نريد أن نعبر به . ^(٢)

فالنظم عملية فكرية لابد له من شيئين : " أولاً : ترتيب المعاني في النفس . ثانياً : ترتيب الألفاظ في النطق . وندرك كذلك أن النظم شيء غير اللفظ والمعنى " ^(٣) . ومن هنا يدرك السر في قول الإمام عبد القاهر الجرجاني في توضيح مفهوم النظم "... والفائدة في معرفة هذا الفرق ، أنك ، إذا عرفته ، عرف أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تنساقت دلالتها ، وتلتقيت معانيها ، على الوجه الذي اقتضاه العقل " ^(٤) .

ويرى الدكتور محمد مندور أن فكرة النظم عند الإمام عبد القاهر ابتدأت بنظرية فاسفية في اللغة ، حيث تحدث عن دلالات اللفظ وحكمه في الموضعية ، وتأثيره مفرداً ومركباً ، ثم انتهي إلى الذوق الشخصي الذي هو المرجع الأخير لكل باحث ودارس . ^(٥)

(١) عباس ، فضل : البلاغة فنونها وأفاناتها - علم المعاني ، دار الفرقان ، عمان ، ط٤ ، ١٩٩٩ ، ٨٥-٨٦ .

(٢) عباس، فضل (بالاشتراك): إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، ط٤، ٢٠٠١، ٧٠. نقل بتصرف.

(٣) إعجاز القرآن الكريم : ٧١.

(٤) دلائل الإعجاز : ٤٠ - ٤١ .

(٥) مندور ، محمد : في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ١٩٣ .

يفهم مما تقدم أن نظرية النظم تكرس علاقة الفكر باللغة ، حيث وضحت المعاني النحوية في الأداء الدلالي .

يقول الدكتور تمام حسان : " النظم - كما فهمه عبد القاهر - هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم ، لا بناء الكلمات في صورة جملة " .^(١)

وخلاصة القول أن معنى النظم عند عبد القاهر : ترتيب المعاني في النفس ، وتنسيق دلالاتها ، وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو المتاخرة حسب ما يقتضيه العقل ، ومن ثم النطق بالألفاظ بحسب ترتيب تلك المعاني في النفس .^(٢)

ويؤكد الإمام الجرجاني أن مكمن الإعجاز القرآني في نظمه ، يقول : " ثبت من النظم أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن ، إذا هو لم يطلب في معاني النحو وأحكامه ووجوهه ، وفروقه ، وموضعه ومكانه ، وأنه لا مست Britt له سواها ، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها " .^(٣)

واستمد البلغاء مفهوم الإمام عبد القاهر للنظم ، فقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله : " النظم هو تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني ، متناسبة الدلالات حسب ما يقتضيه العقل .^(٤) " وما يؤكد رسوخ هذا المفهوم في أذهان من جاءوا بعده أن " الكشاف للزمخشري " جاء تطبيقاً عملياً لنظرية عبد القاهر في النظم على آيات الذكر الحكيم .

" لقد أصبحت نظرية النظم علماً يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن ، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب ، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام الذي ورد النص الكريم بشأنه ".^(٥)

هذه خلاصة عجلى لنظرية النظم التي كانت نتاج فكر لأحد عظماء هذه الأمة - رحمة الله - وقد انتفع الإمام عبد القاهر بجهود السابقين في نظريته ونقل عن المبرد فرroc الخبر واختلاف النظم باختلافها ، فما من نظرية تقوم على فراغ أو تبني على هواء ، وسيتبين في الصفحات اللاحقة جهود السابقين وإشاراتهم الدالة على مفهوم النظم .

(١) حسان ، تمام: اللغة العربية معناها وبناؤها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، ١٨٧ .

(٢) عرفة ، عبد العزيز : تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ١٨٣ .

(٣) دلائل الإعجاز : ٤٠٤

(٤) الجرجاني ، الشريف علي بن محمد: كتاب التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٩٨٣ ، ١٩٨٣ م ، ٢٤٢ .

(٥) أبو موسى ، محمد: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، دار التضامن ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٩ م ، ٢٣٧ .

النظم قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني :

ترددت كلمة النظم على أقلام النحاة والبلغاء قبل الإمام عبد القاهر ، وقبل أن يحيطها الإمام إلى نظرية بلاغية كبرى ، حتى يمكن القول إن الإمام عبد القاهر لم يضف إلى مفهوم النظم شيئاً جديداً ، ولكنه جعل من هذا المفهوم إطاراً عاماً تدور حوله البلاغة كلها . فالبلاغة أولاً وأخيراً - هي النظم ولا شيء سواه ، وسواء كان النظم حافلاً بالمجازات أو عارياً منها ، فإن ذلك لا يكون سبباً في حسن الكلام أو قبحه ، وإنما مراد الحسن والقبح إلى النظم ، وتركيب الكلام ، وائلال بعضه مع بعض ، أو على حد قوله : في توخي معانى النحو .

والنظم بهذه الكيفية كان شائعاً قبل الإمام عبد القاهر ، وخاصة على ألسنة النحاة ^(١). ولعل أول إشارة إلى النظم وردت على لسان الكتاب من الأدباء عبارة ابن المفع (ت ٤٢١هـ) التي يقارن فيها بين عمل الأديب وعمل الصايغ ، فالأول ينظم الكلام ، والثاني ينظم الياقوت والزبرجد في قلائد وسموط ، يقول : "إذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل ، وأن يقولوا قولًا بديعًا ، وليعلم الواصفون المخبرون أن أحدهم ، وإن أحسن وأبلغ ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزبرجاً ، فنظمهم قلائد وسموطاً وأكاليل ، ووضع كل فص موضعه ، وجمع إلى كل لون شبهه مما يزيده بذلك حسناً ، فيسمى بذلك صائغاً رقيقاً وكصاغة الذهب والنضة صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلى والآنية" ^(٢)، وتلتقي نظرة ابن المفع مع المدلول اللغوي لكلمة "نظم" .

ويرى الدكتور أحمد سيد عمار أن البلاغيين أخذوا كلام ابن المفع ، وأداروه في كتاباتهم من غير أن يشيروا إليه . ^(٣)

وقد استخدم سيبويه (ت ١٨٠هـ) لفظ البناء الذي يدل على معنى النظم ، فالجملة عندما تتنظم كلماتها تكون بناءً متراصاً ، فقال في باب المسند والمسند إليه : "وهما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدأ ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو

(١) حسين، عبد القادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار قطرى بن الفجاءة، قطر، ط٢، ٣٩٨، ٣٩٩.(يتصرف)

(٢) ابن المفع، عبد الله: الأدب الصغير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ١٣.

(٣) عمار، أحمد سيد محمد: نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠م، ١٢٥.

قولك : عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء ^(١) .

وتحدث سيبويه عن ائتلاف الكلام ، وما يؤدي إلى صحته وفساده. ^(٢) ويعد سيبويه من أقدم الذين وقووا عند الجملة ، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، أو حذف ذكر ، أو فصل ووصل ، وأخذ عنه النحاة والبلغيون والنقاد أصوله ، وبنوا عليها نظرياتهم ، " غير أن سيبويه والنحاة لم يسموا بذلك نظماً ، وإنما هي قواعد تسير عليها العرب في كلامها أو إنشائهما ، ولا يعني هذا أن نسب إلى سيبويه والنحاة نظرية النظم التي يريد بعض المعاصرين ربطها بهم بربطة يجرد البلاغيين - وعلى رأسهم عبد القاهر - من الأصالة والتجديد" ^(٣) .

وما تحدث عنه سيبويه يعد خطوة في طريق النظم ، التي ترجمت في مستواها حتى بلغت غايتها الفنية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني .

لقد عني الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في كتابه "معاني القرآن" بشرح آيات القرآن الكريم ، وبسط الكلام في التراكيب وتأويل العبارات وأوجه الإعراب ، وتنطّر فيه لبعض مباحث النظم كالتقديم والتأخير ، والإيجاز والإطناب ، والمعنى الذي تخرج إليها بعض الأدوات كأدوات الاستفهام كما أشار إلى بعض الصور البيانية . ^(٤)

ويجد الباحث في كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المشتى (ت ٢٠٨ هـ) بعض الأساليب البلاغية في علم المعاني المنتهي من نظرية النظم ، كالتقديم والتأخير ، وقد ذكره في مقدمة كتابه ، يقول : " ومن مجاز المقدم والمؤخر : ﴿فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَأْتُ وَرَبَّتْ ﴾ [فصلت : ٣٩] أراد رب واهترت" ^(٥)

وأشار بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) في صحيفته إلى وضع الألفاظ في أماكنها اللائقة بها حيث يقول : " ومن أراغ معنى كريماً فليتمس له لفطاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف لفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما" ^(٦)

(١) سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تج. عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ٢٣/١.

(٢) الكتاب : ١ / ٢٥.

(٣) مطلوب ، أحمد : عبد القاهر الجرجاني : بلاغته ونقده ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ٥٢ .

(٤) انظر/ الفراء ، أبو زكريا : معاني القرآن ، تج. محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٥/٢ ، ٣١٧ ، ٦٨/٣ .

(٥) أبو عبيدة، معمر بن المشتى: مجاز القرآن، تج. محمد فؤاد، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٤ م ١٢/١.

(٦) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين ، تج. عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥ م، ١٣٦/١.

ومن الذين تناولوا نظرية النظم الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، وهو أبو عثمان عمرو ابن بحر العالم صاحب التصانيف في كل فن ، وهو زعيم البيان العربي من غير منازع . وللجاحظ كتاب (نظم القرآن) وهو ضائع ، وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور فضل عباس : "... وهذا الكتاب قد حرمنا منه ولم تسعه به المكتبة الإسلامية . وكل ما وصلنا منه شذرات وبعض عبارات ذكرها هو في كتبه المتفرقة" ^(١) .

وقد وصف الجاحظ كتابه "نظم القرآن" فقال : "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف فضل الإيجاز والحدف ، وفرق ما بين الزوائد والفضول والاستعارات ، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز ، والجمع للمعنى الكثيرة بالألفاظ القليلة ، وعلى الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفضول منها قوله تعالى : ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَتَزَوَّنُونَ﴾ [الواقعة: ١٩] في وصف خمر أهل الجنة ، فهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا ، ومنها قوله تعالى في ذكر فاكهة أهل الجنة : ﴿لَا تَمْقُطُونَ وَلَا مَنْعِةٌ﴾ [الواقعة: ٣٣] وقد جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني ، وهذا كثير دللتاك عليه ، فإن أردته فهو مشهور" ^(٢) . ويعد الجاحظ أول من قال بنظام القرآن ، غير أنه لم يتسع في شرح فكرته وتفصيلها ، فقد ساهم في وضع اللبنة الأولى لنظرية النظم ، التي أكملها الإمام عبد القاهر الجرجاني .

" وقد عرف الجاحظ النظم ، وفرق بين نظم القرآن ونظم سائر الكلام ، ودعا إلى دراسة الأدب العربي بعامة وفنونه وضروربه وأغراضه ، لكي يعرف الدارس الفرق بين النظمين : نظم القرآن ونظم سائر الكلام" ^(٣) واستعمل الجاحظ النظم مرادفاً للتاليف ، وقد يرد عنده في بعض المقامات الأخرى بمعنى "البيان والإنشاء" ^(٤) .

وقد أثير كثير حول رأي الجاحظ في الإعجاز : هل الإعجاز عنده بالصرف أم بالنظم أم بهما معاً ؟

(١) إعجاز القرآن الكريم : ٤٠.

(٢) البيان والتبيين : ٧٦/٣.

(٣) عرفة ، عبد العزيز : من بلاغة النظم العربي - المعاني ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١ م ، ١٣ .

(٤) الدبل ، محمد بن سعد : النظم القرآني في سورة الرعد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٨ م ، ٣٨ .

ولمناقشة هذه القضية التي قيل فيها الكثير ، لابد من التأكيد على أن " إبراهيم بن سيّار النظام " المعتزلي قال بإعجاز القرآن بالصرف ؛ أي أن الله صرف الكفار عن معارضته القرآن الكريم .

ويرى بعض الباحثين أن الإعجاز عند الجاحظ في النظم فقط ، فهو أديب ذوقة ولا تخفي عليه مواطن البلاغة القرآنية ، وقد ذهب إلى هذا الرأي الباقلانى والإمام الجرجانى . وهناك من يرى أن الجاحظ قال بالإعجاز بالصرف ، ولكن بعد تحليل هذه الآراء اتضح أن الصرفة عند الجاحظ مبادنة للصرف عند شيخه النظام فقد أنكرها الجاحظ ورفضها ، فعند النظام لو لا الصرفة لجاءوا بمثل القرآن ، وبما هو أحسن منه نظماً وتائياً ، أما عند الجاحظ فلو لا الصرفة لطمعوا في الإتيان بمثله ، فالصرف - عنده - من باب التدبير الإلهي ، والعناية الربانية ، جاءت لمصلحة المسلمين ، ولرفع الشبه والشكوك التي يمكن أن تنتشر بينهم بسبب هذه المعارضه .

ويرى الجاحظ " أن الإعجاز متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني ، إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا عشر سور مثله في النظم والروعة في التأليف ، حتى ولو حوى التأليف الرائع كل باطل ومحقق لا معنى له " ^(١) ، ومهما يكن من أمر فإن حرمان المكتبة الإسلامية ، وضياع كتابه " نظم القرآن " أدى إلى عدم معرفة نظريته بوضوح ، وخلاصة القول - هنا - أن الجاحظ ليس مبرئاً من القول بالصرف ، كما أن إعجابه ببلاغة القرآن ونظمه كان واضحاً في مواضع كثيرة من مؤلفاته ، فالإعجاز عند الجاحظ إعجاز بالنظم والصرف معاً .

ولابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) اهتممات بالعلاقات النحوية بين ألفاظ العبارة ، ويبعد أن فكرة النظم لديه بلاغية ، وقد عالج في كتابه " تأويل مشكل القرآن " بعض قضايا من علم المعاني بمفهومه الدال على النظم أدرجها تحت اسم المجاز ، حيث يدخل جميع ألوان البيان ، ويدخل في نطاقه بعض عناصر المعاني ، كالتقدير والتأخير ، والحدف والتكرار . ^(٢) أما المفرد النحوي (ت ٢٨٥ هـ) فقد كان " يرى البلاغة في حسن النظم ، فحق البلاغة إحاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ، ومعاضدة شكلها " ^(٣) .

(١) شيخ أمين ، بكري : التعبير الفني في القرآن ، دار العلم للملاتين ، بيروت ، ط ١٩٩٤ ، ١٥٤ .

(٢) انظر / ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن ، تج. السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م ، ص ٩٩-١٠٠ ، وينظر أيضاً ٢٩٩-٣١٠ .

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي : ٤٠٠ .

وللمبرد حديث عن الفروق اللغوية التي تحدث بسبب التصرف في "النظم" وذلك في المعاورة القيمة التي جرت بينه وبين الكندي المتفلسف ، إذ قال له يا أبو العباس : إنني لأجد في كلام العرب حشوأ ، فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال الكندي : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون ، إن عبد الله قائم ، ثم يقولون : إن عبد الله لقائم . فالآلفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس المبرد : بل المعاني مختلفة لاختلاف الآلفاظ ، فقولهم : عبد الله قائم ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : إن عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم: إن عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الآلفاظ لتكرار المعاني .^(١)

وقد عقد البلاغيون بناءً على إجابة المبرد مبحثاً مهماً في علم المعاني سموه (أضوب الخبر) وتراء في كتابه "البلاغة" يذكر بlagة الشعراء ويوازن بينهم ، ويفضل بعضهم على بعض ، و يجعل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فوق كلامهم ، فإذا ما وصل إلى القرآن الكريم جعله فوق هذا وذاك .

كما أجرى مقارنة بين قوله تعالى ﴿وَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة : ١٧٩] ، وبين قول العرب : " القتل أنفي للقتل "^(٢)؛ ليثبت أن كلام العرب مهما بلغ سمواً وجمالاً في نظمها فلن يصل إلى ما هو عليه القرآن من نظم بديع .

أما أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتكلم (ت ٣٠٧ هـ) الذي ألف كتاباً سماه (إعجاز القرآن في نظمها) ، إلا أن هذا الكتاب حرمت منه المكتبة الإسلامية ، ولا يعرف عنه الباحثون إلا الاسم^(٣) .

وتتجلى بعض ملامح فكرة النظم عند أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) من خلال المناظرة التي قامت بينه وبين متى بن يونس ، في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن الفرات ، حيث يقول : " معاني النحو منقسمة بين حركات النحو وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام ، بالتقديم والتأخير ، وتوخي الصواب في ذلك ، وتجنب الخطأ"^(٤)

(١) دلائل الإعجاز : ٢٤٢ .

(٢) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد: البلاغة، تج. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥ م، ٩٢.

(٣) النظم القرآني في سورة الرعد : ٤٤ .

(٤) التوحيد ، أبو حيان : الإمتاع والمؤانسة ، تج. أحمد أمين وأحمد الزين ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٢١/١ .

وبذلك تجاوزت المعاني النحوية عند السيرافي الحركة الإعرابية ، وتمييز الصواب من الخطأ إلى أسرار بلاغية ، كالتدريم والتأخير ، وكانت فكرة المعاني النحوية من الأركان الأساسية في بناء نظرية النظم عند الجرجاني ، مما يدل على أن بذور هذه النظرية لها وجود في هذه المناظرة .

ومن علماء المعتزلة الذين أفوا في إعجاز القرآن الكريم علي بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٦هـ) ، حيث ألف رسالة بعنوان "النكت في إعجاز القرآن" .

وقد اهتم في رسالته بتوضيح وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وقد اختص البلاغة من بين هذه الوجوه ، حيث استغرقت معظم صفحات رسالته ، وقسم البلاغة في ثلاثة طبقات ، يقول الرمانى : " أما البلاغة فهي على ثلاثة طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ، وأدنى طبقة ، فما كان في أعلىها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن ، وما كان منها دون ذلك فهو ممكناً كبلاغة البلغاء من الناس " (١) .

وقد جعل الرمانى البلاغة على عشرة أقسام : " الإيجاز ، والتضليل ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفوائل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والبالغة ، وحسن البيان" (٢) ويستخدم الرمانى مفهوم "تعديل النظم" الذي يقترب من طبيعة النظم ، لأنّه يحمل بعداً أسلوبياً يقف في أعلى مراتب البيان ، يقول : "حسن البيان في الكلام على مراتب ، فأعلاهما مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم، حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان ، وتقبّله قبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حفظ من المرتبة" (٣) .

وخلصة الكلام أن الرمانى في بحثه وجوه إعجاز القرآن - ولا سيما الوجه البلاغي - يرى أنها تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، والتحدي للكافة ، والصرف ، والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة وقياسه بكل معجزة (٤) .

يتضح مما سبق أن الرمانى قد أضاف برسالته إضافات جديدة إلى صرح البلاغة العربية .

(١) الرمانى ، علي بن عيسى : النكت في إعجاز القرآن - (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن) ، تج. محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ٦٩ .

(٢) النكت في إعجاز القرآن : ٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص: ٩٨ .

(٤) (انظر) الكواز ، محمد كريم : الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ٢٢١ .

أما أبو سليمان محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) ، فقد تكلم في النظم وذكر أنه يقوم بثلاثة أشياء : " لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم .. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفسح ولا أجذر ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً ، وتشاكلاً من نظمه "(١). ويرى الخطابي أن القرآن صار معجزاً ، لأنه جاء بأفضل الألفاظ في أحسن نظم . التأليف مضموناً أصح المعاني .

وأوضح الدكتور محمد زغلول سلام أن فهم عبد القاهر لمفهوم النظم قريب من فهم الخطابي له ، فالنظم عند الخطابي " صورة للفظ المتفاعل مع المعنى للتعبير عن التجربة الفنية ، وليس للألفاظ وحدها ولا للمعاني أهمية النظم ، وهو تقدير له قيمته ، لأنه يحط عن الفظ بعض أهميته التي ركز حولها السابقون دراساتهم ، ثم لا يفصل بين المعنى واللفظ ، ويعطى لأحدهما الفضل على الآخر أحياناً ، وهو ما وقع فيه السابقون "(٢) .

وتكمّن أهمية بحث الخطابي في أنه أبرز فكرة النظم القرآني ، وفصل أمره بتحليله إلى عناصر متفاعلة يقوم بها الإعجاز . فبحثه يمثل مرحلة جديدة من مراحل الدراسة البيانية لأسلوب القرآن ، ورأيه طريف ، لا يظهر عند العلماء السابقين له ، الذين كان تتوبيهم بنظم القرآن وتأليفه تتوبيهاً عابراً . (٣)

وعقد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه (الصناعتين) باباً في "البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك ، فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها . (٤)

وبالتأمل فيما أورده أبو هلال يتبدّل إلى الذهن المعنى اللغوي لكلمة " النظم " فلم تأخذ عنده مفهوماً اصطلاحياً محدداً يمكن إرجاع أمر البلاغة إليه .

ويمضي في الطريق نفسه أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) ، حيث ألف كتاباً بعنوان " إعجاز القرآن " يرد فيه على مطاعن الملاحدة على أسلوب القرآن الكريم ، مبيناً أن الحاجة إلى الحديث عن إعجاز القرآن أمس من الحاجة إلى البحوث النحوية واللغوية ، وذكر أن الجاحظ قد صنف في نظم القرآن كتاباً ، غير أنه لم يزد على مقاله

(١) الخطابي ، حمد بن محمد بن إبراهيم : بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن) ، تتح. محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ٢٧ .

(٢) سلام / محمد زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي ، دار المعارف ، ط٣ ، ٢٥٩ .

(٣) انظر : الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم : ٤٥ .

(٤) العسكري ، أبو هلال : الصناعتين ، تتح. الجاجاوي ، وأبي الفضل ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٦٧ .

المتكلمون من قبله ، أما هو فيصرح بأنه سيضيف إلى من سبقوه ما يجب وصفه من طرق البلاغة وسبل البراعة .

وقد بين أن القرآن الكريم معجز ببلاغته ، ورد على القائلين بفكرة الصرف^(١) . فالباقلاني كان يرى نظم القرآن خارجاً عن جميع وجوه النظم المعتمد في كلام العرب، يقول : " فأما شاؤ نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه، ولا إمام يقتدى به ، ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً"^(٢) وقد تأثر الباقلاني في نظريته في إعجاز القرآن بـ " فكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أن مرجع الإعجاز في القرآن إلى نظمه وأسلوبه العجيب ، كما تأثر - أيضا - بفكرة الرمانى الذي ذهب فيها إلى أن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة "^(٣)

وقد حصر الباقلاني ما يشتمل عليه بديع نظم القرآن المتضمن للإعجاز في وجوه ، منها ما يرجع إلى جملته ، ومنها ما يرجع إلى أساليبه حيث اشتمل القرآن الكريم على كل الأساليب البلاغية ، ومنها ما يرجع إلى مفرداته بابتعاده عن المفردات المستكرهة التقليلة على السمع ، ومنها ما يرجع إلى حروفه .

لقد كان الباقلاني عميق الإيمان بالنظم المعجز في القرآن الكريم ، حتى إنه قلما تخلو بعض صفحات من كتابه من إشارة إلى هذا الجانب فيه ، حتى إذا فاض لديه الشعور أقدم ليشبّع تحمسه الحار هذا على محاولة التعامل الأدبي عن طريق التلمس الفني لجوانب هذا النظم المعجز ، وحين يستند طاقته يستشعر ضآلة ما قدمه بالقياس إلى ما يشعر به من عجيب النظم وأسراره ، فلا يلبث أن يعود إلى المحاولة بزاد من النظارات جديدة^(٤) .

وقد أوضح القاضي عبد الجبار الأسدآبادي (ت ٤١٥ هـ) - تلميذ أبي هاشم الجبائي - أن الفصاحة في التركيب لا في اللفظ ، فقال : " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموضع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع.

(١) عبد الرزاق ، حسن إسماعيل : النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ٦٦ .

(٢) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تج. أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤، ٦٩ .

(٣) ضيف ، شوقي : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، ١٩٥٦ م ، ١٠٨-١٠٩ .

(٤) سلطانى ، محمد علي : مع البلاغة العربية في تاريخها ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ، ١٣٣/١ .

لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها ، ولابد من هذا الاعتبار في كل كلمة، ثم لابد من اعتبار مثلك في الكلمات إذا اضطر بعضها إلى بعض ، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة ، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها ، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه ، إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها^(١).

وقد وضح عبد الجبار مفهوم النظم ، وهو عبارة عن ضم الكلمات على نحو معين ، وأن الأساس في ذلك هو الموضعية ، واتفاق أعضاء الجماعة اللغوية . على أن التركيب المعين يؤدي إلى معنى معين بوساطة ما يسمى بالقرائن اللفظية التي تعمل على توضيح المعنى ، وهذه القرائن : الضم على طريق مخصوصة ، ويسميه الدكتور تمام حسان : "التضام" وهو عنده على وجهين ، الإعراب والموقع^(٢).

إن القاضي عبد الجبار خطا بالنظم خطوة أوسع من سابقه : الرمانى والخطابى والباقلانى . وهكذا من خلال ما سبق نرى أن النظم قبل عبد القاهر قد مرّ بمراحل متطرفة ، وكان البحث في وجوب الإعجاز القرآني من أهم المثيرات التي أبرزت النظم باعتباره من أقوى أدلة الإعجاز ، إن لم يكن أقواها على الإطلاق ، حتى استوى على يد عبد القاهر نظرية متكاملة لا يقاد بها الإعجاز القرآني فحسب، وإنما تصلح بأبعادها للتطبيق على كل نص أدبي^(٣).

يتضح من العرض التاريخي السابق للنظم قبل عبد القاهر ، أنه قد تطور في مراحل ، ولكن معناه ظل ضبابياً ، وإن كانت جذور النظم التي ذكرها عبد القاهر موجودة في تراث السابقين ، ولا عجب في ذلك ؛ لأن الدافع الديني ، وإثبات الإعجاز القرآني ، من أهم الميزات التي أبرزت النظم باعتباره من أقوى أدلة الإعجاز .

وكان عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) من أقوى الشخصيات البلاغية في القرن الخامس الهجري ، وشرح نظرية النظم ، وخصص لها كتابه "دلائل الإعجاز" . فهو "يرى أن الناظم إذا أراد أن ينظم كلاماً في أي غرض : يبدأ فيرتّب المعاني في نفسه أولاً، ويبنّى جهداً في ترتيبها ، ثم يحذو على ترتيبها الألفاظ فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب النطق الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق"^(٤).

(١) الأسدآبادى ، القاضي عبد الجبار : المغني في أبواب التوحيد والعدل (ج ١٦ إعجاز القرآن) ، تصح أمين الخلوي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٩/١٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم: ١٥٥ .

(٤) من بلاغة النظم العربي - علم المعاني : ٢٤ .

فبعد القاهر الجرجاني يرى أن النظم هو توخي معاني النحو ، هذه اللبنة الأولى في النظم ، وهو أن يكون موافقاً لقواعد النحو ، أما اللبنة الثانية وهي الأهم من سابقتها ، ف فهي أن يكون هذا النظم دقيقاً .

ويرى الأستاذ الدكتور فضل عباس أن الجرجاني قد حرص في كتاب الدلائل ، على توضيح أمرين اثنين، أولاً - الرد على الذين يزعمون أن الفضيلة للألفاظ وحدها . ثانياً - الفصول التطبيقية الكثيرة التي ذكرها شرعاً لنظريته .

فقد ردَّ على أنصار اللفظ ، ورفض فصاحة اللفظ وحده ، مبيناً أن اللفظ قد يتغنى به الأدباء في موضع ، ولكنهم قد يسترذلونه في مواضع أخرى .

وبيَّن أن الناس ليسوا سواء في تذوق فصاحة الكلمات ، فالفصاحة - في نظره - صفة لا تدرك بالسمع ، وإنما تدرك بالقلب ، ونحن نعلم أن المعاني هي التي تدرك بالقلوب وليس الألفاظ، وأوضح أن الفصاحة لو كانت للألفاظ وحدها لما كان هناك فرق بين الجمل المتفقة في الكلمات، المختلفة في النظم .^(١)

وقد خلص إلى أن الوجه الوحيد لإعجاز القرآن هو النظم ، قال : " ثبت أن النظم مكان الإعجاز الذي ينبغي أن يكون فيه ، وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف ... وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم ... وأنا - إن بقينا الدهر نجهد حتى نعلم للكلم المفردة سلكاً ينظمها ، وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ، و يجعل بعضها بسبب من بعض ، غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها - طلبنا ما كل مجال دونه "^(٢)
لقد اهتم الإمام عبد القاهر بالإعجاز ، وأخذ يبحث عن سبل كشفه، فوجدها في النظم ،
بمعنى أن كل ما يترتب على النظم وصلته بالعقل والفكر متصل بقضية المتكلم .

فهو قد كشف عن وهم في مسألة ترتيب الألفاظ في النفس ، قال : " ليس الغرض بنظم الكلم أن تتوالت ألفاظها في المنطق ، بل أن تتناسق دلالتها وتلتقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل "^(٣)

وقد اختار الجرجاني مصطلح " النظم " لوصف الإعجاز القرآني ، وهو ما هدأه إلى وضع أسس " علم المعاني " الذي أصبح فيما بعد من أجل علوم البلاغة العربية .

(١) إعجاز القرآن الكريم : ٧٢-٧٣ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٣٠٠ .

(٣) دلائل الإعجاز : ٤١ .

وذكر كثيراً من المصطلحات البلاغية كالتعريف والتكيير ، والتقديم والتأخير ، والمحذف والذكر ، والوصل والفصل .

فالفضل مشترك بين السابقين وعبد القاهر ، فهم " وضعوا عناصر النظم في كتبهم ،

فقام عبد القاهر فوضع القواعد العامة لهذا النظم "(١)"

وهكذا " اتسعت آفاق نظرية النظم التي رأها عبد القاهر أول الأمر طريقاً إلى إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن ، لتصبح دراسة أسلوبية واسعة النطاق لاتساق التراكيب في العربية على اختلافها وتتنوعها ، وكانت أولى ثمارها تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) للقرآن الكريم الذي يعد بحق نموذجاً تطبيقياً رائعاً لها "(٢)"

أثر "نظم" الجرجاني في الباحثين :

لقد ظهر اكتمال نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجاني الذي ولد علم المعاني من النظر في النظم القرآني .

وظهر - لنا - أن مصطلحي "النظم" و "علم المعاني" بقيا مترابتين في آثار القدماء ، وقد اتضح أن النظم قد امتد بعد الجرجاني ليشمل عدة علوم من أشهرها : علما التفسير والبلاغة، وقد اقتفي العلماء الذين جاءوا بعد الجرجاني آثاره حرفيًا في فهم النظم ومعالجة موضوعاته .

ويعد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) من خيرة من طبق نظرية عبد القاهر الجرجاني تطبيقاً دقيقاً على نصوص القرآن الكريم في تفسيره "الكاف"؛ لإثبات أن إعجاز القرآن بنظمها ، فالنظم وجه الإعجاز ، والقانون الذي يوقع عليه التحدى ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر .

ومفهوم النظم كما يتصوره الزمخشري يعني "بيان الروابط والعلاقات بين الجمل ، وكيف يدعوا الكلام بعضه بعضاً ، وكيف يأخذ بعضه بحاجة بعض"(٣).

(١) العمري، أحمد: المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ٢٣٤.

(٢) السيد، شقيع: البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، ٦٣.

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٣٧.

وقد ميز الزمخشري بين علوم البلاغة، فقال في مقدمة تفسيره "الكاف": "... ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق؛ إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني وعلم البيان^(١).

والإعجاز عند الزمخشري في ناحيتين: الأولى النظم، والثانية ما فيه من الإخبار عن الغيب، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ لِيَعْلَمَ الْأَنْوَاعَ﴾ [هود: ١٤] "أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه^(٢). إن العناية بأمر النظم واتخاده مستنداً في تفسير الوجه المعجز من القرآن الكريم، يربطان بحث الزمخشري ببحث الجرجاني بسبب متين، تجلّى في اعتماد الزمخشري على نظم عبد القاهر ولا سيما على توخي معاني النحو وأحكامه.

واعتمد الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) على آراء عبد القاهر في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" ولم يخرج عن فهم الجرجاني للنظم، حيث أشار في كتابه إلى مطالعة كتابي عبد القاهر الدلائل والأسرار، وإلى السير على نهجهما، ويمكن القول: إن هذا الكتاب تلخيص وتنويه لما بسط في كتابي عبد القاهر، أما المسائل البدعية التي وجدت عند الرازي في كتابه فهي تلخيص لما ذكره رشيد الدين الوطواط في كتابه "حدائق السحر في دقائق الشعر".

ويمكن القول: إن نظرية النظم كانت ميداناً رحباً لكثير من المفسرين الذين طبقوها في تفاسيرهم، منهم الزمخشري والفخر الرازي في تفسيره "مفائق الغيب" أو "التفسيير الكبير"، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (ت ٧٤٥ هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥ هـ) الذي سمي تفسيره "نظم الدر" وتفسير أبي السعود (ت ٩٨٢ هـ) أما السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) فكان أول من أطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سماها عبد القاهر (النظم) أو (معاني النحو)، وكان القسم الثالث من كتابه "مفتاح العلوم" نقاًلاً وتلخيصاً لآراء عبد القاهر الجرجاني، فصاغها في قوالب منطقية جامدة.

والحقيقة أن "عصر السكاكي" كان عصر جمود وتوقف بالنسبة لقضية الإعجاز القرآني من حيث الكشف عن مضامين جديدة^(٣).

(١) الزمخشري، جار الله: الكاف، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٥، ٧/١.

(٢) الكاف: ٣٦٩/٢.

(٣) المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: ٣٢٩.

وسار ابن الزملکانی (ت ٦٥١ هـ) على خطاب عبد القاهر الجرجاني ، ونهج منهجه في الإعجاز البلاغي ولا سيما في بلاغة النظم المعجز . قال : " قد توصف الكلمة بالفصاحة بالنظر إلى كونها أكثر استعمالاً من غيرها ، كما قالوا في (نمى المال يُنمى) أنه أوضح من (نما ينمو) وإن كان الثاني أدخل في القياس ، لكنه أقل في الاستعمال . وليس هذا متعلق غرضنا في هذا العلم ، بل المراد هنا بالفصاحة مراعاة أحوال المفردات ومعاني النحو في التأليف " ^(١)

وحصر ابن الزملکانی الإعجاز في خمسة وجوه ، أبطل أربعة منها على نحو ما فعل الشيخ عبد القاهر ، وارتضى أن يكون الإعجاز في النظم بتوكيد معاني النحو ^(٢) " أما تأثر ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) بعد القاهر فلم يكن مباشراً ، وإنما كان عن طريق الفخر الرازى الذى لخص كتابي عبد القاهر ، وجمعهما في كتابه (نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز) ، فنرى ابن أبي الإصبع يشير إلى هذا النقل صراحة في باب الاستعارة ^(٣) " .

وقد أثر عبد القاهر الجرجاني فيما جاء بعده من البلغاء ، فقد أثر في حازم القرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) ، فقد جعل القسم الثالث من كتابه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " يبحث في النظم وما تعرف به أحوال الصنعة في جميع ذلك من حيث كونها ملائمة للذفون أو منافرة لها .

والقرطاجي يرى أن " النظم صناعة آلتها الطبع . والطبع هو استكمال للنفس في فهم أسرار الكلام ، وال بصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها ، فإذا أحاطت بذلك علماً قويتاً على صوغ الكلام بحسبه عملاً ، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه ، وحسن التصرف في مذاهبه وأنحائه إنما يكونان بقوى فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها أفكار الشعراء " ^(٤) .

(١) ابن الزملکانی : التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، تتح. د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤ م ، ١٩٨-١٩٧ .

(٢) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن : ١٩٣ وما بعدها .

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي : ٤٤٩ .

(٤) القرطاجي ، حازم : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تتح. محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ م . ١٩٩ .

وتحدى ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) عن عدة موضوعات تتعلق بالنظم منها (التقديم والتأخير)، و(الوصل والفصل)، وغيرهما^(١).

وقد حدث بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) المفسر على مراعاة نظم الكلام الذي سبق له، وإن خالف الوضع اللغوي لثبت التجوز^(٢).

وقد أفرد الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) فصلاً في الحديث عن نظم القرآن، حيث قال: .. إنما عجزوا عن نظم مثل نظمه، فإن أنواع كلامهم كانت منحصرة في الأسجاع، والأشعار، والأراجيز، فجاء نظم التنزيل على أسلوب بديع لا يشبه شيئاً من تلك الأنواع، فقصرت أيدي بلاغاتهم عن بلوغ أعلى رتبة من مراتب نظمه^(٣).

وقد ألف جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) كتاب "معترك القرآن في إعجاز القرآن" "أرجع فيه إعجاز القرآن إلى حسن تأليفه ونظمته"^(٤).

نظريّة النظم عند الإمام عبد القاهر في دراسات بعض الباحثين المعاصرین:

اتجهت دراسة البلاغة العربية في العصر الحديث اتجاهات متعددة؛ بهدف الخروج من الجمود الذي أصاب علوم البلاغة، بعد تقييدها بالقواعد الجامدة.

وكان النظم محور هذه الدراسات؛ لأنّه اشتمل على كثير من مضمونها مما عدا سببه عبد القاهر قفزة متقدمة لعصره؛ لأنّه يغوص في أعماق النص، ويحلل كلماته وفق سياقها الذي ترد فيه، رابطاً بينها برباط وثيق.

والذي شجع النقاد والبلغيين العرب على دراسة النظم من جديد، هو التطور الهائل في المناهج النقدية عند الغربيين، فأراد نقاد العرب إثبات أن تراثهم العربي قد اشتمل على تلك المناهج، ومن هذا التراث "نظريّة النظم عند عبد القاهر الجرجاني".

(١) ابن القيم، شمس الدين: *الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان*، دار الكتب العلمية، ٨٦-٨٢، ١٨٨-١٨٥.

(٢) الزركشي، بدر الدين: *البرهان في علوم القرآن*، تتح. محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ٣١٧/١.

(٣) الفيروزآبادي، مجد الدين: *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تتح. محمد علي التجار، المكتبة العلمية، بيروت، ٦٨/١.

(٤) السيوطي، جلال الدين: *معترك القرآن في إعجاز القرآن*، تصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٣/١.

ويطالعنا مصطفى صادق الرافعي بكتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" الذي عرض فيه لشئ المذاهب التي قيلت فيه ونقدتها ، وقد عرف معنى الإعجاز بأنه ضعف الإنسان عن مزاولة المعجز واستمرار هذا الضعف مع الزمن ، ورفض فكرة الإعجاز بالصرف .

وأوضح الرافعي أن هدفه في هذا الكتاب أن يتحدث عن الإعجاز البلياني للقرآن ، ويرى الأستاذ الدكتور فضل عباس أن الرافعي "يرى أن سر التفاوت بين أسلوب القرآن وأسلوب البشر - مع أن المادة اللغوية واحدة لا تختلف - يرجع إلى أمور منها : ما نجده في أسلوب القرآن من قوة نسج ، وإحكام في السرد ، بحيث لو قرأته كله من أوله إلى آخره ، فإنك لا تحس ببنية أو ثغرة ، وأنك تتقل من معنى إلى آخر ، ومن الآية إلى التي بعدها ، أو من موضوع إلى موضوع "(١)

ونظم القرآن عند الرافعي يتمثل في الحروف وأصواتها ، والكلمات وحروفها ، والجمل وكلماتها ، وهذا الترتيب منطقي ؛ لأن الحروف أصل الكلمات ، والكلمات هي التي تتكون منها الجمل" (٢)

ويرى الرافعي أن أصوات الحروف في القرآن الكريم منسجم بعضها مع بعض ، بحيث يتكون فيها جرس صوتي خلاب ، أو كما يعبر عنه بلغة العصر "موسيقى صوتية جذابة" ، فقد نجد تقللاً في ضم حرف ، أو اتباع حركة لحركة ، ولكن هذا التقلل يتلاشى في نظم القرآن الكريم.

ويخلص الرافعي إلى القول : " وما عسى أن تقول في كلام ترى للفظ من الألفاظ فيه معنى ؟ ثم ترى كأن لهذا المعنى في التركيب معنى آخر ، هو الذي يفيض على النفس ، ويتصل بها ، فكأنه كلام مُداخلٌ ، وكأن اللغة منه لغتان " (٣)

إذن ، الرافعي يرى أن الإعجاز كامن في النظم القرآني ، الذي تتفاعل فيه حروفه مع كلماته ومع جمله ، ويتأثر بما قاله عبد القاهر في كتابه الدلائل من " المعنى ومعنى المعنى " أما سيد قطب فإنه " لم يكتب كتاباً خاصاً في إعجاز القرآن ، ولكنه تحدث عنه في

(١) إعجاز القرآن الكريم : ٩٢ .

(٢) الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار المنار، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ١٦٦.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٩٣ .

أكثر من كتاب له، وهو يقول بالإعجاز المطلق في القرآن ، ويوظف الإعجاز دليلاً على المصدر الرباني للقرآن^(١)

وقد اعتبر سيد قطب نظرية النظم عند عبد القاهر خطوة جيدة لباحث في عصره ، فقد أوشك أن يصل إلى شيء في كتابه " دلائل الإعجاز " لو لا أن قصة " المعاني والألفاظ " ظلت تختال له من أول الكتاب لآخره ، فصرفته عن كثير مما كان وشيكاً أن يصل إليه ؛ ولكنه على الرغم من ذلك كله كان أتفذاً حسأً من كل من كتبوا في هذا الباب على وجه العموم، حتى في العصر الحديث .^(٢)

ويتابع سيد قطب كلامه معلقاً على ما ذكره عبد القاهر الجرجاني حول قوله تعالى :

﴿وَاسْتَعِلُ الرَّأْسُ شَيْئاً﴾ [مريم : ٤] ، قوله تعالى : **﴿وَفَجَرَنَا الْأَرْضَ عَيْوَانًا﴾** [القمر : ١٢]

فيقول : "رحم الله عبد القاهر ، لقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضرها . إن الجمال في **﴿وَاسْتَعِلُ الرَّأْسُ شَيْئاً﴾** ، **﴿وَفَجَرَنَا الْأَرْضَ عَيْوَانًا﴾** هو في ذلك الذي قاله من ناحية النظم ، وفي شيء آخر وراءه ، هو هذه الحركة التخييلية السريعة التي يصورها التعبير : حركة الاشتعال التي تتناول الرأس في لحظة ، وحركة التفجير التي تفور بها الأرض في وضمة^(٣) يفهم من كلام سيد قطب أن النظم وما يشكل منه من صور هو مكمن الإعجاز ، ويفسر التصوير بقوله " هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن . فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخللة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني للطبيعة البشرية . ثم يرتفق بالصورة التي يرسمها في منها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتتجدة ، فإذا المعنى الذهني هيئه أو حركة ؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية "^(٤) وخلاصة رأي سيد قطب - كما يراه الدكتور "نعميم الحمصي" يتمثل في أن "القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه ، كما هو معجز بمضمونه وهدفه ، وكونه منهجاً كاملاً للحياة"^(٥)

(١) الخالدي ، صلاح عبد الفتاح : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، دار عمار ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، ٩٨ .

(٢) قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١١ ، ص ٢٩ .

(٣) التصوير الفني في القرآن : ٣١ .

(٤) التصوير الفني في القرآن : ٣٤ .

(٥) الحمصي ، نعيم : فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ٣٦٤ .

إن دراسات المرحوم سيد قطب يتضح فيها أثر الجرجاني ، فقد كان منطلقاً من أجل تحقيق هدف نبيل، وهو الوصول بالقارئ والدارس إلى فهم الصورة الفنية في ضوء آيات القرآن الكريم.

ويشيد الدكتور " صبحي الصالح " بعد القاهر الجرجاني ، بقوله : " ولقد كان الإعجاز القرآني خليقاً أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى بها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية ، وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير والتعبير . وبذل أولئك العلماء جهوداً مشكورة ، وقاموا بمحاولات مضنية لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال ، ولكنهم وقفوا غالباً عند النص الواحد ، فاقتطعواه اقتطاعاً من الوحدة القرآنية الكبرى ، ودرسوه على حدة دراسة تحليلية جزئية ...

إلا أن عبد القاهر كان ذوافة للأسلوب القرآني ، حتى أوشك أن يسبق عصره ، في بعض لمحاته الموفقة التي نفذ بها إلى إدراك الجمال الفني في كتاب الله ، واستمع وهو يفسر هذه الصورة في قوله تعالى : ﴿ وَأَشْعَلَ الرَّأْسُ شَيْئاً ﴾ [مریم : ٤] فسيعجبك منه - بلا

ريب - حسه المرهف الدقيق ، وفهمه طريقة القرآن المفضلة في التعبير والتصوير ^(١)

يتضح من كلام الدكتور صبحي الصالح أنه يشير إلى قضية التصوير الفني في القرآن ، وأهميتها لإدراك إعجاز القرآن الكريم ، وهو هنا يلتقي مع رأي المرحوم سيد قطب ، مع اختلاف بسيط يتعلق بعد القاهر ، فسيد قطب كان يرى أن الجرجاني لم يشر إلى التصوير الذي ينبع عن التركيب ، في حين أن الدكتور صبحي الصالح يشير إلى ذلك عند عبد القاهر .

أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ " فقد أصدرت " الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق " تحدث فيه عن الإعجاز البياني ، وفصلت القول فيه في مظاهر الإعجاز البياني الثلاثة : سر الحرف القرآني ، وسر الكلمة القرآنية ، وسر التعبير القرآني وقدمت فيه نظرات وتحليلات رائعة لم تسبق إلى كثير منها .

أما الدكتور " محمد عبد الخالق عضيمة " فقد أصدر دراسة بعنوان " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " في أحد عشر مجلداً ضخماً، وجعل القسم الثالث من دراسته بعنوان: دراسة أساليب البيان والبلاغة في القرآن ، ولا يستغنى عنها أي ناظر في التعبير القرآني .

(١) الصالح، صبحي : مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢١٥٠ ، ١٩٩٧ م ، ٣١٤ .

وأصدر الدكتور "فاضل صالح السامرائي" - وهو متذوق جيد للتعبير القرآني - ثلاثة كتب قيمة ورائعة في تحليلاته لبيان القرآن ، هي : التعبير القرآني ، وبلاعنة الكلمة في التعبير القرآني ولمسات بيانية في نصوص التنزيل .

وقد تأثر - من المحدثين - بعد القاهر وبلاعنه ونظريته في النظم وتحليلاته الأدبية - إضافة إلى من ذكر سابقاً - كل من: الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه القيم "النبا العظيم : نظرات جديدة في القرآن" ، حيث حدد فيه معنى القرآن ، وحدد مصدر القرآن . وجعل الإعجاز اللغوي في أربع مراتب ، لكن الدكتور دراز توفى - رحمة الله - قبل إكمال مشروعه في الحديث المفصل عن إعجاز القرآن .

والدكتور عبد الفتاح لاشين الذي أصدر دراستين لبيان القرآن : الأولى عن علوم البلاغة في ضوء أساليب القرآن ، والثانية : من أسرار التعبير القرآني .

والدكتور أحمد بدوي في كتابه "من بلاغة القرآن" والدكتور بدوي طباعة في كتابه "البيان العربي" .

من خلال العرض السابق للدراسات البلاغية التي أفاد منها أصحابها من عبد القاهر ونظريته في النظم - في القديم والحديث - تتضح قيمة هذه النظرية وأثرها في الدارسين ومصنفاتهم .

فكأن نظرية النظم عند الجرجاني البوصلة التي يستدل بها الباحثون والبلغيون في دراساتهم وأبحاثهم وتطبيقاتهم ؛ بهدف الكشف عن أسرار بلاغة كتاب الله ، ودلائل إعجازه ، مما يدعو للقول : إن نظرية النظم تعد ثروة فكرية للأجيال الباحثة عن أصلحة الجملة في لغتنا العربية : شعرها ونشرها .

ثانياً - الأسلوب والأسلوبية

الأسلوب والأسلوبية (المفهوم والدلالة) :

يبدو أن مفهوم الأسلوب والأسلوبية مازال غامضاً، لا بسبب قلة ما كتب عنه، وإنما لكثرة تناوله بين النقاد والدارسين، فقد تعددت تعريفاته، وتتنوعت مقاصد الباحثين من إيراده، فكل باحث يعرفه اعتماداً على الحقل الذي ينتمي إليه أو يعني به . وهو بصورة مجملة يعرض للطريقة الفنية في التعبير عن الدلالات أو المعاني، لكنه يمترج في أحيان كثيرة بمفاهيم متعددة في البلاغة والنحو وسائر علوم اللغة والأدب . ولكي تتضح صورة المفهوم – لدينا – لابد من البحث عن المعنى اللغوي "لالأسلوب" في المعاجم اللغوية .

فقد ورد في المعاجم اللغوية استعمالات شتى لما اشتقت من مادة (سلب)، إلا أن الأصل فيها هو الأخذ : أخذ شيء من شيء . قال ابن دريد (ت ٥٣٢١) : سلبت الرجل وغيره أسلبه سلباً، وقالوا سلباً فهو سليب ومسلوب، وقال قوم من أهل اللغة : السلب مصدر والسلب ما يؤخذ من المسłوب . ومنه السّلّاب أي الثياب السود تلبسها النساء في الماتم، وعليه قول لبيد بن ربيعة :

في السّلّاب السّود وفي الأمساح^(١)

ويبين الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ) سبب تسمية ثياب النساء في الماتم بالسلاب فكأنها سميت سلباً لنزع النساء ما كن يلبسن قبل . وقيل : تسلبت المرأة مثل أحذت، والأسالب الفنون المختلفة .^(٢) ويجد الباحث في جمهرة اللغة استعمالات أخرى عند ابن دريد : ناقة سلوب إذا فقدت ولدها بموت أو بنحر، ورجل سليب، وكذلك الرمح إذا كان طويلاً . وهذا يدق معنى الأخذ، إذ المراد به أن الرجل السلب كأنه خارج عن الطول المعتاد للقامة لطوله الواضح، وكذا الرمح .

ويقال : أنسف فلان في أسلوب، إذا كان متكبراً، وقال الزمخشري : " إن قولهم : أنسف فلان في أسلوب، كنایة عن التکبر، فهو لا يلتقي يمنة ولا يسرة " .^(٣)

(١) جمهرة اللغة : ٢٨٩/١ .

(٢) الأصفهاني، الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م، ٢٦٧ .

(٣) أساس البلاغة : مادة (سلب) .

وفي لسان العرب يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، ويقال : والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب . يقال أنتم في أسلوب سوء . وتجمع : أساليب.

وفي المعجم الوسيط يقال : سلكت أسلوب فلان في كذا : طريقته ومذهبه، ويقال : أخذنا في أساليب من القول : فنون متعددة .^(١)

أما عند الغربيين فإن الأصل اللغوي الإنجليزي لكلمة (Style) يعود إلى اللغة اللاتинية، حيث كان يعني عصا مدبية تستعمل في الكتابة على الشمع . ويراد بها أداة الكتابة كالريشة أو القلم، ثم انتقل الأصل بطريق المجاز إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة، فترتبط أولاً بطريقة الكتابة اليدوية، ثم أطلق على التعبير الأدبي، حيث استخدم في العصر الروماني – أيام خطيبهم شيشرون – استعارة تشير إلى خصائص تعبير الخطباء لا الشعراء .

ويرى الباحثون الفرنسيون أن أصل الكلمة (Style) التي يستعملونها اليوم بمعنى الأسلوب، من الكلمة اللاتинية (Stilus) التي تعني إزميلًا معدنيًا، كان القدماء يستخدمونه في الرسم على ألواح مشموعة، وربما نصوا على أن المقصود من الإزميل رأسه المدبب، ومن الطبيعي أن يكون لكل طريقته في استعمال الإزميل .^(٢)

وأخذت الكلمة الأسلوب تتجه لتصبح دلالة على منحنى محدد في هذا النشاط أو ذاك، يحمل قواعد وخصائص تميزه عن غيره من وجوه النشاط وطبيعته .

وأصبحت الكلمة الأسلوب مصطلحاً خاصاً له تعريفه ودلالته، وكان ميدان الأدب وأفاناته وأجناسه، وفروعه ومذاهبه من أهم الميادين التي نجد فيها هذا المصطلح .

وقد أخذ هذا المصطلح في الأدب الغربي يحمل تعريفات مختلفة متضاربة أحياناً، وكانت هذه التعريفات نابعة من مجموع التصورات الفلسفية والفكرية السائدة لدى الشعوب الغربية، ومن جذورها العميقة في تاريخهم .^(٣)

ولا يبدو أن هناك تعريفاً واحداً يمكن أن يجمع ذلك التنوع والتعارض، وقد عرف (ريفاتير) الأسلوب، فقال : " هو كل شيء مكتوب فردي ذي قصد أدبي " .^(٤)

(١) انظر / لسان العرب، والمعجم الوسيط : مادة (سلب)، ٦/٢١٧.

(٢) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم : ٤٨-٥٠.

(٣) النحوى، عدنان علي رضا : الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملترم بالإسلام، دار النحوى للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٧١-٧٢.

(٤) بير جIRO : الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشى، مركز الإنماء القومى، بيروت، ٧٠.

أما (بير جIRO) فيقول : " الأسلوب هو مظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير، هذه الوسائل التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم أو الكاتب " ^(١) .

وهكذا يمكن أن يعني الأسلوب الكيفية التي يستخدم فيها المبدع أداة أو طريقة تعبيرية معينة، وضمن تأليف خاص، فكان الأسلوب طريقة في الكتابة، أو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية، ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدد معنى الأشكال وصوابها – كما يرى جIRO – .

أما (شيلر) فيرى أن : " الأسلوب هو مجموع التنويعات الاختيارية في الكلام، وأنه يحدث بانتقاء واختيار ما من بين إمكانات لغوية متعددة " ^(٢) .

ويمكن القول إن الأسلوب هو مذهب الكاتب وطريقته في تشكيل المادة اللغوية، وعلى هذا يمكن أن تعرف الأسلوبية على أنها منهج ندي حديث بهم بتحليل الظواهر اللغوية والأسلوبية، ليكشف الظواهر الجمالية للنصوص .

وهكذا تبدو أهم سمات المنهج الأسلوبي في : " استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، والظواهر المميزة التي تشكل سمات خاصة فيه، ثم محاولة التعرف على العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب، الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلح على أساليب معينة، ويستخدم صيغاً لغوية، تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالاتها في النص الأدبي " ^(٣) .

فالأسlovية تركز على فهم النص من خلال لغته، وإبراك علاقاته الداخلية للكشف عن قيمة بنية الفنية التي يتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية .

" وبهذا أصبحت الأسلوبية تُعنى بتحليل العمل الأدبي من داخله، دون أن تفرض عليه قوانين خارجية أو أحكام مسبقة، لأن العمل الأدبي قوانينه التي يجب على الناقد أن يستبطها من العمل الأدبي ذاته، وللهذا السبب صارت الأسلوبية منهجاً علمياً موضوعياً، وليس انفلاتاً وراء نزوات أو انتابعات آتية " ^(٤) .

(١) الأسلوب والأسلوبية : ٧٠ .

(٢) برنـد شـيلـر : عـلم الـلـغـة وـالـدـرـاسـات الـأـدـبـيـة ، تـرـجمـة مـحـمـود جـاد الـربـ، الدـار الفـنيـة لـلـنـشـر وـالتـوزـيعـ، الـرـيـاضـ، طـ١٩٨٧ـ، ٨١ـ .

(٣) عـودـةـ، خـليلـ : المـنهـجـ الـأـسـلـوـبـيـ فـيـ درـاسـةـ النـصـ الـأـدـبـيـ، مـجـلةـ النـجـاحـ لـلـأـبـحـاثـ، المـجـلدـ الثـانـيـ، العـدـدـ الثـامـنـ، ١٩٩٤ـ، ٩٩ـ .

(٤) المـجـالـيـ، طـارـقـ عـبدـ الـقـادـرـ : درـاسـةـ أـسـلـوـبـيـةـ لـشـعـرـ نـزارـ قـبـانيـ (رسـالـةـ دـكـتوـرـاهـ) . إـشـرافـ مـحـمـودـ السـمـرـةـ، الجـامـعـةـ الـأـرـدـنـيـةـ، ٢٠٠٠ـ، ١٤ـ .

ويمكن أن تسلك الأسلوبية في إطار المناهج النقدية الحديثة التي تطورت بتأثير من اللغويات الحديثة، ودراسات علم اللغة التي وضع أساسها (فرديناند دي سوسيير)، كما أنها وطيدة الصلة بالبلاغة، التي نظرت في كثير من القضايا الأسلوبية على نحو جزئي، كما تتصل الأسلوبية بكل ماله دور في تشكيل النص من مكونات لغوية أو صوتية أو جمالية أو دلالية تتبع العلوم الفرعية التي تتنمي إليها هذه المكونات.

وهكذا تنبسط الأسلوبية على "رقة اللغة كلها، فجميع الظواهر اللغوية ابتداء من الأصوات حتى أبنية الجمل الأكثر تركيباً، يمكن أن تكشف عن خصيصة أساسية في اللغة المدرسة، وجميع الواقع اللغوي مهما تكن يمكن أن تشفّ عن لمحات من حياة الفكر بأكملها، منظوراً إليها من زاوية خاصة".^(١)

يتضح مما سبق أن الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة والمناهج اللغوية، وقد أكد على ذلك (بيير جирول) حين قال : "إن كلمة أسلوب إذا ردت إلى تعريفها الأصلي، فإنها طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة".^(٢)

وقال أيضاً: "للغة وظيفتان: أولاًـ إنها تعطي الأشياء التي نتكلم عن دلالاتها. ثانياًـ إنها تعبّر عن موقف المتكلم إزاء هذه الأشياء".^(٣)

ويرى الأستاذ الدكتور عدنان قاسم أن : "العناية بالتشكيّلات اللغوية السطحية، قد كان وليد الدراسات اللغوية الحديثة، ومن خلال تفرقة دي سوسيير، في مطلع القرن العشرين، بين اللغة والكلام، ودعوته إلى المنهج الوصفي بدلاًًا للمنهج التاريخي المقارن، وكانت أولى خصائص الأسلوبية، من حيث إنتاجاً فردياً، قد تحدّدت مع تلك التفرقة، وأصبح الأسلوب تحولاًً خارجاً على الثبات المصاحب لقوانين اللغة العامة".^(٤)

ولما كان سوسيير قد ميز في النظام اللغوي بين اللغة باعتبارها نظاماً من الرموز، والكلام باعتباره الاستعمال الفعلي لهذا النظام، فإن مجال الأسلوبية ينحصر في الظاهرة الثانية.

(١) شارل بالي : علم الأسلوب وعلم اللغة العام، من كتاب (اتجاهات البحث الأسلوبى)، اختيار وترجمة شكري عياد، دار العلوم، ط١، ١٩٨٥م، ٣١ .

(٢) الأسلوب والأسلوبية : ٥ .

(٣) عياشي، منذر : مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠م، ٧٣ .

(٤) قاسم، عدنان : الاتجاه الأسلوبى البنوى في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ٩٧ .

ولكن هل جميع مستويات الكلام تدخل في إطار الدراسة الأسلوبية؟ من المؤكد أن الدراسة الأسلوبية تقضي أن يكون الكلام ذا مستوى فني معين، وأن يكون مميزاً عن الكلام العادي أو ما يسمى لغة الخطاب النفعي . فهي تخلو من الأسلوب الذي هو مجال الدراسة الأسلوبية^(١).

وبما أن المبدع يعتمد على اللغة بوصفها المادة الأساسية في عمله الإبداعي، فإن الأسلوبية تتأمل طريقة استخدام اللغة، لتجمع من الجزئيات والتفاصيل ما يمكن الخروج به من تعليمات تحليلية تدل على طبيعة أسلوب الكاتب أو الشاعر، ويمكن أن يتم هذا التحليل وفق مستويات التحليل الأسلوبية من الناحية العملية وهي : المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

وقد يبرز مستوى أكثر من غيره في دراسة ظاهرة ما، لأن طبيعة الظاهرة التي تخضع للدرس الأسلوبية تقضي مستوى دون آخر، ففي ظاهرة التكرار – على سبيل المثال – يبرز المستوى النحوي أكثر من المستويات الأخرى، وعلى الرغم من الدور الخطير للنحو في الدرس الأسلوببي، إلا أنه قد يغيب أحياناً في دراسة ظاهرة ما، ليحل محله المستوى الصوتي، ففي الظواهر الصوتية كالقافية – مثلاً – يبرز المستوى الصوتي أكثر من غيره وقد تكون الحاجة إلى المستوى الصرفي ماسة، وبخاصة في دراسة بعض التشكيلات الإيقاعية الداخلية، وعليه فإن العلاقة بين الظاهرة الأسلوبية والمستويات اللغوية، علاقة عضوية، ولكن طبيعة الظاهرة تجذب إليها مستوى دون غيره .^(٢)

إن عملية الخلق الأدبي تقضي مبدعاً ونصاً، فإن العمل الأدبي لا يكون خلقاً إلا إذا توفر له متلق، " فالنص الأدبي يظل ناقصاً عديم الفائدة، ما لم يحظ بمتلق واع يعيد التجربة، ويتمثل أبعادها، وهنا لابد من إدراك علاقة اللغة بالإحساس الشخصي وقدرة الأديب و المتلقى – على حد سواء – على فهم هذه العلاقات و إمكانية التعامل معها على هذا الأساس "^(٣) .

ولا تقتصر العلاقة بين النص والقارئ المتلقى على الإرسال والاستقبال، " فالنص والقارئ عنصران متلازمان، كلاهما يؤثر في الآخر : الأول يؤثر من حيث إنه أداة للإفهام

(١) أبو حميدة، محمد صلاح : الخطاب الشعري عند محمود درويش – دراسة أسلوبية، مطبعة المقاديد، غزة، ط١، ٢٠٠٠م، ١٩ .

(٢) عتيق، عمر إبراهيم : دراسة أسلوبية في شعر الأخطل (رسالة ماجستير) . إشراف خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١-٢٠٠٠م، ٥ .

(٣) المنهج الأسلوببي في دراسة النص الأدبي، مجلة النجاح للأبحاث : ١٠٩ .

والإقناع، وتأثير الثاني يتمثل في أنه يبعث الحياة في النص، و يجعله قادرًا على إثبات وجوده^(١).

وهنا يجب التأكيد على أن كل ظاهرة لغوية أو فنية أو موسيقية، لا تحمل بذاتها قيمة جمالية ما لم تتم دراستها في بيئتها السياقية، لأن السياق هو الذي يضفي قيمة تعبيرية وإيحاءات وجاذبية على المثيرات الأسلوبية التي استخدمها المبدع، وهنا "لابد من التذكير بأن أي تحديد لغوي في ذاته، ومنفرداً، لا يعبر عن أي شيء كان . فما يكون الدلالة إنما هو حزمة، أو باقة تشتراك مع عناصر أخرى ذات أنظمة مختلفة"^(٢).

وقد تمسك الأسلوبيون بدراسة أسلوب النص، ونظروا إلى دراسة الأسلوب في سياق الحدث الأدبي الذي ينطلق من مواصفات أبرزها : الدلالة والتعبير والتأثير.

ومن اتجاهات علم الأسلوب : " اتجاه وظيفي Functional يرى أن العمل الفني لا ينبغي أن يحل على مستويات جزئية، وإنما على أساس (السياق) ودراسة الأسلوب هنا تقرر أن كل كلمة إنما هي جزء في جملة، وأن كل جملة جزء في فقرة، وأن كل فقرة جزء في موضوع . وعلى الباحث أن يدرس وظيفة كل هذه الأجزاء في (سياق) العمل الفني"^(٣). وما دام السياق مكوناً من عناصر لغوية، فإن محل الأسلوب مطالب بتفكيك السياق إلى عناصره، ثم اكتشاف العلاقات السطحية والعميقة التي تربط بين تلك العناصر، بهدف النهوض بالقيمة الأسلوبية للظاهرة المدرستة في إطارها السياقي ... ومن هنا قد يستعين المحل الأسلوبي بالبنوية التي تتوجه لتشريح النص والوقوف على عناصره، ودراسة العلاقة بينها لفهم بنيتها، وتدرس — كذلك الكيفية التي شيد عليها بناء النص، أو الكيفية التي تتنظم بها عناصر النص، فتتحدد علاقة العنصر بغيره من العناصر داخل النص، وهذا يعني أن ثمة تقاطعاً بين الأسلوبية والبنوية يمكن أن تشكل اتجاهًا يحمل اسم " الاتجاه الأسلوبي البنائي والبنيوي " . فعلم الأسلوب لا يحول دون الاستعانة بمنهج نceği آخر للكشف عن القيم التعبيرية للنص .

(١) الخطاب الشعري عند محمود درويش " دراسة أسلوبية " : ١٢ .

(٢) مولينيه، جورج : الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ٦٣ .

(٣) عنبر، عبد الله نايف : نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث (رسالة دكتوراه). إشراف نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، ١٩٩١ م : ١٧٢ .

وفي إطار دراسة النص الأدبي قد لا تفي الدراسات الأسلوبية في فهم مجمل جوانب العملية الإبداعية، ولهذا ينبغي على الدارس أن يعتمد مناهج أخرى، تتضاد مع المنهج الأسلوبي أو تكون مكملة له .^(١)
وي ينبغي هنا التأكيد على ما يلي :

- ١- إن مصطلح الأسلوبية لم يظهر " إلا في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علمًا يدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي أو التحليل النفسي أو الاجتماعي تبعاً لاتجاه هذه المدرسة أو تلك ".^(٢)
- ٢- إن مفهوم الأسلوب والأسلوبية ما زال غامضاً، وذلك بسبب تعدد تعريفاته التي تعود إلى تنويع مقاصد الباحثين من إيراده .
- ٣- يرى الباحث أن يكتفي بما ذكره سابقاً حول مفهوم الأسلوبية لأن هذا يساعد في عدم تشعب البحث، وذلك لكثره ما قيل عن الأسلوبية في الكتب .
- ٤- " لقد عرف التراث العربي الظاهرة الأسلوبية، فدرسها ضمن الدرس البلاغي . ولو تأمل المتأمل، لتأكد له أن الدرس البلاغي العربي إنما كان درساً أسلوبياً على وجه الإجمال .
وما كان ذلك ليكون إلا لأن الدرس اللغوي واللسانيات كان سابقاً على الدرس البلاغي في التراث العربي".^(٣)

الظاهرة الأسلوبية في التراث العربي :

ووجدت كلمة الأسلوب مجالاً طيباً في دراسات الإعجاز البلاغي، حيث تناولها العلماء المهتمون بإثبات إعجاز القرآن في سبيل المقارنة بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب، وقد تفاوت هذا المفهوم ضيقاً واتساعاً من باحث إلى آخر^(٤).

(١) دراسة أسلوبية في شعر الأخطل، رسالة ماجستير : ٧ .

(٢) درويش، أحمد : الأسلوب والأسلوبية - مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٤م، ٦٠ .

(٣) مقالات في الأسلوبية : ٣٠-٢٩ .

(٤) عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ٣٥٣ .

وقد اقترنت كلمة الأسلوب بالفن، على نحو ما جاء في قول ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) "إنما يعرف فضل القرآن من كثرة نظره واتساع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتئانها في الأساليب"^(١).

وتميز (ابن قتيبة) بربطه اللافت بين الأسلوب وطرق أداء المعنى على اعتبار أن لكل مقام مقالاً، وهو يرجع تعدد الأساليب إلى اختلاف المواقف، وطبيعة الموضوع، ومن ثم إلى مقدرة المتكلم .

وقد حاول ابن قتيبة الربط بين الأسلوب والنص الأدبي كله، حيث يقصر كلامه على الجملة الواحدة .

وكذلك اقترنت — كلمة الأسلوب — بالفن عند الخطابي (ت ٣٣٨ هـ)، وقد خص بلاغة القرآن بأنها لا تجتمع لأحد من البشر، ولا يجوز أن تأتي عليها قدرته، وإن كان أفصح الناس وأعرفهم بطرق الكلام وأساليب البيان .

أما الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) فقد تأثر كثيراً بالخطابي والرمانى، فقال : إن نظم القرآن على تصرف وجهه وتبني مذاهبه، خارج عن المعمود من نظام جميع كلامهم، ومبادرات المأثور من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتمد . ثم خطأ الباقلاني خطوة أبعد مما رمى إليه ابن قتيبة، إذ جعل الأسلوب المخصوص للقرآن وجهاً للإعجاز عندما قال : فهذا إذا تأمله المتأنل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم . إنه خرج عن العادة، وإنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه^(٢).

ويرى الدكتور إبراهيم خليل أن النقاد العرب قد أغفلوا أبا بكر الباقلاني، ولم يلتقطوا إلى جهوده النقدية المتمثلة في كتابه "إعجاز القرآن" وعلى الرغم من تأثيره الكبير فيما جاؤوا من بعده، حيث يقول : "ويكفي أن نعلم ما أحدثه من أثر في عبد القاهر الجرجاني وكتابه "دلائل الإعجاز" للتدليل على قيمته الأدبية والنقدية، فصلب نظرية (النظم) التي جاء بها عبد القاهر موجود في كتاب "إعجاز القرآن" وما فعله عبد القاهر في الدلائل إعادة قراءة لمنهج الباقلاني في الكلام على القرآن الكريم وإعجازه^(٣).

(١) تأويل مشكل القرآن : ١٢ .

(٢) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم : ٤٠-٣٩ .

(٣) خليل، إبراهيم: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ١٧.

أما الأسلوب كما عالجه الباقلاني هو (المظهر اللغوي للنص)، فقد كان تحليله للنصوص التي تناولها قائماً على دراسة الجانب اللغوي والتركيبي، وما يعرض للكلام من أساليب التناسب والاتساق والتركيب، وهذا ما يتم تناوله في الدراسات الأسلوبية الحديثة التي تعتمد الوحدة في النص، والملاءمة بين الألفاظ، ومعرفة الأسلوب الشخصي للكاتب.

ومن هنا يأتي تميز أسلوب القرآن الكريم الذي يمثل المظهر اللغوي للكلام الإلهي، بحيث لا يشاركه في هذا الأسلوب كلام آخر.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فإن القضية الأساسية لديه هي التفرقة بين مستويات الكلام البشري والإلهي المعجز، ولا تتم هذه التفرقة دون أن نأخذ بعين الاعتبار (مستوى الكلام الأدبي) ومميزاته.

ومن خلال التفرقة بين اللغة والكلام يمضي عبد القاهر؛ ليؤسس نظرية (النظم) التي يميز على أساسها بين كلام وآخر، فعلى مستوى (النظم) تتحقق للمتكلم الحرية المتاحة له داخل قوانين اللغة.

وهكذا فقد كان عبد القاهر " على وعي تام بالفارق بين اللغة والكلام، ذلك الفارق الذي أرسى دعائمه العالم دي سوسير، وطوره تشومسكي في تفرقته بين الكفاءة والأداء، وأن قوانين النحو ومعانٍ الألفاظ تمثل عند عبد القاهر (النظام) القارئ في وعي الجماعة الذي تقوم اللغة على أساسه بوظيفتها الاتصالية، أما الكلام فهو التحقق الفعلي لهذه القوانين في حدث كلامي بعينه^(١).

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن الدور الأساسي في عملية النظم يعود إلى المتكلم، إذ إن قوانين النحو المعيارية هي قوانين وضعية لا تفرق بين كلام وكلام، ولا تؤدي إلى تناقض في مستويات الكلام، بل إن دورها يقتصر على تحديد معايير الخطأ والصواب، ولكن الفارق بين مستوى كلام ومستوى كلام آخر يعود إلى المقدرة الخاصة للمتكلم على صياغة اللغة، وإعادة تشكيلها، أي إلى (النظم) الذي يفرق بين الكلام.

ويرجع عبد القاهر القدرة على النظم إلى المقدرة العقلية للمتكلم التي لا تقتصر على مجرد العلم باللغة، وتتمثل ببراعة المتكلم في القدرة على الانتقاء التي تمكنه من الاختيار بين الإمكانيات المختلفة المتاحة له.

(١) أبو زيد، نصر : مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول، العدد الخاص بالأسلوبية، ١٩٨٤م، ١٣.

وقد أكد عبد القاهر على النظرة الشمولية للنص، والتي تمكن القارئ من الوقوف على جمالياته، " فهو — في نظره — لا يستطيع أن يحكم على المزية فيه من قراءة البيت، أو الأبيات الأولى، وإنما يقتضيه هذا النظر والانتظار حتى يقرأ بقية الأبيات .

وقد لا يستطيع أن يقف على أسرار النص ما لم يستفرغ جهده في تأمل القطعة الأدبية كاملة، وبعد ذلك يستطيع أن يتبيان المزايا التي تجعله يقف على ما فيها من براعة النّقش أو جودة التصوير والتعبير^(١).

ومن النقاد الذين تلمح لديهم ملحاً أسلوبياً في معالجاتهم النقدية ابن رشيق القير沃اني (ت ٤٥٦ هـ) الذي ينحو بمفهوم الأسلوب إلى منحى الصياغة اللفظية، وما يتتوفر فيها من تلاؤم الأجزاء، وسهولة المخرج، وعذوبة النطق، وقرب الفهم، يقول في باب النظم : " قال أبو عثمان الجاحظ : " أجود الشعر مارأيته متلائم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكًا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان " . وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذ سماعه، وخف حمله، وقرب فهمه، وعذب النطق به، وتحلى في قلب سامعه، فإذا كان متنافراً متبيناً، عسر حفظه، وتقل على اللسان النطق به، ومجته المسامع، فلم يستقر فيها منه شيء^(٢)"

والأسلوب عند القرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) طرقه الضم والتأليف للأفكار الصغيرة داخل الغرض الشعري، وهو شبيه بطريقة الضم والتأليف للألفاظ، يتضح ذلك في قوله : " لما كانت الأغراض الشعرية يقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد وسائل منها تقتني كجهة وصف المحبوب وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطلول ... " إلى أن يقول : "... وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ، لأن الأسلوب يحصل على كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول وكيفية الإطراد من أوصاف جهة إلى جهة .

فكان منزلة النظم في الألفاظ الذي هو صورة كيفية الاستمرار في الألفاظ والعبارات والهيئة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها إلى بعض وما يعتمد فيها من ضرورة الوضع وأناء الترتيب^(٣)

(١) الأسلوبية ونظرية النص: ٥٥ .

(٢) القير沃اني، ابن رشيق : العمدة في محسن الشعر وأدابه، تج. محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١/٢٥٩ .

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٦٣ .

فمفهوم الأسلوب عنده _ القرطاجني _ واضح، ليس فيه شيء من الغرابة، وذلك أن القرطاجني، حين ذهب إلى أن الأسلوب هيئه تحصل عن التأليفات اللفظية، وأن الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ، فوجب أن يلاحظ فيه من حسن الاطراد والتاسب والتناسف في الانتقال عن جهة إلى جهة .

فكان القرطاجني في هذا كله "يشبه ويقارن بغية التوضيح والإبانة عن مقصده، لأن أمر النظم وتأليف الألفاظ أوضح في الأذهان من أمر الأسلوب، فضلاً عن أن الاطراد في الأغراض وظهور الميزة فيه واستمرارها مما قال به الباقلاني وهو يعدد وجوه الإعجاز البلاغي. إن رأي القرطاجني في الأسلوب حلقة من سلسلة متصلة الحالات، أفاد فيه ممن سبقه من علمائنا، قوله فيه فضل الإضافة "(١)".

وقد تميز حازم القرطاجني عن البلاغيين بنظرية أكثر شمولًا للنص، فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول رغم أن لها أحکاماً في البناء . وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة وما سمّاه بالقطع وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير والنهائي عن القصيدة (٢) .

وذهب ابن خلدون (ت ٨٢١ هـ) إلى "أن لكل فرد من الكلام أساليب تختص به، توجد فيه على أنحاء مختلفة، فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول وباستدعاء الصحب للوقوف والسؤال، أو باستبقاء الصحب على الطلول أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين وغيره" (٣) .

وكلام ابن خلدون متابعة لما ذهب إليه حازم القرطاجني، فلكل غرض شعرى معان يتوجه فيها الشعراء وجهات مختلفة، وكل وجهة أو نحو ملامح جديدة .

وقد فرق ابن خلدون بين علوم اللغة والإبداع، فعلوم النحو والبلاغة والعروض علوم مرشدة لإصلاح الكلام، ومطابقته لقوانين النظم والنشر، أما صياغة الأسلوب الجميل فهي فن يعتمد الطبيع، والتمرس بالكلام البلجيغ، وهذا من جانب آخر تأكيد على وحدة النظام اللغوي وتفاعل مفرداته، وهذه العلوم متصلة فيما بينها اتصالاً وثيقاً منسجماً، مما يتتيح للمبدع أن يتميز في الإبداع .

(١) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم : ٤٥ .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٢٨٧: وما بعدها .

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تحر. على عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م، ٤ / ١٢٩١ .

ويعد الأسلوب عند ابن خلدون بأنه صورة ذهنية لا تأخذ الشكل المتجسد إلا بتمام التركيب اللغوي، فهي طريقة من طرق التعبير يسلكها المتكلم خطاب الأطلال أو استدعاء الصحب للوقوف والسؤال^(١).

وهنا تبدو إفادة ابن خلدون من سابقيه، حيث يلور مفهوم الأسلوب، واعتمد ما كان في التراث اللغوي من فلسفة لغوية أثرت في النقد، فتطور في ضوئها مفهوم الأسلوب. نخلص من هذا إلى أن الأصل اللغوي لكلمة (أسلوب) هو الأخذ، ثم تأتي الدلالة المتعددة للأخذ من استعماله في سياقات مختلفة، وقد افترنت كلمة الأسلوب بالفن، وأدى هذا إلى معنى الأصالة والتجديد.

وقد وجد الأسلوب مجالاً خصباً في ميدان دراسة الإعجاز البلاغي، لأنه كان مليئاً لغرض العلماء في التفريق بين القرآن الكريم وكلام العرب من حيث البلاغة المعجزة، حيث حدد ابن خلدون مفهوم الأسلوب الاصطلاحي تحديداً دقيقاً، سبق به دخول المصطلح في النقد الأوروبي في أوائل القرن العشرين.

(١) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: ٤٧.

الفصل الأول

مفهوم الترافق والتتشابه

الفصل الأول

مفهوم الترافق والتتابع

الترافق لغة :

يدور معنى الترافق في المعاجم وكتب اللغة على التتابع والتoward والتعاون والركوب.

قال ابن منظور "صاحب اللسان": الرِّدْفُ: ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئاً، فهو رِدْفُهُ، وإذا تتابع شيء فهو الترافق، ... ويقال: جاء القوم رُدَافَى أي بعضهم يتبع بعضاً... والرِّدْفُ: الكَلَّ والعَجْزُ، وخص بعضهم به عجيبة المرأة، والجمع أرداف ... وردف الرجل وأردفه، ركب خلفه... والمترافقُ: كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان ... وأرداف النجوم: توالياً وتوابعاً. وأردفت النجوم أي توالٍ^(١). وقال إسماعيل بن حماد الجوهرى - صاحب الصلاح - : "الرِّدْفُ": المُرْتَدُفُ، وهو الذي يركب خلف الراكب ، وأردفته أنا ، إذا أركبته معي، وذلك الموضع الذي يركبه رِدْفُ . وكل شيء تبع شيئاً فهو رِدْفُهُ ، وهذا أمر ليس له ردف ، أي ليس له تَبَعَةً... والرِّدْفَانُ: الليل والنهر ... وأردفت النجوم، أي توالٍ . ومرادفة الجراد : ركوب الذكر الأنثى والثالث عليهما . ويقال : هذه دابة لا ترافق ، أي لا تحمل رديفاً ... والترافق : التتابع . قال الأصمي : تعاونوا عليه وترافقوا ، بمعنى^(٢) .

وقال أحمد بن فارس : "الرِّدِيفُ": الذي يرافقك . وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه. والترافق : التتابع . وردف المرأة : عجيبةها ... وأرداف النجوم : توالياً ... والرِّدَافَى هم الحَدَّاءُ؛ لأنهم إذا أعينا أحدهم خلقة الآخر ... والردفُ : اسم جبل. ويسمى رواكيب النخل : روادف^(٣).

وهكذا تقترب المعاني اللغوية للترافق ، حتى إنَّ المعاجم وكتب اللغة تكاد تعيد الكلام نفسه ، وتجمع هذه المعاجم على معاني التتابع والتالي والتoward والركوب ، وجميعها تتطلب التعاون ، كما أن رديفي الإنسان أو الحيوان يتتابعان أو يتواлиان أو يتعاونان في المشي والركوب .

(١) لسان العرب : مادة (ردف) ٥ / ١٨٩ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية : ٤ / ١٣٦٣ .

(٣) فارس، أحمد بن: مجلل اللغة، تحرير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ م / ٢٤٢٧ .

الترادف اصطلاحاً :

أختلف العلماء وتبينت آراؤهم في بيان حد الترادف ، ولبيان هذا الاختلاف لا بد من استعراض آرائهم ، فقد قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : " اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعندين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعندين ... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعندين هو نحو : جلس وذهب ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب وانطلق ، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قوله : وجدت عليه من المؤجدة ووجدت إذا أردت وجدان الضلة وأشباه كثير " ^(١) .

فقد أشار سيبويه في تقسيمه للألفاظ في باب اللفظ للمعاني إلى ظاهرة الترادف ولكن دون أن يذكر مصطلح " الترادف " فالقسم الثاني الذي عبر عنه : باختلاف اللفظين والمعنى واحد ، وقد مثل له بقوله : ذهب وانطلق .

وقال الشريف علي الجرجاني (ت ٨٦٦ هـ) : " الترادف عبارة عن الاتحاد في المفهوم " ^(٢) .

أما الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) يقول : " الترادف هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد كالقمح والبر والحنطة " ^(٣) .

وقال أولمان : " المترادفات ألفاظ متحدة المعنى ، قابلة للتبدل فيما بينها في أي سياق " ^(٤) .

هذه أمثلة من تعاريفات النحويين واللغويين، تعكس آراءهم وفهمهم لفكرة الترادف، وقد تفاوتت هذه التعريفات في القيود والشروط ، فالمشترك بينها هو أنها ألفاظ مفردة ، وأنها تلتقي على المعنى الواحد ، وبذلك استبعدوا المركبات أو الجمل .

وقد وضع الرازي قياداً هو "الاعتبار الواحد"؛ ووضع أولمان قياداً رابعاً هو تبادل السياق.

وقد عبر كثير من علماء العرب عن الترادف بعبارات مختلفة ومما يدل على ذلك

عنوانين الكتب التي ألفت - قديماً وحديثاً - من مثل :

(١) الكتاب : ٢٤ / ١

(٢) كتاب التعريفات : ٥٦

(٣) السيوطي ، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م ، ٣١٧ / ١ .

(٤) أولمان ، ستيفن : دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، المطبعة العثمانية - مكتبة الشباب ، ط ٣ ، ١٩٧٢ م ، ٩٨ .

- | | |
|--|---|
| لالأصمسي (ت ٢١٦ هـ) | - ما اختلفت ألفاظه واتفاق معانيه |
| لأبن السكين (ت ٢٢٤ هـ) | - الألفاظ |
| القاسم بن سلام (ت ٢٣١ هـ) | - الغريب المصنف |
| للهمذاني (ت ٣٢٧ هـ) | - الألفاظ الكتابية |
| لقادمة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) | - جواهر الألفاظ |
| الخطيب التبريزي (ت ٣٧٩ هـ) | - تهذيب الألفاظ |
| لعلي بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) | - الألفاظ المتراوحة المتقاببة المعاني |
| للعسكري (ت ٣٩٥ هـ) | - التخیص في معرفة أسماء الأشياء |
| لابن الاجدابي (ت ٤٧٠ هـ) | - كفاية المتحفظ |
| للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) | - مجمع البلاغة |
| لابن مالك (ت ٦٣٦ هـ) | - الألفاظ المختلفة في المعاني المؤلفة |
| للأب رفائيل نخلة اليسوعي | - قاموس المترادفات والمتجلانسات |
| للسيد إبراهيم البازجي | - نجعة الرائد وشريعة الوارد في المترادف والمتوارد |
| - معجم المعاني للمترادف والمتوارد والنفيض من أسماء وأفعال وأدوات لنجيب اسكندر. | |
| هذه المجموعة من الكتب التي تعالج موضوع الترافق ، ولكنها لا تسير على منهجية واحدة في التناول، كما أنها لا تصدر عن فهم واحد لاصطلاح الترافق، وهي لم تقتصر في معالجتها على الألفاظ المفردة، وإنما تعالج المفردات والمركبات على حد سواء، وهي تقيم بناءها على ما يقال في المعنى الواحد من ألفاظ مفردة أو مركبات، الأمر الذي يدل على الالتباس أو الإشكال في مفهوم الترافق، وكأنهم لم يتتفقوا على رأي جامع في هذا. وكما اختلف العلماء في التعريفات فقد اختلفوا في التسميات ، فهي ألفاظ مترادفة ومتوازنة ومتكافئة ومتباينة . | |

فهي مترادفة عند من سبق ذكر تعريفاتهم ، وهي متباينة عند من أنكروا ترافقها ، فقد قال الإمام الرازى في الترافق : " ومن الناس من أنكره ، وزعم أن كل ما يُظن من المترادفات فهو من المتبادرات " (١)

وقال الناجي السبكى (ت ٧٧١ هـ) : " ذهب بعض الناس إلى إنكار المترافق في اللغة العربية ، وزعم أن كل ما يُظن من المترادفات فهو من المتبادرات التي تتباين بالصفات ، كما في الإنسان والبشر ؛ فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار

أن يؤنس ، والثاني باعتبار أنه بادي البشرة ، وكذا الخنديس العقار ؛ فإنَّ الأول باعتبار العنق ، والثاني باعتبار عقر الدُّنْ لشتتها وقد اختار هذا المذهب أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الذي ألفه في فقه اللغة والعربية وسنن العرب وكلامها ، ونقله عن شيخه أبي العباس ثعلب^(١) .

ولم يستعمل القدماء هذا الاصطلاح اللغوي إلا في نهاية القرن الثالث الهجري ، أمّا قبل ذلك ، فقد كان الحديث عن الترافق باعتباره ظاهرة لغوية كائنة في اللغة العربية ، وذلك عند حديثهم عن الكلام وأنواعه ، وأول من استعمل كلمة ترافق هو ثعلب ، ثم جعلها الرمانى عنواناً لكتابه "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعانى" وذلك في القرن الرابع الهجرى ، مع أنه – الرمانى – لم يتعرض للتراصف بتعريف .

وتبدو العلاقة وثيقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي للتراصف ، " فإنَّ الكلمات قد تترافق على المعنى الواحد أو المسمى الواحد ، كما يتراصف الراكبان على الدابة الواحدة "^(٢)

وقد أشار الشريف الجرجاني إلى هذه العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي بقوله: "المترادف ما كان معناه واحداً ، وأسماؤه كثيرة ، وهو ضد المشترك أحداً من التراصف الذي هو ركوب أحد خلف الآخر ، لأنَّ المعنى مركوب ، واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد".^(٣)

أما الكيا الهرّاسى (٤٥٠ هـ) فإنه يأتي بعكس ما قال العلماء الذين تحدثوا عن ظاهرة التراصف واصطلحوا عليها ، فهو يجعل الألفاظ التي بمعنى واحد في قسمين : ألفاظ متوازدة ، وألفاظ مترادفة : "فالمتوازدة كما تسمى الخمر عقاراً ، وصهباء ، وقهوة وسلسالاً؛ والسبع ليثاً ، وأسدًا وضيرًا غالماً .

والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظٍ لمعانٍ متقاربة، يجمعها معنى واحد؛ كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعّت ، ورثق الفتق ، وشعب الصداع^(٤).

وهو بهذا يجعل التراصف في المركبات ، أما المفردات التي على معنى واحد فهي عنده متوازدة ، وهي التي اتفق العلماء على أنها مترادفة ، وهذا يعني أنَّ الكيا الهرّاسى سار على غير ما رأى جمهور العلماء .

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣١٧.

(٢) لعيبي ، حاكم مالك : التراصف في اللغة ، دار الحرية الطباعة ، بغداد م ١٩٨٠ ، ٣٣ .

(٣) كتاب التعريفات: ١٩٩.

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣٣ .

وقد ذُكر سابقاً أنَّ الترافق كان ابتداءً حديثاً عن ظاهرة لغوية ، وقد وضع العلماء لها تعرifications وقيوداً ، وابتدأ ثُلُب باستعمال هذا المصطلح "الترافق" ، ثمَّ أُلفت بعد ذلك كتب في الألفاظ والمعاني ، حملت كلمة الترافق في عناوينها أو في شروحها . وقد ضمت هذه الكتب المترافقات ألفاظاً ومركبات ، مخالفة بذلك التعريف الذي وضعه العلماء الذين سبقوهم .

وتفسِّير ذلك أنَّ الاتفاق على الظاهرة والاختلاف في التعريف أُوجد عند العلماء في فترة الجمع ، التي ازدهرت في القرن الرابع الهجري ؛ حرصاً على جمع ما يمكُن أن يكون على المعنى الواحد . ويبدو الخلط واضحاً بين المترافق وغير المترافق في معظم الكتب التي أُلفت في الألفاظ أو في المترافقات ، فالأسمعي مثلاً لم يلتزم بتعريف العلماء للترافق ، فقد أورد في كتابه "ما اختلف ألفاظه واتفقت معانيه" مترافقات مفردة ، وأخرى مركبة ، كما أنه عَدَ من المترافقات تلك الكلمات التي جاءت من جذر واحد مع اختلاف في ترتيب الحروف ، أو تبديل حرف ، من مثل جذب وجاذ ، والنشوز والنشوص .

وَهذا مثلاً الأسمعي في هذا ابن سلام (ت ٢٣١ هـ) فيما سَمَاه "كتاب الأسماء المختلفة للشيء الواحد" الذي ورد في كتابه "الغريب المصنف" ومثله كذلك الرمانى في كتابه "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني" .

ولو تمَّ تتبع جميع تلك الكتب التي أُلفت في المفردات ، أو كتب الموضوعات التي أُلفت على شكل رسائل صغيرة ، تجمع ما يتعلق بالموضوع الواحد ، من مثل كتاب المطر والإبل والخيول وخلق الإنسان وغير ذلك ، أو كتب الفوادر ، لو تمَّ تتبع هذه الكتب ، لُوْجد أنها تحشد الكثير من المترافقات وغير المترافقات ، دون منهجية واضحة ، دون التزام بتعريف واحد للترافق .

يستفاد مما سبق أنَّ الترافق : هو توالي الألفاظ المختلفة على معنى واحد ، دون أن يكون هناك شروط أخرى ، وأنَّ لفظ الترافق كان متَّخراً ، وأنَّه مولد ، ولم يكن متداولاً بين العلماء المتقدمين ، وهذا يفسر سبب الاضطراب في فهم مصطلح الترافق ، وتتَّلَقَّل متَّخراً العلماء اللغويين تعريف الترافق عن الأصوليين ، حيث إنَّ العالم اللغوي محمد بن مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب كتاب "تاج العروس من جواهر القاموس" عرَّف الترافق بتعريف الفخر الرازي له .

ومثله فعل السيوطي (ت ٩١١ هـ) في كتابه "المزهر في علوم اللغة وآدابها" حيث أورد تعريف الفخر الرازمي أيضاً . وهذا يدل على مدى مشاركة الأصوليين برأيهم في بحث قضية الترادف ، وهو ما نجده واضحاً لدى اللغويين المتأخرين ، بما يذكرون من آراء الأصوليين في هذه المسألة^(١) .

اختلاف آراء العلماء في الترادف :

للعلماء في الترادف آراء متباعدة ، فبعضهم يقول بالترادف ، ويفاخر به ، وبقدرة العربية وتميزها عن غيرها ، ومن هؤلاء العلماء : أبو زيد الأنصاري، وابن خالويه، والأصمسي، وابن جني، والفيروزأبادي، وقطوب ، وابن سيده ، والرمانى ، والهمذاني ، وأبو علي الفارسي ، والمبرد ، والأصفهانى وقد أورد جلال الدين السيوطي في كتابه "المزهر في علوم اللغة وآدابها" آراء بعض هؤلاء العلماء القائلين بالترادف .

" قال أبو زيد الأنصاري اللغوي (ت ٢١٥ هـ) : قلت لأعرابي ما المحبطي ؟ قال: المتكاكي. قلت: ما المتكاكي ؟ قال: المتألف . قلت ما المتألف ؟ قال : أنت أحمق " ^(٢) . لأن الأعرابي سئم مسأله .

ويستدل من هذا على أن العربي كان يحتفظ للمعنى الواحد بألفاظ متراوحة للدلالة عليه دون تفريق .

قال العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجواب : " حکی الشیخ القاضی أبو بکر العربی بسنہ عن أبي علي الفارسي قال : كنت بمجلس سیف الدولة بحلب وبالحضور جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ لسیف خمسين اسمًا ، فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلا اسمًا واحدًا ، وهو السیف . قال ابن

(١) انظر /

- الشابيع، محمد: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، مكتبة العبيكان – الرياض ،

ط ١ ، ١٩٩٣ م، ٢٩ .

- تاج العروس : ١ / ٩ .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣١٧ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣٢٣ .

خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفاتٌ ؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة^(١).

وكان ابن خالويه أشد العلماء تحمساً وانشغالاً بالترادف ، وله فيه كتب كثيرة ، منها كتاب في أسماء الأسد ، وأخر في أسماء الحية .

ومما يروى عن الأصمعي قال ابن فارس : " وأخبرني علي بن أحمد بن الصباح قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمّه أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام الفلكي ، ففسره فقال : يا أصمعي ؛ إن الغريب عندك لغير غريب . قال : يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسمًا ؟ "^(٢) .

ويفسر قطرب (ت ٢٠٦ هـ) سبب شغف العرب بالترادف ، فيقول : " إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ؛ ليدلوا على اتساعهم فسي كلامهم ، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ، ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم ، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب "^(٣) .

أما الترادف عند ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) فهو اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، وأن العرب تعبّر عن المعنى المراد بغير اللفظ المعتمد ، يقول ابن جني : " وهذا ونحوه عندنا هو الذي أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة على معانٍ متقدمة ، وكأن أحدهم إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود فإنه لم يأت إلا به ، ولا عدل عنه إلى غيره ، إذ الغرض منهما واحد ، وكل منهما لصاحبه مرافق "^(٤) .

ويبدو أن ابن جني يرى بأن يكون المعنى الواحد لفظ واحد ، ويتصحّح هذا من عنوان المبحث "باب إبراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتمد" ، فخص المعنى بلفظ معتمد ، إلا أنه جوّز إبراده بغير ذلك اللفظ.

وللفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ولع شديد بالترادف ، حيث ألف كتاباً دعاه " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألواف" كما ألف كتاباً آخر عن العسل سمّاه " ترقيق الأسل لتصفيق العسل ".

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣١٨ / ١.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٢٥٧ / ١.

(٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٣١٥ / ١.

(٤) ابن جني ، أبو الفتح عثمان: الخصائص ، تج. محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ،

وقد أورد صاحبُ "المزهُر" أسماء العسل التي ذكرها الفيروزأبادي في كتابه المذكور سابقاً: "العسل ، والضرِّب ، والضرِّبة ، والضرِّيب ، والشُّوب ، والذُّوب...والسَّدِي ، والرَّحِيق ، والرَّحَاق ، والصَّمْوت ، والمجُّ ، ... والنَّحل ، والأصبهانية"^(١) وقد علق السيوطي على ذلك بقوله : " ما استوفى أحداً مثل هذا الاستيفاء ، ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ "^(٢).

ومثل السيوطي على ذلك بالصرخي ، والسعالبيب ، وأنها من أسماء العسل . أما علي بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) فقد ألف كتاباً سمّاه "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني " .

وعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني (ت ٣٢٧ هـ) ألف كتابه "الألفاظ الكتابية " وتأليفهما في الترادف دليلٌ على مذهبهما فيه .

وقد حرص مؤلفو كتب الترادف على الجمع والتکثیر دون منهجهة ، دون التزام بمصطلح الترادف .

لقد جاء الترادف من واقع اللغة ، ومن واقع الاستعمال ، وهو أمر لا ينفيه العقل ولا الاستعمال ، بل هو في نظر القائلين به مصدر ثراء اللغة بمفردات يتزود بها المتكلم ويختار منها الأنسب للتغيير وللمقام ، ويختار منها الشاعر ما يسعف في الوزن والروي . والمأخذ الذي أخذ على القائلين بالترادف يتلخص في الأمور التالية :

أولاً - تجاهل بعض الفروق بين بعض المترادفات، مع علمهم بتلك الفروق، مما أوجد كما هائلاً مما عدوه مترادفاً، وما هو بمترادف .

ثانياً - إنهم لم يلتزموا بخطة ولا بمصطلح يحكم عملهم ، فاختلط في الباب الواحد ، أو على المعنى الواحد ، ما هو مترادفات ، وما هو متبادرات ، وما هو متقاربات ، كما اجتمع المفرد مع المركب ، والصفة مع الاسم .

ثالثاً - إنهم نقلوا عن بعضهم مترادفات بعينها ، بل ربما تكررت بعض المفردات أو المترادفات في أكثر من باب واحد في الكتاب الواحد ، وهذا ظاهر في كتب الترادف التي عنيت بالجانب الأدبي .

أما الكتب التي سبقت تلك الكتب، وهي كتب الموضوع الواحد، أو الرسائل الصغيرة، مثل كتاب خلق الإنسان ، وكتاب اللبن ، والعسل ، والأسد ، وغيرها ، فلم تدع الترادف

(١) المزهُر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٢٠ / ١

(٢) المزهُر في علوم اللغة وأنواعها : ٣٢٠ / ١

النام، وهي لم تُلْفَ لرصد الترافق، وإنما جاءت لكل الألفاظ المتعلقة بالموضوع الواحد، رغم أنها اشتملت على عدد من المترافقات .

أما المعاجم ، فقد حرص القائمون عليها ألا يفوتو أي كلمة في الباب الواحد ، فقد جمعت هذه المعاجم حشدًا كبيراً من المترافقات ، وكان مؤلفو المعاجم سبباً رئيساً في تكثير الترافق .

أما الفريق الثاني فإنه ينكر وجود الترافق النام ، ويؤكد وجود المعاني الفارقة بين الألفاظ يراها غيرهم مترافقه، ومن هؤلاء أحمد بن فارس، وأبو هلال العسكري، وثعلب ، وابن الأعرابي ، وابن درستويه ، ونور الدين الجزائري صاحب كتاب "فروق اللغات" وغيرهم من الاستعاقيين أصحاب الحس الأدبي الذي ساعدتهم على تبيين المعاني الخاصة بين المترافقات .

"والذي دفعهم إلى ذلك قناعتهم بأن التعبير عن المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة يجل الواضع الحكيم عنه ، وأن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني أو عين من الأعيان في لغة واحدة ، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف الآخر ، وإلا لكان فضلاً لا يحتاج إليه" ^(١).

ويعد أبو هلال العسكري في مقدمة القائلين بالفروق بين الكلمات ، وألف فيه كتاباً سمّاه "الفروق اللغوية" .

"وهو – أبو هلال العسكري – من عرف بعنائه بمذهب اللفظية، فهو من يرى أن إعجاز القرآن الكريم إنما هو في النظم وحسن التأليف، وجمال التركيب، ومع سهولة الألفاظ وجزالتها، ووضوح المعاني وروعتها. ولذلك يدعو إلى تعلم البلاغة ومعرفة الفصاحة" ^(٢).

وقد جعل العسكري علوم البلاغة من أحق العلوم بالتعليم بعد كتاب الله عز وجل؛ لأن الإنسان بتعلم البلاغة ومعرفة الفصاحة يستطيع أن يقع علمه بإعجاز القرآن .

وقد ألف العسكري كتابه "الفروق اللغوية" لعدم وجود كتب في الفروق بين معاني الألفاظ متقاربة الدلالة ، التي يحسبها بعضهم مترافقه ، مع أنها ليست كذلك .

يقول أبو هلال : " ثم إنني ما رأيت نوعاً من العلوم وفناناً من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه ، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معانٍ تقارب ، حتى أشكال الفرق بينهما نحو العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، والإرادة والمشيئة، والغضب

(١) دردير، علي اليمني: أسرار الترافق في القرآن الكريم ، دار ابن حنظل ، الفيوم ، ١٩٨٥ م ، ١٢ .

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ١٠٦ .

والسخط ، والخطأ والغلط ، والكمال والتمام ، والحسن والجمال ... وما شاكل ذلك ، فإني رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتاباً يكفي الطالب ، ويقنع الراغب ، مع كثرة منافعه فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام ، والوقوف على حقائق معانيه ، والوصول إلى الغرض فيه ، فعملت كتابي هذا ... ^(١).

ولكن هل يرى أبو هلال الفروق بين ألفاظ اللغة الواحدة ؟

" الذي يظهر من دراسة كتابه أنه يمنع الترافق بين ألفاظ اللغة الواحدة - أي اللهجة الواحدة - وأنه حين يدق الفرق بين الألفاظ ويستعصي بيان ذلك ، يجعل اختلاف اللغات مخرجاً للمسألة " ^(٢).

يقول أبو هلال في كتابه : "... فإذا اعتبرت هذه المعاني وما شاكلها في الكلمتين ، ولم يتبيّن الفرق بين معنיהם ، فاعلم أنّهما من لغتين مثل التقدّر بالبصرية والبرمة بالمكية ، ومثل قولنا: الله بالعربية وأزر بالفارسية " ^(٣).

ومن يلاحظ كتابه يجد كثيراً من الألفاظ التي يحرص على ذكر الفرق بينها ، إلا أن أبو هلال لا ينكر وجود قدر مشترك بينها في الدلالة ، ويبقى لكل كلمة دلالتها المميزة ، وإن دلت على بعض معنى الكلمة الثانية .

كما أنَّ أبو هلال العسكري لا يعارض استعمال بعض الكلمات مكان بعض ؛ لأنَّ هذا ناتج عن التوسيع في الاستعمال وكثيرته ، وعن تقارب المعاني .

أما أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) فإنه يرى أن الأسماء الكثيرة للمسمي الواحد ، كالسيف والحسام .. ما هي إلا صفات ، وأن في كل صفة معنى ليس في الأخرى .

يقول ابن فارس : " يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة ؛ نحو السيف والمهند والحسام . والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى . وقد خالف في ذلك قوم ؛ فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد ، وذلك قولنا: سيفٌ وغضّب وحسام " ^(٤).

(١) الفروق اللغوية : ٣٠

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ١٠٩ .

(٣) الفروق اللغوية : ٣٩ .

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣١٧ .

وقد فرقَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسَ بَيْنَ الْأَفْعَالِ نَحْوَ مَضِيِّ وَذَهَبِ وَانْطَلِقِ، وَقَعْدِ وَجَلْسِ، وَرَقْدِ وَنَامِ وَهَجَعَ، وَهُوَ فِي مَذْهَبِهِ هَذَا مَتَّهُرٌ بِرَأْيِ شِيْخِهِ أَبِي الْعَبَاسِ ثَلْبٍ (ت ٢٩١ هـ) الَّذِي اشْتَهِرَتْ نَسْبَةً إِنْكَارَ التَّرَادُفِ لَهُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْبَاحِثِينَ قَدِيمًاً وَحَدِيثًاً .

وَيَرِى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ (ت ٢٣١ هـ) أَنَّ كُلَّ لَفْظٍ وَضَعْتَهُمَا الْعَرَبُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، كَمَا يَظْهُرُ ذَلِكَ لِأُولَئِكَ نَظَرَةَ الْحَقِيقَةِ فِيهِمَا أَنَّ كُلَّ لَفْظٍ مِّنْهُمَا مُشْتَمَلٌ عَلَى مَعْنَى مُخْتَصٍ بِهِ ، لَا يُشْرِكُهُ فِيهِ الْلَّفْظُ الْآخَرُ .

قَالَ أَبُو الْعَبَاسِ ثَلْبٍ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : " كُلُّ حَرْفٍ أَوْ قَعْتَهُمَا الْعَرَبُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ ، رِبِّما عَرَفْنَاهُ فَأَخْبَرْنَا بِهِ ، وَرِبِّما غَمْضَ عَلَيْنَا ، فَلَمْ نَلِزْمُ الْعَرَبَ جَهْلَهُ " ^(١) .

وَلَأَنَّ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ شِيْخُ ثَلْبٍ ، وَثَلْبُ شِيْخِ ابْنِ فَارِسٍ مُؤَيَّدًا رَأِيُّ شِيْخِهِ ثَلْبٍ ، فَلَعِلَّ الْثَّلَاثَةِ يَمْثُلُونَ مَدْرَسَةً وَاحِدَةً ، وَيَقُولُونَ بِرَأْيِ وَاحِدٍ ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ أَوْ قَعْتَهُمَا الْعَرَبُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ فِي كُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى لَيْسَ فِي صَاحِبِهِ ، رِبِّما عَرَفْنَاهُ فَأَخْبَرْنَا بِهِ ، وَرِبِّما غَمْضَ عَلَيْنَا ، فَلَمْ نَلِزْمُ الْعَرَبَ جَهْلَهُ .

أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ دَرْسَوِيَّهِ (ت ٣٢٧ هـ) فَإِنَّهُ يَرِى أَنَّ مِنَ الْمَحَالِ اختِلَافُ الْلَّفْظَيْنِ وَبَقَاءُ الْمَعْنَى وَاحِدًا .

وَيَرِى أَنَّ مَا يَرِدُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْلُّغَةِ الْوَاحِدَةِ ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ .

يَقُولُ ابْنُ دَرْسَوِيَّهِ : " وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِفَظَانُ مُخْتَفَانٍ لِمَعْنَى وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنْ يَجِيءَ أَحَدُهُمَا فِي لُغَةِ قَوْمٍ وَالْآخَرُ فِي لُغَةِ غَيْرِهِمْ ، كَمَا يَجِيءُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَالْعِجمِ ، أَوْ فِي لُغَةِ رُومِيَّةِ وَلُغَةِ هَنْدِيَّةٍ " ^(٢) .

أَمَّا نُورُ الدِّينِ الْجَزَائِرِيِّ (ت ١١٥٨ هـ) فَقَدْ أَلْفَ كِتَابًا فِي الْفَروْقِ بَيْنَ الْكَلْمَاتِ ، وَقَدْ سَمَاهُ " فَرُوقُ الْلُّغَاتِ فِي التَّمِيزِ بَيْنَ مَفَادِ الْكَلْمَاتِ " ، وَقَدْ اهْتَمَ بِبَيَانِ الْفَرُوقِ الْلُّغُويِّ بَيْنَ الْكَلْمَاتِ ، وَجَمَعَهَا فِي كِتَابٍ مُسْتَقْلٍ .

وَيَعْدُ الْجَزَائِرِيُّ أَحَدُ أَنْصَارِ القَوْلِ بِالْفَرُوقِ ، وَقَدْ أَنْكَرَ التَّرَادُفَ ^(٣) .

(١) المَزَهْرُ فِي عِلُومِ الْلُّغَةِ وَأَنْواعِهَا : ٣١٤ / ١ .

(٢) المَزَهْرُ فِي عِلُومِ الْلُّغَةِ وَأَنْواعِهَا : ٣٠٤ / ١ .

(٣) انْظُرُ / الْفَرُوقُ الْلُّغُويُّ وَأَثْرُهَا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ١٠١ - ١٠٢ .

وفي ظن الباحث أن الترافق مظهر من مظاهر ثراء اللغة ، وقد تميزت به اللغة العربية عن بقية اللغات ، ويفيد الباحث على أمرين :

- ١- كثرة المترادفات التي نسبت إلى اللغة العربية ، والتي امتلأت بها الكتب والمعاجم .
- ٢- لا يوجد ترافق بالمفهوم المطلق ، ولكن من باب الواقع اللغوي وسنة التطور يتم القبول بالمترادفات وفق قواعد وأصول محددة .

وقد اهتم علماء اللغة المحدثون بوضع شروط وقواعد للترافق ، يمكن إجمالها في أربعة شروط :

أولاً - الاتحاد التام في المفهوم : فوجود فروق مهما كانت بين الألفاظ يخرجها من دائرة الترافق .

ثانياً - الاتحاد في البيئة اللغوية : وذلك بانتماء الكلمتين إلى لهجة واحدة ، أو مجموعة لهجات متاجنة .

ثالثاً - اتحاد العصر : فالمحديثون من اللغويين حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين .

رابعاً - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر : لأن اختلاف اللفظين لا يعد ترافقاً بينهما ، نحو الجثل والجفل بمعنى التمل . فهما لفظان متداهان وزناً ومعنى مما يبدو معه أن أحدهما أصل للأخر ، وأن ما بينهما من خلاف إنما هو نتيجة تطور صوتي . وبتطبيق هذه الشروط على اللغة العربية ، وأخذها في الاعتبار عند الحكم على الألفاظ بالترافق أو عدمه ؛ يتم تضييق دائرة الترافق والتقليل منه^(١) .

الترافق والمشترك والتضاد :

ذكر سابقاً أن الترافق هو التقاء الكلمات على المعنى الواحد ، وقد قصره بعض العلماء على المفردات ، بينما جعله غيرهم في المفردات والمركيبات .

أما المشترك فيطلق ويراد به " اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، كقولنا : عين الماء ، وعين المال ، وعين الركبة ، وعين الميزان ... أما التضاد فهو اتفاق اللفظين وتضاد المعنى"^(٢) .

(١) انظر / الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ٣٠ - ٣١ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/٣٠٦ .

قال سيبويه : " واعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين "(١) .

وهو يشير إلى المتبادر والمترافق المشترك ، ويجعل التضاد في المشترك ، وعلى نهجه سار كثيرون من العلماء في أن جعلوا التضاد مندعماً في المشترك ، ومن هؤلاء الأصماعي الذي قال : الجُون : الأسود ، والجُون : الأبيض . والمشيخ: الحذر ، والمشيخ: الجاد ، والجلال : الشيء الصغير ، والجلال : العظيم ، والصارخ : المستغيث ، والصارخ المغيث

ويرى ألكيا الهراسي أن المشترك يقع على شيئاً ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، مما يقع على الضدين كالجُون ، وجَل؛ وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين(٢) . والكتب التي تعنى باللغة وعلومها وفقها ، وبالتطور الدلالي للأفاظ ؛ غالباً ما تتناول هذه الموضوعات في سياق واحد ؛ لأنها ترتبط مع بعضها ارتباطاً وثيقاً ، ومن هذه الكتب الحديثة " كتاب بعنوان المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاً للدكتور توفيق شاهين ، وكتاب آخر بعنوان "البلاغة وقضايا المشترك اللفظي" للدكتور عبد الواحد حسن الشيشخ .

وتبدو آراء العلماء متقاربة تجاه هذه الموضوعات ، فالذين يمنعون الترافق ، أو يتحفظون عليه ، يقفون موقف نفسه من المشترك اللفظي والتضاد ، ومن أبرز هم ابن درستويه ، والذين يقولون بالترافق وبثباته ، يقولون الشيء نفسه في المشترك اللفظي والتضاد ؛ وذلك لأن الحديث في الحالات كلها يدور حول اللفظ والمعنى .

ويرى الدكتور صبحي الصالح أن المشترك اللفظي موجود فيسائر اللغات ، حيث يقول : " ولسنا نزعم أن العربية تفرد بالمشترك اللفظي ، ففي سائر اللغات ألفاظ مشتركة Homonymes يدور النقاش حولها بين أصحاب الاشتراك ومنكريه ، كما يدور مثله بين أصحاب الترافق ومنكريه . بيد أن كثرة المشترك النسبية في لغتنا - كالذى رأيناها من كثرة الترافق فيها نسبياً - هي التي تجعل بحث المشترك مندرجأ تحت اتساع العربية في التعبير على أنه خصيصة لا تتكرر من خصائصها الذاتية "(٣) .

وقد ساهم الاشتراك في اتساع التعبير باللغة ؛ لذا وجب التفرقة بين المشترك وبعض الألوان البلاغية ذات الصلة الحميمة بالمشترك ، غير أن الفروق بينها وبين

(١) الكتاب : ٢٤ / ١ .

(٢) انظر / المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٣) الصالح، صبحي : دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٣ م ، ٣٠٢ .

المشترك رقيقة، وذلك مثل الجنس النام ، والتورية ، والمشاكلة والمجاز ، والاستعارة ، وما عناء البلاغيون بالأغراض البلاغية ، والمعانى التى تخرج إليها فى المعنى بعض الأدوات والحروف والأفعال . يقول السيوطي : "وذهب بعضهم على أن الاشتراك أغلب ، قال : لأن الحروف بأسراها مشتركة بشهادة النحاة ، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعا ؛ والمضارع كذلك ، وهو أيضاً مشترك بين الحال والاستقبال ، والأسماء كثير فيها الاشتراك ... " ^(١) .

وقد أورد السيوطي في "المزهر" ثلاثة أبيات للخليل على قافية واحدة يستوي لفظها، ويختلف معناها ، وهذه الأبيات تصلح أن تكون مدخلاً للدراسة البلاغية ، أنشد الخليل :

يا وبح قلبي من دواعي الهوى	إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعوهم طرفي وقد أزمعوا	ودموع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة	تفتر عن مثل أفاхи الغروب

فالغروب الأول: غروب الشمس، والثاني جمع غَرْبٌ : وهو الْأَلْو العظيمة المملوءة ، والثالث جمع غرب : وهي الوهاد المنخفضة . ^(٢)

ويرى الدكتور عبد الواحد حسن الشيخ أن المشترك مثلاً يأتي في الأسماء والأفعال، فإنه يكون في الحروف والأدوات ، فيغير من معناها ومن عملها أيضاً ، وذلك مثل "متى" ، فإنها قد تخرج إلى "الجر" فتكون منزلة من خاصة في لغة هذيل ، وأنشد شاعرهم أبو ذؤيب الهدلي :

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ	مَتَى لَجَّ حُضْرُ لَهُنَّ نَيْجٌ
فقد جر لحج "بمتى" كما هو في لغة قومه ^(٣) .	

سبق تم الحديث عن المشترك اللغوي والترادف والتضاد ، واتضحت الفروق الدقيقة بين كل منها ، وكان القاسم المشترك الأعظم بينها جميعاً هو الحقيقة ، وتكون التفرقة بالقرينة ، فهي لازمة للترادف ، وبخاصة عندما يكون من مجاز ، كما أنها لازمة لتحديد أي المعنيين المشتركين أو المتضادين .

(١) انظر / الشيخ ، عبد الواحد حسن : البلاغة وقضايا المشترك اللغوي ، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ، ١٩٨٦ م ، ١٠٤ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١/٢٩٨ .

(٣) انظر / البلاغة وقضايا المشترك اللغوي : ١٠٥ .

وقضايا المشترك اللفظي وبعض الألوان البلاغية ، قد لعبت دوراً كبيراً في إيجاد بعض الألوان سواء أكان مشتركاً أم مترادفاً أم متصادراً ، فالوحدة الأساسية هي الكلمة التي تشكل كيماً أراد المتكلم ، طالما وضع قرينة يدل بها في كلامه على ما يريد منه . وأخيراً في مجال المقارنة بين الترافق والمشترك في الكثرة العددية والشيوخ ، يكاد العلماء يرجحون أن الترافق يغلب المشترك اللفظي ؛ وذلك لأسباب الترافق ومبراته ، ودواعي استعماله .

وإذا كان المرجح أن المشترك أقل من المترافق ، فإن الأضداد ، وهي نوع من المشترك ، تكون في نطاق ضيق من حيث العدد والاستعمال .

مفهوم التشابه :

في القرآن الكريم محكم ومتشابه ، والمقصود بالبحث والدراسة هو المتشابه ، ويدرك المحكم من باب المقابلة .

وقد ورد الإحکام في آيات عديدة منها قوله تعالى ﴿كِتابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (هود: ١)

وورد المتشابه في مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتابًا مَّتَّسِيَّا هَا مَتَّسِيًّا﴾ (الزمر: ٢٣) أما الإحکام والتتشابه معاً فقد ورد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحَكَّمَاتٌ هُنَّ أَمُّ الْكِتابِ وَأَخْرُوْ مُتَشَابِهَاتٍ فَمَنَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رُبِّعٌ فَيَسِّعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ أَيْقَاعَةُ الْفُسْنَةِ وَأَيْقَاعَةُ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رِبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابُ﴾ (آل عمران: ٧) .

ويرى الباحث ضرورة ذكر تعريف كل من المحكم والمتشابه – لغة واصطلاحاً – حتى يتضح الفرق بينهما ، ثم الفرق بين المتشابه عموماً والمتشابه اللفظي خصوصاً .

المحكم والمتشابه لغة :

المحكم : اسم مفعول من أحكم ، والإحکام هو الإتقان^(١) ، والشيء المتقن يمنع ما يضاده ، ومنه الحكم لمنعه الظلم في الحكم ، والحكيم لمنعه السفسفة في الحكمة .

وعليه فالقرآن كله محكم باعتبار أنه متقن في نظمه وأسلوبه مانع من دخول غيره فيه، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿كِتابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (هود: ١)

(١) المعجم الوسيط : مادة (شبه) ١ / ١٩٠ .

والتشابه من المادة اللغوية "شَبَهٌ" وفي لسان العرب أن الشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبَهِ : المثل والجمع أشباه . وأشباه الشيء الشيء : ماثله ... والمتشاربهات : المتماثلات ... والتشبيه التمثيل .. والشَّبَهَةُ الالتباس . وأمور مُشَبَّهة ومشَبَّهَة . مُشكلة يشبه بعضها بعضًا ... وبينهم أشباه أي أشياء يتشاربون فيها . وشَبَهُ عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره . وشَبَهُ الشيء : إذا أشكله ، وشَبَهُ إذا ساوي بين شيء وشيء . واشتبه الأمر إذا اخْتَلَطَ^(١) . يتضح من المعنى اللغوي أن التشابه يفيد معانٍ عدة ، منها : التمايز ، والتساوي ، والالتباس ، والخلط والإشكال .

وقال ابن قتيبة: "أصل التشابه": أن يشبه اللفظ **اللفظ** في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله - عز وجل - في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأَنْوَابِهِ مُسْتَأْنِهَا﴾ (البقرة: ٢٥) أي : متفق المناظر مختلف الطعوم . وقال : ﴿شَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (البقرة : ١١٨) أي يشبه بعضها بعضًا في الكفر والفسدة .

ومنه يقال : اشتبه علىَ الأمر ، إذا أشبه غيره فلم تك تفرق بينهما ، وشَبَهَتْ علىَ إذا لَبَسَتْ الحق بالباطل ..

ثمَّ قد يقال لكل ما غمض ودقَّ : متشابه وإن لم تقع الحيرة منه من جهة الشَّبَه بغيره ، إلا ترى أنه قد قيل للحرروف المقطعة في أوائل السور : متشابه ، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها^(٢) .

وعليه فالقرآن - أيضًا - كله متشابه باعتبار أنه متماثل في فصاحته وبلاغته وحلوته ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُسْتَأْنِهَا تَمَائِلٌ﴾ (الزمر: ٢٣)

ويرى الدكتور عبدالله أبو السعود بدر أنَّ التشابه له معنيان : "... معنى التمايز ، ومعنى الالتباس ، أو - بعبارة أخرى - لمعنى التشابه درجتان متتاليتان : تشابه بدرجة خفيفة يعطي صورة تماثل ، وتشابه بدرجة شديدة يعطي صورة الالتباس والخلط والإشكال .

والعلاقة بين هاتين الدرجتين علاقة شرطية وجوبية ، فإذا دقَّ التشابه بين شيئين خفيت الملامح الخاصة بكل منهما التي تميّزه عن الآخر، فيحدث الخلط بينهما والالتباس والإشكال^(٣)

(١) لسان العرب : مادة (شَبَهٌ) ٧/٢٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) بدر ، عبدالله أبو السعود : معرفة تأويل المتشابه ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، المجلد السادس ، العدد الأول ، آب ١٩٩١م ، ١١٦ .

ومعنى التشابه في الاستخدام القرآني يكون أحياناً بالمعنى الأول الخفيف الذي يفيد التمايز، وأحياناً أخرى بالمعنى الثاني الشديد الذي يفيد الالتباس .

ويتضح هذا المعنى من خلال الفحص التفسيري لستة الآيات^(١) التي وردت فيها تشكيلات صرفية متعددة للفظ التشابه .

التعريف اصطلاحاً بالمحكم والمتشارب :

أورد الإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن". معنى المحكم: " .. وأما في الاصطلاح فهو ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام ..

وقيل : هو مثل قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْوَهُوا الرِّزْكَهُ وَارْكَوْمَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة : ٤٣)

وقيل : هو الذي لم ينسخ لقوله تعالى : ﴿قُلْ عَالَوْا أَنْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (الأنعام ١٥١)

وقوله : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنَّا عَبْدُوا إِلَيْاهُ ...﴾ (الإسراء : ٢٣) ...

وقيل : هو الناسخ.

وقيل : الفرائض والوعد والوعيد .

وقيل : الذي وعد عليه ثواباً وعقاباً ، وقيل: الذي تأويله تزييه يجعل القلوب تعرفه عند

سماعه ، كقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) و ﴿لَيْسَ كَبِيرًا شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)

وقيل : ما لا يحتمل في التأويل إلا وجهاً واحداً . وقيل : ما تكرر لفظه^(٢) .

ويمكن إجمال ما سبق والقول : إن المحكم هو المعلوم الذي لا يحتاج لتفسيير أو

تأويل أما المتشابه فأصله أن يشتبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعاني . يقول الإمام

الزرکشي : " والمتشابه مثل المشكّل لأنّه مشكّل ، أي دخل في شكل غيره وشاكّله .

واختلفوا فيه ، فقيل : هو المشتبه الذي يشبه بعضه بعضاً . وقيل : هو المنسوخ غير

المعمول به . وقيل القصص والأمثال . وقيل ما أمرت أن تؤمن به وتتكل علمه إلى عالمه .

وقيل : فواتح السور . وقيل : ما لا يذرى إلا بالتأويل ..."^(٣) .

وبعبارة أخرى يمكن القول : إن المتشابه ما لا يفهم معناه إلا بالتأويل ، وقد يدل

لفظه على أكثر من معنى واحد .

(١) الآيات على الترتيب: سورة البقرة: ٢٥ ، ٢٥ / آل عمران: ٧ / النساء: ١٥٧ / الأنعام: ٩٩ ، ٩٩ / الرعد: ١٦ / الزمر: ٢٣ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٦٩ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٧٠ .

ويرى الدكتور صلاح الخالدي أن التشابه والاختلاف في ألفاظ الآية مع الآيات الأخرى المشابهة إنما يقتضيه المقام ، والحكم في استعمال اللفظ القرآني في موضعه هو "السياق" العام ، سواءً كان سياق الآية ، أو سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها . والتبرير الفاحص للسياق هو الذي يقود إلى حكمة "التشابه" العام بين الآيتين في معظم ألفاظها و "الاختلاف" البسيط الخاص في بعض ألفاظها ، مع وحدة موضوعهما^(١) .

وقد أورد العلماء أسباب وقوع التشابه في القرآن الكريم – لا يرى الباحث ضرورة لعرضها – يمكن معرفتها من خلال تصفح الكتب التي بحثت هذا العلم^(٢) .

ولبيان أوجه الحكمة في متشابه القرآن الكريم يمكن تلخيص آراء العلماء في التالي :

- ١- إن المتأمل للتتشابه والاختلاف في القرآن الكريم يجده أمراً مقصوداً في كل جزئية من جزئياته ، قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز .
- ٢- في المتشابه حثّ العلماء على التدبر والتأمل ، وهو لاء ينهضون بالتأويل ، وينتفع العامة بعلمههم ، ولو كان كله واضحاً محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل .
- ٣- في المتشابه من الآيات تدريب علماء الأمة على التدبر والتأمل ، واستدعاء لهم لمداومة الفكر .
- ٤- في المتشابه اختبار يكشف عن المؤمنين الراسخين في الإيمان ، وعن أهل العقيدة المترغبة .

تقسيم المتشابه :

قسم المتشابه تقسيمات مختلفة ، فقد قسمه الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" ^(٣) إلى عدة فصول :

الفصل الأول - المتشابه باعتبار الإفراد، وهو على أقسام: الأول - أن يكون في موضوع على نظم ، وفي آخر على عكسه، وهو يشبه رد العجز على الصدر، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْتَّصَارِي وَالصَّارِي﴾ (البقرة: ٦٢) ، و﴿وَالصَّارِي وَالْتَّصَارِي﴾ (الحج: ١٧) .

الفصل الثاني - ما يشبه بالزيادة والنقصان؛ ففي قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ الْأَذْرِفُ هُمْ أَمْ لَمْ شُذْرِفُوهُم﴾ (البقرة: ٦) ، بينما في قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمُ الْأَذْرِفُ هُمْ أَمْ لَمْ شُذْرِفُوهُم﴾ (يس: ١٠) بزيادة وأو .

(١) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : ٢١٩ .

(٢) عباس، فضل: إتقان البرهان في علوم القرآن ، دار الفرقان ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧ م ، ٥٠١/١ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ١١٢/١ وما بعدها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْهُدَى﴾ (البقرة: ٣٨) ، وقوله: ﴿فَمَنْ أَيَّعَهُدَى﴾ (طه: ١٢٣)

الفصل الثالث - بالتقديم والتأخير وهو قريب من الأول، ومنه تقديم اللهو على اللعب، واللعب على اللهو.

الفصل الرابع - بالتعريف والتكيير ، كقوله تعالى: ﴿وَقُلُّونَ التَّيِّنَ يَغِيرُ الْحَقِّ﴾ (البقرة: ٦١)

وفي قوله: ﴿... يَغِيرُ حَقًّا﴾ [آل عمران: ١١٢].

الفصل الخامس - بالجمع والإفراد ، كقوله: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا يَامًا مَعْدُودًا﴾ (البقرة: ٨٠) وقوله

تعالى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا يَامًا مَعْدُوداتِ﴾ (آل عمران: ٢٤).

الفصل السادس - إبدال حرف بحرف غيره ، كقوله تعالى: ﴿إِسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا﴾

(البقرة: ٣٥) بالواو ، وقوله: ﴿وَلَوْا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا﴾ (الأعراف: ١٩) بالفاء .

الفصل السابع - إبدال كلمة بأخرى ، كقوله تعالى: ﴿مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ (البقرة: ١٧٠)

وفي قوله تعالى: ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ (لقمان: ٢١).

الفصل الثامن - الإدغام وتركه نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقُ الرَّسُولَ﴾ (النساء: ١١٥)

وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقَ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٤).

الفصل التاسع - ما جاء على حرفين ، ويأتي في هذا الفصل **بألفاظ** وردت مرتبة في القرآن، ويأتي له بأمثلة كثيرة .

ثم يعقد فصولاً بعد ذلك لما جاء على ثلاثة أحرف وعلى أربعة وخمسة وستة وسبعة وثمانية وتسعة وعشرة أحرف ... وعلى أحد عشر حرفاً وخمسة عشر حرفاً ، وما جاء على ثمانية عشر وجهاً وعشرين وجهاً وعلى ثلاثة وعشرين حرفاً ، وهو آخرها ويأتي في كل نوع بما ورد في القرآن الكريم .

المقصود بالتشابهات في النظم القرآني :

أورد الأستاذ الدكتور محمد شعبان علوان في بحث منشور المقصود بالتشابهات في القرآن الكريم : " نقصد بالتشابهات تشابه الكلمات في النطق ، أو تشابههما في الأصل الذي ترجع إليه الكلمة ، ومع هذا نجد اختلافاً في المعنى بينهما . ويكون هذا التشابه إما بين الأفعال أو الأسماء أو الحروف ، ويكون منه المجاز المرسل ذو العلاقة السبيبية ، والمشاكلة ،

والجنس التام . وقد يقع في التكرار تكرار الكلمة أو المقطع ، أو قد تتشابه الآية مع أختها ، لكنه لا يكون إلا لفائدة أو لإبراز معنى جديد يختلف عن الأول تماماً^(١) وهذا ما سيقوم البحث بتوضيجه واستقرائه والتمثيل له من القرآن الكريم ؛ لإثبات الإعجاز البصري في استعمال القرآن الكريم للمتشابهات .

(١) علوان ، محمد : الإعجاز البصري في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والمتشابهات ، نسخة مستلة من مجلة كلية الآداب ببنها ، العدد السابع ، يناير - ٢٠٠١ م ، ٤٢ .

الفصل الثاني

الترادف في النظم القرآني بين المؤيدين والمعارضين

- آراء المؤيدين القائلين بالترادف .
- آراء المعارضين المانعين للترادف .

الترادف في النظم القرآني :

يقول بعض العلماء - وخصوصاً من اللغويين والأصوليين - بوجود الترادف في القرآن الكريم، كما أنه موجود في اللغة العربية .

فالقرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، وهو يجري على أساليبها، وطرق التعبير فيها، ومن هنا يرفض فريق منهم محاولات بعض المفسرين لذكر الفروق بين بعض الألفاظ التي قيل بترادفها في القرآن الكريم .

ويذهب جمهور العلماء إلى نفي الترادف في القرآن الكريم، حتى وإن قال بعضهم بوجوده في اللغة العربية، نظراً لبلوغ القرآن الكريم أعلى درجات الفصاحاة، وتسممه ذروة البلاغة فليس فيه لفظة نابية عن مكانها، أو نافرة في سياقها، فقد استوت كل كلمة فيه في مكانها الأشكال بها، المناسب لها، بما لا مجال معه لإبدال حرف مكان آخر فضلاً أن تقوم لفظة مكان أخرى في تأدية كامل المعنى .

وما تقوم به اللفظة المفسرة ليس أكثر من تقريب المعنى، إذ التفسير إنما هو على وجه التقرير، وليس على وجه التحديد الدقيق^(١) .

وسيتم - في الصفحات التالية - عرض آراء العلماء القائلين بوجود الترادف في القرآن الكريم، والعلماء المانعين للترادف في كتاب الله .

(١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ١٦٤ ، ١٧٧ .

المؤيدون القائلون بالترادف في النظم القرآني :

- ١ - أبو بكر بن العربي .
- ٢ - ضياء الدين بن الأثير .
- ٣ - أبو بكر الحسيني .
- ٤ - الدكتور صبحي الصالح .
- ٥ - الدكتور إبراهيم أنيس .

أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣ هـ) :

بعد الإمام محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي من القائين بالترادف، في الكلام العربي - قرآناً وغيره -، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِّعْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، يقول ابن العربي: "اختلف الناس في الشح والبخل على قولين: فمنهم من قال: إنهم بما معنى واحد . ومنهم من قال: لهما معنيان: فالبخل منع الواجب؛ لقوله عليه السلام: "مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد... وأما البخيل فلا يزيد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع". والشح: منع الذي لم يجده؛ بدليل هذه الآية والحديث؛ فذكر الله أن ذلك من ذهاب الشح؛ وهذا لا يلزم؛ فإن كل حرف يفسر على معنيين أو معنى يعبر عنه بحرفين يجوز أن يكون كل واحد يوضع موضع صاحبه جمعاً أو فرقاً، وذلك كثير في اللغة ولم يقم لها هنا دليل على الفرق بينهما"^(١).

من هنا يفهم أن ابن العربي يقول بالترادف، حيث لم ير فرقاً بين الشح والبخل .

ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) :

يرى ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) - صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - القول بالترادف في اللغة، وأنه قد ورد في القرآن الكريم بكثرة، كما استعمل في فصيح الكلام.

وقد أورد أمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي للتدليل على رأيه بوجود الترادف في القرآن الكريم، ومن هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِنَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رَجُزِ الْأَيْمَنِ﴾ (سبأ: ٥) فالرجز عذابٌ مضاعفٌ من عذاب، وقد أريد به المبالغة .

وأورد قول أبي تمام :

نُهْوَضُ بِتَقْلِيْلِ الْعَبَءِ مُضْطَلِّعُ بِهِ
فَالتَّقْلِيلُ هُوَ الْعَبَءُ، وَالْعَبَءُ : هُوَ التَّقْلِيلُ، وَقَدْ تضَمَّنَ بَيْتُ أَبِي تَمَامَ الْمِبَالَغَةَ فِي وَصْفِ
الْمَمْدُوحِ بِحَمْلِهِ لِلتَّقْلِيلِ .

* صحيح البخاري: (١٣٥٢) كتاب الزكاة.

(١) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله : أحكام القرآن، تج. علي محمد الجزاوي، دار الفكر،

١٩٧٤ م، ٤ / ١٧٧٨ .

ويرى ابن الأثير في قوله تعالى : ﴿لَهُمَا أَتْهَا الَّذِينَ آتَنَا إِذَنَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ كَفَعُوا وَصَفَحُوا وَتَغْيِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن: ٤) أن العفو والصفح والمغفرة كررت، وجميعها بمعنى واحد ؛ للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده، والزوج عن زوجته .

وقد ورد في القرآن الكريم كثيراً، كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : ﴿قَالَ إِسَّا أَشْكُوبِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُ﴾ (يوسف : ٨٦)

فإن البث والحزن بمعنى واحد، وإنما هنا لشدة الخطب النازل به، وتكاثر سهامه النافذة في قلبه .

ويرى ابن الأثير أن هذا نوع من التكرير يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة، وفائدة ذلك التكرير تأكيد المعنى المقصود، والبالغة فيه .

ويرى أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإن تراءى للقارئ شيئاً مكرراً من حيث الظاهر، فعليه أن ينظر فيه إلى سوابقه ولو احقة ؛ لتكتشف له الفائدة من ذلك التكرار^(١) .

أبو بكر الحسيني (ت ١٣٤١ هـ)

يرى الإمام أبو بكر عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى الحسيني من الأصوليين، صاحب كتاب "التریاق النافع بإيضاح وتمكيل مسائل جمع الجامع" أن الترافق واقع في الكلام العربي قرآناً وغيره، وأن منع وقوعه في القرآن الكريم بحججة عدم الحاجة إليه في النظم والسبع؛ لأن إحدى فوائد الترافق هي؛ مناسبة أحد اللفظين المترادفين للفاصلة دون اللفظ الآخر . والفاصلة معتبرة في كلام الشارع، بل قد تكون من متضيّفات البلاغة .

وقد أورد الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشاعر هذا الرأي في كتابه "الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم" ...والحكم بوجود الترافق في القرآن الكريم لمجرد مراعاة الفاصلة، حكم متساهل وغير صحيح، فلم تكن مراعاة الفاصلة قائمة حين يتطلب المقام لفظة

(١) انظر / ابن الأثير، ضياء الدين : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تج . محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٥م، الجزء الثاني، الصفحتان: ١٤٩ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ .

لا تتفق والفاصلة، ولم تكن الصناعة اللفظية واردة في الأسلوب القرآني، وتتناسب الفواصل لم يكن أبداً على حساب المعنى في القرآن الكريم، وهذا أحد وجوه إعجازه .^(١)

الدكتور صبحي الصالح :

يرى الدكتور صبحي الصالح أن الترافق كائنٌ في اللغة العربية، وأنه من ميزاتها وخصائصها من حيث الكثرة ودقة النظر .

وهو يرى أن هذا الترافق جاء من واضعين أو من لغتين، وبمعنى آخر من أكثر من قبيلة، إحداها قريش .

وإن أقر الدكتور الصالح بوجود الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة، فإنه يرى أن تلك الفروق الدقيقة قد تم تناسيها مع كثرة الاستعمال .

أما بالنسبة لوقوع الترافق في القرآن الكريم، فإنه يراه طبيعياً بعد أن اندمجت لهجات أو لغات بلغة قريش، يقول الصالح: " وعلى هذا الأساس نظر بوجود الترافق في القرآن الكريم، لأنّه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها ، وقد أتاح لهذه اللغة طول احتكاكها باللهجات العربية الأخرى اقتباس مفردات تملك أحياناً نظائرها، ولا تملك منها شيئاً أحياناً أخرى، حتى إذا أصبحت جزءاً من مخصوصها اللغوي فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة".^(٢)

وهذا التعليل يتفق مع ما كانت قريش - على فصاحتها - إذا أنتها الوفود العربية، تخيرت من كلامهم وأحسن لغاتهم، وأضافته إلى قاموسها اللغوي، وبذلك صاروا أفعى العرب .

وقد أورد الدكتور صبحي الصالح عدداً من "المترافقات" في القرآن الكريم قائلاً :

" وبهذا نفسر ترافق أقسام وخلف في قوله: ﴿وَقُسِّمُوا بِاللَّهِ جَهَنَّمَ أَيْمَانَهُمْ﴾ (الأنعام: ٩٠) وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلْمَةَ الْكُفَرِ﴾ (التوبه: ٧٤) ، وترافق بعث وأرسل في قوله: ﴿وَمَا كَانُوكُمْ مُعَذَّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثْ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٠) ،

(١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ١٦٨ .

(٢) دراسات في فقه اللغة : ٢٩٩ .

وترادف فضل وآخر في قوله : ﴿تُلَكَ الرَّسُولُ فَضَّلَنَا بِعِصْمِهِ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣) وقوله : ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُلُّ الْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩١) .^(١)

ففيما يرى فقريش كانت تستعمل أحد اللفظين الواردة في الأمثلة الثلاثة التي أوردها الدكتور صبحي الصالح، وهو يرى أن هذا لا يؤثر على الأصل أي الألفاظ يكون لفظها الأصلي، بينما اللفظ الآخر من قبائل أخرى .

ويمكن تلخيص رأي الدكتور صبحي الصالح بقوله : "وهكذا لم نجد مناصاً من التسليم بوجود الترادف ولا مفرأً من الاعتراف بالفرق بين المترادفات، لكن هذه الفروق - على ما يبدو لنا - تتوسيط فيما بعد، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعتبرها ملكاً لها، ودليلًا على ثرائها، وكثرة مترادفاتها"^(٢) .

الدكتور إبراهيم أنيس :

يرى الدكتور إبراهيم أنيس - وهو أحد اللغويين المحدثين - أن كثرة الترادف أصبحت خاصية للغة العربية، ولا تكاد تشركها في هذا لغة أخرى .

وكما أقرَّ إبراهيم أنيس بوجود الترادف في اللغة، يقرُّ بوجود الترادف في القرآن الكريم، حيث يقول : " أما الترادف فقد وقع بكثرة في لفاظ القرآن، رغم محاولة بعض المفسرين أن يلتمسوا فروقاً خيالية لا وجود لها إلا في أذهانهم للتفرقة بين تلك الألفاظ القرآنية المترادفة "^(٣) .

ويبيدي الدكتور إبراهيم أنيس الشك في الفروق التي يقول بها أصحاب الفروق اللغوية، ومنهم الثعالبي الذي جعل في كتابه "فقه اللغة" مراتب الصمم هي : في أذنيه وقر، ثم الصمم، ثم الطرش، ثم الصلخ .

يقول إبراهيم أنيس : " ويبدو من الاستعمال القرآني أن معنى "في أذنيه وقر" لا يختلف مطلقاً عن معنى "الأصم" في قوته أو ضعفه، مما يجعلنا نشكك في كثير من تلك الفروق التي ساقها هؤلاء المؤلفون "^(٤) .

(١) دراسات في فقه اللغة : ٣٠٠.

(٢) دراسات في فقه اللغة : ٣٠٠.

(٣) أنيس، إبراهيم : دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م، ٢١٥.

(٤) دلالة الألفاظ : ٢١٦.

ويسوق إبراهيم أنيس بعض الآيات - في كتابه "في اللهجات العربية" - للتدليل على وجود الترادف في القرآن الكريم^(١) كما في قوله تعالى :

- ١- ﴿ تَالِلَّهِ لَقَدْ أَنْتَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (يوسف : ٩١) وفي قوله : ﴿ وَأَنِي فَصَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة : ٤٧ وفى آية ١٢٢)
- ٢- ﴿ حَسَنَ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ ﴾ (النساء : ١٨) وقوله : ﴿ حَسَنَ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ ﴾ (الأنعام : ٦١)
- ٣- ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) وقوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (المؤمنون : ٣٢)
- ٤- ﴿ وَمَا وَاهِمُ النَّارُ وَسَسَ مَوْى الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران : ١٥١) وقوله : ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ التَّاوِي ﴾ (النازعات : ٣٩)
- ٥- ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة : ٦٨) وقوله: ﴿ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الحجر: ٨٨، واللفظ في النحل : ١٢٧ ، والنمل : ٧٠)
- ٦- ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهَدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ (الأنعام : ١٠٩) وقوله : ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ (النساء : ٦٢)
- ٧- ﴿ قُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ (البقرة : ٥٤) وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الرعد : ١٦)

ويرجع الدكتور إبراهيم أنيس السRFI إنكار الترادف إلى منهج الاشتراطيين الذين يبالغون في إرجاع كلمات اللغة إلى الأصول التي اشتركت منها، ومحاولتهم تلميس الفروق بين مدلولات الألفاظ .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن إنكار وقوع الترادف في ألفاظ اللغة العربية لا يغير من الحقيقة الواقعية شيئاً، فالترادف قد اعترف به معظم القدماء، وشهدت له النصوص . كما أنه رفض مغالاة القدماء، وكثرة ما سمي ترادفاً .

(١) أنيس، إبراهيم: في اللهجات العربية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢م، ١٨١.

المعارضون والمانعون للترادف في النظم القرآني

- ١ - عبد الله بن قتيبة .
- ٢ - ابن جرير الطبرى .
- ٣ - ابن درستويه .
- ٤ - أبو سليمان الخطابي .
- ٥ - أبو هلال العسكري .
- ٦ - عبد الملك الجويني .
- ٧ - الراغب الأصفهاني .
- ٨ - أبو القاسم الزمخشري .
- ٩ - ابن عطية الأدلسي .
- ١٠ - أبو عبدالله القرطبي .
- ١١ - نقى الدين بن تيمية .
- ١٢ - الحافظ بن كثير .
- ١٣ - بدر الدين الزركشي .
- ١٤ - مجد الدين الفيروز أبادي .
- ١٥ - جلال الدين السيوطي .
- ١٦ - أبو بكر الجزائري .
- ١٧ - الدكتورة عائشة عبد الرحمن .
- ١٨ - الدكتور فضل عباس .
- ١٩ - الدكتور صلاح الخالدي .

(ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)

أفرد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه " أدب الكاتب " باباً سماه " باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه " بعد أن شاع استعمال الناس للفاظ كثيرة بمعنى واحد، وإغفالهم لما فيها من تباين .

وقد صرخ ابن قتيبة في مقدمة كتابه بأن استعمال الناس للفاظ كثيرة بمعنى واحد هو الذي دعاه إلى تأليف كتابه، يقول في مقدمة كتابه : "... فما رأيت أحداً منهم يعرف فرق ما بين الواقع والكوع، ولا الحنف من الفداع، ولا اللئم من اللطع، فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان، وخشيت أن يذهب رسمه ويغدو أثراً؛ جعلت له حظاً من عنايتي، وجزءاً من تأليفِ ..." (١) .

وقد أورد ابن قتيبة في هذا الباب أمثلة مبيناً الفرق بين بعض الألفاظ، ومن ذلك : " الخُلُفُ والكذبُ لا يكادُ النَّاسُ يفرَقُونَ بَيْنَهُمَا، والكذبُ فِيمَا ماضى، وَهُوَ أَنْ يَقُولُ : فَعُلِتْ كَذَا، وَكَذَا، وَلَمْ يَفْعُلْهُ، وَالخُلُفُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ، وَهُوَ أَنْ تَقُولُ : سَأَفْعُلُ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تَفْعُلْهُ، ..." (٢) .

وفي قوله " الحمد والشكر لا يفرق الله بينهما ؛ فالحمد : الثناء على الرجل بما فيه من حسن، تقول " حمدت الرجل " إذا أثنيت عليه بكرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك، والشكر له : الثناء عليه بمعرفة أولاكه ؛ وقد يوضع الحمد موضع الشكر ؛ فيقال: " حمدته على معروفة عندي " كما يقال: " شكرت له "، ولا يوضع الشكر موضع الحمد " (٣) .

وأورد ابن قتيبة أمثلة كثيرة في ذكر الفروق بين طائفة من الألفاظ المتقاربة في المعنى، وذلك تبعاً لدلالاتها الأصلية في اللغة، ومن هذه الأمثلة : الظل والفيء، والأآل والسراب، والخائن والسارق، والبخيل واللئيم ... وقد عزا ابن قتيبة عدم تفريق الناس في عصره بين الألفاظ واستعمالها بمعنى واحد إلى الجهل باللغة وأسرارها .

يتضح أن لا ابن قتيبة رأياً واضحاً في مسألة الترادف في اللغة، وفي القرآن الكريم، فهو من المانعين للترادف، ويرى بمذهب الفروق اللغوية بين الألفاظ التي - في ظاهرها - تبدو مترادفة، أو متقاربة المعاني .

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم : أدب الكاتب، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت،

ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٤

(٢) أدب الكاتب : ٣٣

(٣) أدب الكاتب : ٣٦.

ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)

يظهر من تفسير الإمام ابن جرير الطبرى أنه يميل إلى منع الترافق في القرآن الكريم . وقد أورد قوله في تأویل أسماء القرآن وسورة وأية، ويرى في تعدد أسماء القرآن الكريم، من فرقان، وكتاب، وذكر، أن هذا لا يعني أنها بمعنى واحد من غير فرق، فكل اسم من أسمائه الأربع في كلام العرب معنى ووجه غير معنى الآخر ووجهه^(١) . وفرق الطبرى بين السر والنجوى في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَبَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (التوبة : ٧٨) بأن السر هو الذي يسرونه في أنفسهم من الكفر به وبرسوله، والنجوى إذا تاجوا بينهم بالطعن في الإسلام وأهله، وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به^(٢) . وهذا خلاف ما يقول به بعض المفسرين من أن السر والنجوى لفظان متراافقان بمعنى واحد .

وفرق الطبرى بين لا تبقي ولا تذر في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكُمَا سَقَرَ ﴾ لا تبقي ولا تذر^(٣) (المدثر : ٢٧ - ٢٨) ، وخالف من قال بترافقهما، قال : " ... ثم بين الله تعالى ذكره ما سقر، فقال : هي نار لا تبقي من فيها حيًا، ولا تذر من فيها ميتاً، ولكنها تحرقهم كلما جدد حلقهم " .

كما فرق بين الشريعة والمنهاج في تفسير قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ (المائدة : ٤٨) .

ويتضح من أقوال الطبرى السابقة، ومما ورد في تفسيره أنه يرى بمنع الترافق في القرآن الكريم .

ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ)

بعد ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) من اللغويين القدامى الذين أنكروا الترافق، فهو يقول : " لا يكون فعل و أفعل بمعنى واحد، كما لم يكونا على بناء واحد، إلا أن يحيء ذلك في لغتين مختلفتين ؛ فاما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظنُ

(١) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تأویل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، ٦٧ / ١ .

(٢) جامع البيان في تأویل القرآن : ٦ / ٤٢٩ .

(٣) جامع البيان في تأویل القرآن : ١٢ / ٣١٠ .

كثير من اللغويين وال نحويين، وإنما سمعوا العرب تتكلّم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها، ولم يعرّف السامعون لذلك العلة فيه والفرق؛ فظنوا أنها بمعنى واحد، وتأنّلوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم، فإن كانوا قد صدقوا في روایة ذلك عن العرب فقد أخطأوا عليهم في تأويلهم ما لا يجوز في الحکمة، وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متبنيتين كما بينا، أو يكون على معنيين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء^(١).

وكمَا انكر ابن درستويه الترافق فقد انكر المشترك اللفظي والأضداد، وخالف كثيراً من علماء اللغة العربية بتعاقب حروف الجر، حيث يرى في جواز ذلك إبطال حقيقة اللغة وإفساد الحکمة فيها . "... وأن قول ثعلب : وقفت الدابة، ووقفت أنا، ووقفت وقفاً للمساكين، لا يجوز أن يكون الفعل اللازم من هذا النحو، والمجاوز على لفظ واحد في النظر والقياس، لما في ذلك من الإلابس، وليس إدخال الإلابس في الكلام من الحکمة والصواب، وواضع اللغة - عز وجل - حكيم عليه ... وذلك أن الفعل الذي لا يتعدى فاعله إذا احتج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر، بأن يزاد في أوله الشهزة، أو يوصل به حرف جر بعد تمامه ؛ ليستدل السامع على اختلاف المعنيين ... كقولهم حبس الدابة، حبس مالاً على المساكين^(٢).

وخلالصة رأي ابن درستويه يتمثل في إنكاره التام للترافق في اللغة العربية، وبالتالي فهو ينكره في القرآن الكريم، ويرى أن اللفظ الواحد لا يدل على معنيين مختلفين .

أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)

ينكر أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) وجود الترافق في القرآن الكريم، يقول :

" ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكال به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفاده بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشّكر، والبخل والشّح، وكالنعت والصفة، وكذلك : أقعد واجلس، وبلى ونعم ... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣٠٣ .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ١ / ٣٠٤ .

اللغة بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة منها خاصية تميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها^(١).

فالخطابي ينظر إلى اللفظة القرآنية نظرة خاصة، فهي لفظة لا يسد مسدها غيرها، ولا يمكن أن يؤدي معناها غيرها أو مرادها، ويُعَلَّم أنه لو حصل هذا لترتب عليه فساد الكلام، وغياب الرazonق اللذان يكون معهما سقوط البلاغة.

وقد فرق الخطابي بين بعض الكلمات التي يبدو ترافق بينها في الظاهر، مثل : عرفت وعلمت، والحمد والشكراً، يقول مدعماً رأيه : " وإذا أردت أن تتبين حقيقة الفرق بينهما اعتبرت كل واحد منها بضده، وذلك أن ضد الحمد الذم، وضد الشكر الكفران، وقد يكون الحمد على المحبوب والمكره، ولا يكون الشكر إلا على المحبوب"^(٢)

ويؤكد الأستاذ الدكتور محمد علوان على أن " اختلاف الضد يظهر لنا اختلاف المعنى الذي تؤديه كل لفظة "^(٣)

ويستطيع الباحث التأكيد على ذلك، فقد تبدو كلمتا العلم والمعرفة متراافقتين أو قد تشتتركان، إلا أن العلم ضده الجهل، والمعرفة ضدها النكرة .

أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)

يعد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) من الفائزين بالفارق بين الكلمات، وقد ألف في ذلك " الفروق اللغوية " .

وقد عُرِفَ العسكري باهتمامه بمذهب اللفظية، حيث يرى إعجاز القرآن الكريم في النظم وحسن التأليف، وجمال التركيب، فدعا إلى تعلم البلاغة ومعرفة الفصاحة .

وصرَّحَ العسكري في مقدمة كتابه " الفروق اللغوية " بإنكاره للترافق في اللغة، يقول : " الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى شيء مرة واحدة فعرف بالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمنين يجريان على معنى من

(١) بيان إعجاز القرآن (للخطابي) ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن : ٢٩.

(٢) بيان إعجاز القرآن (للخطابي) ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن : ٣٠.

(٣) الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترافقات والمشابهات : ١٣ .

المعاني وعین من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منها يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإنما لأن الثاني فضلاً لا يحتاج إليه^(١).

وهو يرى أن اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني، فيكون اختلاف المعاني باختلاف الألفاظ أولى.

وما يمكن أن يعتبر سبباً آخر لقوله بهذا الرأي وتأييده هذا المذهب - الحاجة إلى الاختصار، ولأن القول بخلافه يؤدي إلى تكثير اللغة بما لا فائدة فيه ولا حاجة إليه^(٢).

ويبين العسكري سبب تأليفه لكتاب "الفرقون اللغوية"، عدم وجود كتب مؤلفة في الفروق بين معاني الألفاظ المتقاربة الدلالية، يقول في كتابه : ثم إنني ما رأيت نوعاً من العلوم وفناً من الآداب إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معانٍ تقارب حتى أشكال الفرق بينها، نحو العلم والمعرفة، والفتنة والذكاء ... وما شاكل ذلك فإني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتاباً يكفي الطالب، ويقنع الراغب مع كثرة منافعه فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف على حقائق معانيه، والوصول إلى الغرض فيه، فعملت كتابي هذا ...^(٣).

يبدو مما سبق أن أبي هلال العسكري من أنصار منع الترادف، فكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان دالين على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه، وهو بهذا يقول بمنع المشترك اللفظي.

وذهب العسكري إلى ما ذهب إليه ابن درستويه في إنكار المشترك اللفظي، وأن يكون فعل وأفعال بمعنى واحد، وتعاقب حروف الجر . يقول العسكري في كتابه : " ولا يجوز أن يكون فعل وأفعال بمعنى واحد، كما لا يكونان على بناء واحد إلا أن يجيء ذلك في لغتين، فاما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما ظنَّ كثير من النحوين واللغويين ... وكذلك قولنا: فعلت يفيد خلاف ما يفيد أفعالت في جميع الكلام إلا ما كان ذلك من لغتين"^(٤).

ومما يجدر ذكره عند الحديث عن أبي هلال العسكري ورأيه في الترادف، التأكيد على أنه يمنع الترادف بين الألفاظ اللغة " اللهجة الواحدة " يقول : "... فإذا اعتبرت هذه المعاني وما

(١) الفروق اللغوية : ١١.

(٢) انظر / الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ١٠٧.

(٣) الفروق اللغوية : ٩.

(٤) الفروق اللغوية : ١٥.

شاكلها في الكلمتين، ولم يتبيّن لك الفرق بين معنييهما، فاعلم أنّهما من لغتين مثل القدر بالبصرية والبرمة بالمكية، ومثل قولنا الله بالعربية وأزر بالفارسية^(١).

كما أن العسكري لا ينكر وجود قدر مشترك بين بعض الألفاظ في الدلالة، لكن لكل كلمة دلالتها الخاصة، وإن كانت تدل على بعض معنى الكلمة الثانية، يقول : "... ولعل قليلاً يقول إن امتناعك من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد، رد على جميع أهل اللغة لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا العقل، أو الجرح قالوا هو الكسب ... قلنا : ونحن أيضاً كذلك نقول إلا أنا نذهب إلى أن قولنا اللب وإن كان هو العقل، فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا العقل ..." ^(٢). فهو يرى أن استعمال بعض الكلمات مكان بعض ناتج عن التوسيع في الاستعمال وكثريته، وعن تقارب المعاني .

يبدو من العرض السابق أن العسكري ينكر وجود الترادف في اللغة، ويهتم بإبراز الفروق بين الألفاظ التي تبدو – ظاهرياً – مترادفة، وبهذا يعد العسكري من أوائل المانعين للترادف في اللغة، وفي القرآن الكريم .

إمام الحرمين عبد الملك الجوني (ت ٤٧٨ هـ)

يعد إمام الحرمين عبد الملك الجوني (ت ٤٧٨ هـ) من رضوا الترادف في القرآن الكريم؛ لوجود الفوارق بين معاني الألفاظ المترادفة . قال الجوني : " لا يكاد اللغويون يفرقون بين الإعطاء والإيتان، وظهر لي بينهما فرق ابني عليه بلاغة في كتاب الله، وهو أن الإيتان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، لأن الإعطاء له مطابع، يقال : أعطاني فعطوتُ، ولا يقال في الإيتان : أتاني فأتيت، وإنما يقال : أتاني فأخذت ... فالإيتاء إذن أقوى من الإعطاء "^(٣).

وقد دلل الإمام الجوني على ما ذهب إليه مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم، مبيناً الفرق بين الإيتان والإعطاء .

(١) الفروق اللغوية : ١٩ .

(٢) الفروق اللغوية : ١٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٤/٨٥ .

الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ)

ويتابع الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ) من سبقه في رفض الترادف في القرآن الكريم، حيث ألف كتابه "معجم مفردات ألفاظ القرآن" وتتبع فيه ألفاظ القرآن مبيناً المعاني الخاصة لكل لفظة، جاماً بين اللفظ اللغوي والمعنى القرآني، يقول الأصفهاني في مقدمة كتابه: "وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل، بكتاب ينبع عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبنك يعرف اختصاص كل خبر بالفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكر القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة، وهو ذكره تعالى في عقب قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الروم: ٣٧) ... وفي أخرى: ﴿لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٥٢) وفي أخرى: ﴿لَقَوْمٍ يَسْعَهُونَ﴾ (الأعراف: ٩٨) ... وهو ذلك مما يعدد من لا يحق الحق ويبطل الباطل أنه باب واحد، فيقدر أنه إذا فسر الحمد لله بقوله الشكر لله، ولا ريب فيه بلا شك فيه فقد فسر القرآن ووفاه التبيان^(١).

وخلاله رأي الأصفهاني أنه وإن كان يرى في الألفاظ ترادفاً خارج النص القرآني، إلا أنه يعتقد بالفروق بينها، وأن لكل لفظة معنى خاصاً تؤديه داخل السياق ولا يؤديه غيره من الألفاظ.

أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)

للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) رأي واضح في مسألة الترادف في القرآن الكريم، فقد عبر عن رأيه الذي يميل إلى عدم القول بالترادف بين مفردات القرآن الكريم، ويتصفح هذا جلياً في تفسيره "الكاف الشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، ويعلل الزمخشري رأيه بعدم الترادف بين مفردات القرآن إلى الفروق بين معانٍ بعض الألفاظ التي قيل بترادفها. فقد فرق الزمخشري بين لفظتي البث والحزن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوبُّي وَحْزُنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦) بقوله: "البث": أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبيته إلى الناس أي ينشره^(٢). وكأنه ينشره ليخفف عن نفسه بعض ما يجد.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٩.

(٢) تفسير الكاف الشاف: ٢/٤٨٠.

وكذلك فرق بين السر والنجوى في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَجُوَافِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (التوبه: ٧٨)، فهو يرى المراد هو: "ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتtagون به فيما بينهم من المطاعن في الدين، وتسمية الصدقة جزية وتدبير معها" ^(١). وقد فرق بين الحمد والشكرا ونفي أن يكونا مترادفين، يقول في ذلك : "الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها . تقول : حمدت الرجل على إنعماته، وحمدته على حسبه وشجاعته . وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :

أَفَادَتْكَ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً
يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمَحْجَبَاً .
والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر ... والحمد نقىضه الذم، والشكرا
نقىضه الكفران ^(٢) .

ويورد الزمخشري أمثلة كثيرة في تفسيره، يفرق فيها بين المفردات التي يعدها بعضهم مترادفة، وهذا يؤكد على أنَّ الزمخشري - رحمه الله - لا يرى الترافق في ألفاظ القرآن الكريم .

ابن عطيه الأندلسي (ت ٥٤١ هـ)

يرى ابن عطيه أن إعجاز القرآن الكريم يعود إلى جودة سبكه، واستواء كلماته في أماكنها الخاصة بها، بحيث لو بحث عن كلمة تحل محل كلمة تتزعز منه، لم يوجد في لسان العرب لفظة أحسن منها، أو تقوم مقامها، وتؤدي معناها .

وقد فرق ابن عطيه بين الحمد والشكرا، فهو يرى أن "الحمد معناه الثناء الكامل، والألف واللام فيه لاستغراق الجنس من المحامد، وهو أعم من الشكر، لأن الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدى إلى الشاكرا، وشكراً حمد ما، والحمد مجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً، فالحمد من الناس قسمان : الشاكرا والمثنى بالصفات ^(٣) .

(١) تفسير الكشاف : ٢٨٣/٢.

(٢) تفسير الكشاف : ١٩/١.

(٣) الأندلسي، ابن عطيه أبو محمد الغرناطي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تتح . عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م . ٦٦ / ١ .

وقد فرق ابن عطية بين الأبكم والأخرس، وفرق بين الشهيد وغيره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحْسِنَ النَّذِنَ قُلُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَمْوَاتَنَا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رِتْهِمْ بِرْقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) ويرى أن الفرق بينهما إنما هو في الرزق . ومن هذه الآراء يلحظ ميل ابن عطية إلى استقلالية معاني مفردات القرآن الكريم، ونفيه الترادف التام في الدلالة على المعنى الواحد .

الإمام أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ)

فرق القرطبي بين اليساء والضراء في قوله تعالى ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْ أُمِّ مِنْ قَيْلَكَ فَأَخْدَنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَصْرَعُونَ﴾ (الأنعام: ٤٢)، فقد فسر اليساء بأنها المصائب في الأموال، والضراء في الأبدان، وأن هذا قول الأكثر، وقد يوضع كل منها موضع الآخر، ويؤدب الله عباده باليساء والضراء وبما شاء^(١) . وفرق بين السر والنجوى، حيث إن السر هو ما يسر في النفس، والنجوى ما يتناجي به بين الناس .

كما فرق بين العوج والأمت في قوله تعالى ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (طه: ١٠٧) بأن العوج التعرج في الفجاج، والأمت النباك وهي التلال الصغار^(٢) .

ومن يتبع تفسير القرطبي يجد كثيراً من الأمثلة، حيث يفرق بين ألفاظ قيل إنها من المترادفات، وهذا يدلل بوضوح على رأيه الذي يميل فيه إلى منع الترادف في القرآن الكريم.

شيخ الإسلام الإمام تقى الدين بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

يرى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية أن الترادف في اللغة قليل، وفي ألفاظ القرآن الكريم نادر أو معروم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه .^(٣)

وقد غلط ابن تيمية من قال إن لفظي "شرعه ومنهاجاً" معناهما واحد في قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)، وأنهما جاءا متعاطفين لمجرد اختلاف اللفظ فقط . يقول ابن تيمية : " ومن الناس من يدعى أن مثل هذا جاء في كتاب الله ... وهذا غلط ،

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ٣ / ٧٣٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٦ / ٢٢٤ .

(٣) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ١٨١ .

مثل هذا لا يجيء في القرآن ولا في كلام فصيح، وغاية ما يذكر منها يذكر الناس اختلاف معنى اللفظ، كما ادعى بعضهم أن من هذا قوله - الحطيئة - :

أَلَا حِبْدًا هَنْدًا وَأَرْضٌ بَهَا هَنْدًا وَهَنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ

فزعموا أنهم بمعنى واحد، واستشهدوا بذلك على ما ادعوه من أن الشريعة هي المنهاج، فقال لهم المخالفون لهم (النأي) أعم من البعد، فإن النأي كل ما قل بعده أو كثر كأنه مثل المفارقة (والبعد) إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته^(١).

فالنأي - في رأي ابن تيمية - أعم من البعد، وعطفه عليه عطف خاص على عام .

كما أن ابن تيمية - يرى في تفسير لفظ بلفظ آخر تقريب المعنى وتوضيحه بكلمة أخرى لمن لا يفهم معنى الأولى لسبب أو لآخر فالتفسيـر تقرـيب للمـعـنى لا تحـديـد دقـيقـ لهـ . وفرق ابن تيمية بين لفظي الإيمان والتصديق، وذهب إلى إبطال ما يقال إن لفظ الإيمان مرادـ للـتصـديـقـ، وـدلـلـ عـلـىـ رـأـيـهـ بـطـرـيـقـةـ منـطـقـيـةـ مـيـنـاـ أـنـ الإـيمـانـ مـقـابـلـهـ الـكـفـرـ،ـ وـالـتصـديـقـ مـقـابـلـهـ التـكـذـيـبـ،ـ وـالـكـفـرـ لـاـ يـخـتـصـ بـالـتـكـذـيـبـ بلـ هـوـ أـعـمـ مـنـهـ وـأـشـمـلـ^(٢).

ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)

يفرق الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) بين ألفاظ مترادفة - في ظاهرها - وردت في بعض الآيات، مما يدل على أنه يميل إلى إنكار الترداد في القرآن الكريم .

فقد فرق بين لفظي الحمد والشكر، مخالفـاً من قال بترادفهما، يقول ابن كثير: "... فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعـانـ عـلـىـ لـأـنـهـ يـكـوـنـ عـلـىـ الصـفـاتـ الـلـازـمـةـ وـالـمـتـعـدـيـةـ،ـ تـقـولـ حـمـدـهـ لـفـرـوـسـيـتـهـ،ـ وـحـمـدـهـ لـكـرـمـهـ وـهـوـ أـخـصـ؛ـ لـأـنـهـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ بـالـقـوـلـ،ـ وـالـشـكـرـ أـعـمـ مـنـ حـيـثـ ماـ يـقـعـانـ عـلـىـ لـأـنـهـ يـكـوـنـ بـالـقـوـلـ وـالـفـعـلـ وـالـتـيـةـ كـمـاـ تـقـدـمـ،ـ وـهـوـ أـخـصـ لـأـنـهـ لـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ عـلـىـ الصـفـاتـ الـمـتـعـدـيـةـ،ـ لـاـ يـقـالـ شـكـرـتـهـ لـفـرـوـسـيـتـهـ،ـ وـتـقـولـ شـكـرـتـهـ عـلـىـ كـرـمـهـ وـإـحـسـانـهـ إـلـيـ...ـ"^(٣)

وفرق ابن كثير بين الشريعة والمنهج في قوله تعالى: ﴿لَكُلٌّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

(المائدة : ٤٨)

وبعد أن ذكر آراء من سبقه من العلماء، رجح أن الشريعة والمنهج بمعنى السبيل والسنة . يقول ابن كثير : "... فـانـ الشـرـيـعـةـ وـهـيـ الشـرـيـعـةـ أـيـضاـ هـيـ مـاـ يـبـتـدـأـ فـيـ إـلـيـ الشـيءـ،ـ

(١) ابن تيمية، نقـيـ الدينـ:ـ كـتـابـ الإـيمـانـ،ـ دـارـ الـكتـبـ الـعـلـمـيـةـ،ـ بـيـرـوـتـ،ـ طـ ١٩٨٣ـ،ـ ١٥٧ـ .

(٢) انظر / كتاب الإيمان : ٢٤٧ وما بعدها .

(٣) ابن كثير: الإمام الحافظ : تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا- القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ٣٥ / ١ .

ومنه قال شرع في كذا أى ابتدأ فيه، وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلى الماء . أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنن والطرائق، فتفسير قوله : " شرعة و منهاجاً " بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس والله أعلم " (١) .

ومن يتتبع تفسير الحافظ ابن كثير لبعض الآيات التي تشتمل على ألفاظ " مترادفة " يجده يفرق بين هذه الألفاظ، وهذا يدل على أن ابن كثير ينكر الترادف في ألفاظ القرآن الكريم .

الإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)

ناقش الإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه " البرهان في علوم القرآن " ظاهرة الترادف، ورأى عدم الترادف بين ألفاظ القرآن الكريم، يقول في كتابه : "... فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيها مقام الآخر، فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن ؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب ؛ وإن انتفوا على جوازه في الإفراد " (٢) .

وقد تناول الزركشي بالدرس التفريق بين ألفاظ يظن بها الترادف، وليس منه، مثل : الخوف والخشية، والشح والبخل ... وقعد وجلس، وقد فرق بينهما بقوله : " إن القعود لا يكون معه لبنة، والجلوس لا يعتبر فيه ذلك ؛ ولهذا نقول : " قواعد البيت " ، ولا تقول : " جوالسه " ؛ لأن مقصودك ما فيه ثبات ؛ والقاف والعين وال DAL كيف تقابلت دلت على اللّيث، والقعدة بقاء على حالة، والدقعاء للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبّث طويل ؛ وأما الجيم واللام والسين فهي للحركة، منه السجل لكتاب يطوي له ولا يثبت عنده، ولهذا قالوا في قعد: يقع بضم الوسط، وقالوا : جلس يجلس بكسره ؛ فاختاروا التقىيل لما هو ثبت " (٣) .

وبتابع الإمام الزركشي في كشف الفروق بين اللفظتين محاولاً إثبات ما ذهب إليه، حيث يقول: "إذا ثبت هذا فنقول: قال الله تعالى : ﴿مَقَاعِدُ الْقَتَالِ﴾ (آل عمران: ١٢١)، فإن الثبات هو المقصود .

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣/٧٩ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤/٧٨ .

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٤/٨٤ .

وقال : ﴿أَقْعُدُ وَامْتَاعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبه : ٤٦)، أي لا زوال لكم، ولا حركة عليكم بعد هذا . وقال : ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ (القمر : ٥٥) ولم يقل "مجلس" إذ لا زوال عنه . وقال : ﴿إِذَا فَيْلَكُمْ تَسْحَوْ فِي الْمَجَالِسِ﴾ (المجادلة : ١١)، إشارة إلى أنه يجلس فيه زماناً يسيرأً ليس بمقعد ؛ فإذا طلب منكم التفسح فافسحوا، لأنه لا كلفة فيه لقصره، ولهذا لا يقال : قعيد الملوك إنما يقال : جليسهم، لأن مجالسة الملوك يستحب فيها التخفيف ؛ والقيمة للمرأة ؛ لأنها تثبت في مكانها ^(١) .

مجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)

أما مجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، فقد ألف كتاباً عنوانه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" ، وقد عرض فيه لتفسيير مفردات القرآن على نحو عمل الراغب الأصفهاني في مفرداته .

وفيروزآبادي في كتابه يتبع الألفاظ المترادفة مبرزاً المعاني الخاصة لكل لفظ وبيان الفرق بينها . وهو في عمله هذا يقر بالترادف بين الألفاظ في اللغة، إلا أنه ينكر وجود الترادف في القرآن الكريم، فاللفظ داخل السياق القرآني له معنى خاص، ولا يؤديه غيره من الألفاظ .

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)

أفرد السيوطي قاعدة بعنوان "الألفاظ يُظنَّ بها الترادف وليس منه" في كتابه "معترك القرآن في إعجاز القرآن" ومن ذلك الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولاشك أن الخشية أعلى منه، وهي أشد الخوف، فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشبية؛ أي يابسة، وهو فوات بالكلبة. والخوف من قولهم ناقة خوفاء؛ أي بها داء وهو نقص، وليس بفوات؛ ولذلك خصت الخشية بالله في قوله : ﴿يَخْشَوْ رَبِّهِمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١). وفرق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المختش، وإن كان الخاشي قوياً والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيرأً ^(٢).

(١) البرهان في علوم القرآن : ٤/٨٤.

(٢) معترك القرآن في إعجاز القرآن : ٣/٦٠٢.

وقد فرق بين السبيل والطريق، والقعود والجلوس، وغيرها ... وعند تفريقه بين الشج والبخل يقول السيوطي : " ومن ذلك الشج والبخل . والشج هو أشدُّ البخل . قال الراغب : الشج بخل مع حرص . وفرق العسكريُّ بين البخل والضنَّ لأنَّ الضنَّ أصله أن يكون بالعواريِّ، والبخل بالهبات، ولهذا يقال : هو ضئيل بعلمه، ولا يقال بخليٍّ ؛ لأنَّ العلم بالعارية أشبه بالهبة ؛ لأنَّ الواهب إذا وهب شيئاً خرج من ملْكِه، بخلاف العارية، ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَئِيلٍ﴾ (التكوير : ٢٤) ، ولم يقل بخليٍّ ^(١) .

وقد بين السيوطي أنَّ عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى، القصدُ منه التأكيد، وهذا ما يرجح ميل السيوطي إلى إنكار الترادف في القرآن الكريم.

أبو بكر جابر الجزائري :

من خلال تتبع تفسير " أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير " لأبي بكر الجزائري الوااعظ بالمسجد النبوي الشريف، يلحظ أنه يفرق بين الألفاظ التي قيل بترادفها، وقد أورد الجزائري أمثلةً كثيرةً لهذه الألفاظ .

ومن هذه الألفاظ الفرق بين الحمد والشكراً " هناك فرق بين المدح والحمد، فالحمد يكون على الجميل الاختياري، كما يحمد الله تعالى على لطفه ورحمته وإحسانه .

وأما المدح فإنه يكون على الاختياري والاضطراري، كما يمدح الإنسان على جمال وجهه وهو ليس فعله وعلى إحسانه الذي هو عمله الاختياري، والثناء : المدح، وتكراره مرة بعد مرة .

والشكراً : الثناء باللسان على المنعم بما أولى من النعم، فهو أخص من الحمد مورداً إذ مورده النعمة فقط، وأعم متعلقاً، إذ متعلقه القلب واللسان والجوارح لقول القائل : **أَفَادَتْكَ النِّعَمَاءُ مِنِي ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالضميرِ المحبِّباً** . والحمد : يعم المدح والشكراً حديث : " الحمد رأس الشكراً " ^(٢) .

ومثل ما ذهب إليه أبو بكر الجزائري في تفريقه بين الحمد والشكراً، والأمثلة الكثيرة التي أوردتها في تفسيره، يدلل بشكل قاطع على رأيه بإنكار الترادف في ألفاظ القرآن الكريم .

(١) معرك القرآن في إعجاز القرآن : ٦٠٣/٣ .

(٢) الجزائري، أبو بكر جابر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة لينـا - دمنهور، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م : ١٠ .

١٢٤٥٨٦٠

الجامعة الأسترالية - المكتبة - قسم الوسائل التعليمية

الدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" :

تعد بنت الشاطئ في مقدمة العلماء المعاصرين المهتمين باللغة العربية وآدابها، مع اهتمامها بصفة خاصة بالإعجاز القرآني، وتفسير القرآن الكريم .

ورأى بنت الشاطئ في نفي الترادف في القرآن الكريم واضح، فهي ترى أن اللفظ لا يقوم مقامه سواء، والحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، بل الحركة والنبرة تأخذ مكانها الخاص في النظم المعجز .

وقد خرجت بنت الشاطئ في مقدمة العلماء المعاصرين المهتمين باللغة العربية وآدابها، مع اهتمامها بصفة خاصة بالإعجاز القرآني، وتفسير القرآن الكريم .

وقد خرجت بنت الشاطئ من دراستها لمسائل ابن الأزرق، بأن الكلمة القرآنية مهما روّعيت الدقة في تفسيرها تبقى فوق ذلك، منفردة بجلالها وجمالها وإعجازها، وأنه لا يغضّن من قدر المفسرين، سواء أكانوا من الصحابة أو التابعين، أو من الأئمة المتأخرین إلا تكون الكلمة القرآنية مرادفة لما يذكرونها في تفسيرها بل يفرض الإعجاز البياني للقرآن الكريم أن يعيي أي مفسر عن الإلتباس بمثل الكلمة القرآنية في مقامها؛ إذ إن ما يأتي به إنما هو من قبيل الشرح والتقريب ولا يعني ذلك بحال أنها الكلمة القرآنية سواء .^(١)

وتقول بنت الشاطئ في كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم" بأن هذه النتيجة التي انتهت إليها كانت حصيلة سنين طويلة من الدراسة والبحث والتابع وفق منهج صارم، يقوم على التناول الموضوعي فيتفقر لدراسة الموضوع الواحد فيجمع كل ما في القرآن الكريم منه ويدور مع الكلمة أو الموضوع القرآني حيثما دار في القرآن الكريم^(٢) .

ومجمل رأي الدكتورة عائشة عبد الرحمن في قضية الترادف هو إنكار وجود الترادف في لغة القبيلة الواحدة، وأن ما جاء منه محمول على كونه من لغة قبيلتين، وقد يكون بسبب القرابة الصوتية، إلا أنها تتفى - كما فهم من عرض آرائها - وجود الترادف في القرآن الكريم .

الدكتور فضل عباس :

لقد شغلت قضية الترادف العلماء قديماً وحديثاً، وإذا كان بعض العلماء يعد الترادف من خصائص اللغة ومخاخيرها، فإن كثريين وقفوا من الترادف موقف السلبية والإإنكار .

(١) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢٠٩.

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢١٠.

ويرى الدكتور فضل عباس - أستاذ في الجامعة الأردنية - بشكل لا يقبل الشك، عدم وجود الترافق في القرآن الكريم، وأن ما يظنه بعض الناس ترافقاً بين ألفاظه ليس كذلك؛ لوجود الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ .

يقول الدكتور فضل عباس في هذه القضية : "... والذى نطمئن إليه، وقد اطمأن إليه كثيرون من قبلنا أن لا ترافق في كتاب الله تبارك وتعالى، والكلمات التي ظنها بعض الناس مترافقاً عندما ننعم النظر فيها، نجد أن لكل معناها الدقيق " (١) .
وقد أورد بإيجاز بعض الكلمات التي يظن أنها مترافق .

الدكتور صلاح الخالدي :

يورد الدكتور صلاح الخالدي في كتابه "إعجاز القرآن البياني" آراء القائلين بالترافق في اللغة، كما أورد آراء الناففين للترافق من البلاغيين والمفسرين. وقد رجح الدكتور صلاح الخالدي آراء المانعين للترافق، والقايلين بوجود فروق دقيقة بين الألفاظ المتقاربة.

يقول في كتابه : " قد يوجد الترافق في بعض كلمات في اللغة العربية، لكنها كلمات قليلة جداً، وليس كثيرة كما قال أنصار الترافق .

أما ألفاظ القرآن فليس بينها ترافق، هذا ما نرجحه، ونحن في هذا موافقون للمحققين من البلاغيين والبيانيين والمفسرين في القديم والحديث " (٢) .

ويدعم الدكتور صلاح الخالدي رأيه ببعض الأمثلة على الفروق الدقيقة بين الكلمات القرآنية؛ ليعلم القارئ أنه لا ترافق بينها، ومن هذه الأمثلة الفرق بين "أنس" و "أبصر" ، والفرق بين "الأب" و "الوالد" ...

وأخيراً فلعل الخلاف بين الغريقين المؤيدین القائلين بالترافق والمعارضين المانعين له خلاف شكلي، فالمؤيدون للترافق يكتفون بتقارب الألفاظ في معانيها العامة؛ لذلك يحكمون بالترافق .

"ويرى الأستاذ على الجارم أن المعنى الدقيق للترافق يقتضي أن تدل الكلمات المترافقـة على معنى واحد، على التحديد لا على التقرير، وأن يكون تشابه المعنى فيها كاملاً" (٣) ولذلك اهتم البلاغيون المعاصرـون بوضع شروط لا بد من تحقـيقها بين الألفاظ؛ حتى يقال بالترافق بينها، وأهم هذه الشروط :

(١) إعجاز القرآن الكريم : ١٧١ .

(٢) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : ٢٠٤ .

(٣) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ٣٢ .

- ١- الاتحاد التام بين اللفظين في المفهوم والمعنى، فإن وجدت فروق طفيفة بينهما خرجت من دائرة الترافق .
- ٢- الاتحاد التام بين اللفظين في البيئة اللغوية، بانتماهما إلى لهجة عربية واحدة، أو لهجات عربية متجانسة .
- ٣- اتحاد العصر، بأن يقال بالترافق بين اللفظين في زمان معين وعهد خاص .
- ٤- أن لا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر، فإن كانا كذلك كانوا لفظاً واحداً، وليس لفظين مترافقين ؛ مثل : جَبَدَ وجَذَبَ، وصَعِقَ وصَعْقَ .^(١)
وتطبيق هذه الشروط على الألفاظ التي زعمواها مترافقاً يؤدي إلى تضليل دائرة الترافق.

أما المنكرون للترافق فهم الذين يدقون في المعاني الخاصة بين الألفاظ من خلال السياق الذي وقعت فيه، فاللفظ القرآني لا يؤدي معناه سواه، والحرف لا يسد مسدة غيره، فالمنكرون للترافق في النظم القرآني يرون أن اللفظ الواحد لا يدل على معنيين مختلفين، كما لا يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد دلالة حقيقة أصيلة .

(١) انظر / الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ٣١ .
وإعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : ٢٠٢ .

الفصل الثالث

الترادف في النظم القرآني

تأكيد المترادفات

- (١) تبسم ... ضاحكاً
- (٢) هُمْزَه ... لِمْزَه
- (٣) فجاجاً ... سبلاً
- (٤) كل ... أجمعون
- (٥) العثو ... الفساد
- (٦) ولوا .. مدبرين
- (٧) ضيقاً... حرجاً

تأكيد المترادفات

اللّفظان (تبسم...ضاحكاً)

ذكرا مجتمعين في قوله تعالى: ﴿فَبَسَمْ صَاحِكَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبُّ أُوزِعْنِي أَنْ أَشْكُرْ يُعْمَكَ الَّتِي أَعْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تُرْضَاهُ وَأَذْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: ١٩)

فظاهر اللّفظين (تبسم .. ضاحكاً) الترادف والاشتراك في الدلالة ، إلا أن تتبع المعنى اللغوي، والسمات الصوتية لكل كلمة يوضح انفراد كل منها في الدلالة، ووجود فوارق دقيقة بينهما.

فالتبسم في لسان العرب: "بسّم": يتبسم بسّماً وابتسم وتبسم: وهو أقل الضحك وأحسنـه.

... قال الزجاج: التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام... وفي صفتـه صلى الله عليه وسلم: أنه كان جـلـ ضـحـكـهـ التـبـسـمـ (١)

فالتبسم: انبساط الوجه دون تكثـرـ الأسـنـانـ.

أما لفظ "ضاحكاً" فهو مشتق من مادة (ضحـكـ)، وقد جاء في لسان العرب: "ضحـكـ":
الضـحـكـ: معـرـوفـ، ضـحـكـ يـضـحـكـ ضـحـكـاً وـضـحـكـاً وـضـحـكـاً أـرـبـعـ لـغـاتـ... وـفـيـ
الـحـدـيـثـ: يـبـعـثـ اللـهـ السـحـابـ فـيـضـحـكـ أـحـسـنـ الضـحـكـ، جـعـلـ اـنـجـلـاءـهـ عنـ البرـقـ ضـحـكـاًـ اـسـتـعـارـةـ
وـمـجاـزاًـ كـمـاـ يـفـتـرـ الضـاحـكـ عنـ الثـعـرـ... وـالـضـواـحـكـ: الأـسـنـانـ التـيـ تـظـهـرـ عـنـ التـبـسـمـ.ـ أـبـوـ زـيـدـ:
لـلـرـجـلـ أـرـبـعـ ثـيـاـيـاـ وـأـرـبـعـ رـبـاعـيـاتـ وـأـرـبـعـ ضـواـحـكـ، وـالـوـاحـدـ ضـاحـكـ وـاثـنـاـ عـشـرـةـ رـحـيـ، وـفـيـ
كـلـ شـيـقـ سـتـ: وـهـيـ الطـواـحـيـنـ ثـمـ النـواـجـذـ بـعـدـهـاـ (٢)

فالضـحـكـ: اـنـبـاطـ وـجـهـ الإـنـسـانـ وـتـكـثـرـ الأـسـنـانـ منـ سـرـورـ النـفـسـ، وـلـظـهـورـ الأـسـنـانـ
عـنـهـ سـمـيـتـ مـقـدـمـاتـ الأـسـنـانـ الضـواـحـكـ.

وـالـتـبـسـمـ -ـكـمـاـ سـبـقـ تـوـضـيـحـهـ- اـنـبـاطـ الـوـجـهـ دـوـنـ تـكـثـرـ الأـسـنـانـ.

ولـتـوـضـيـحـ هـذـهـ الـمعـانـيـ الـفـارـقـةـ بـيـنـ الـلـفـظـيـنـ لـابـدـ مـنـ مـرـاجـعـةـ دـلـالـتـهـمـاـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ.
الـلـفـظـ تـبـسـمـ لـمـ يـرـدـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ تـعـالـىـ إـلـاـ فـيـ الـآـيـةـ الـمـذـكـوـرـةـ مـنـ سـوـرـةـ النـمـلـ، وـقـدـ
فـسـرـهـ الـعـلـمـاءـ بـالـشـرـوـعـ فـيـ الضـحـكـ، وـيـرـىـ إـلـيـمـ الـطـاـهـرـ بـنـ عـاـشـورـ أـنـ تـبـسـمـ سـلـيـمانـ مـنـ
قـوـلـهـ تـبـسـمـ تـعـجـبـ (٣).

(١) لـسـانـ الـعـربـ: مـادـةـ (ـبـسـمـ)ـ ٤١/١.

(٢) لـسـانـ الـعـربـ: مـادـةـ (ـضـحـكـ)ـ ٢٦/٨.

(٣) ابن عـاـشـورـ، مـحـمـدـ الـطـاـهـرـ: تـفـسـيرـ التـحـرـيرـ وـالـتـوـيـرـ، دـارـ سـخـنـونـ لـلـنـشـرـ وـالـتـوـزـيـعـ، تـونـسـ، ١٩٩٧ـمـ،
الـمـجـلـدـ الـتـاسـعـ، ٢٤٣/١٩.

والمتبوع لعدد المرات التي ورد فيها مادة (ضحك) ومشتقاتها في القرآن الكريم يجد أنها ذكرت عشر مرات، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتَّحِدُهُمْ سِحْرًا حَسَنَ سَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُلُّمْ مِنْهُمْ ضَحْكُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٠)

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ يَا إِنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ (الزخرف: ٤٧)

وقوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ يَعْجِبُونَ وَضَحْكُونَ لَا يَبْكُونَ﴾ (النجم: ٦٠)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٢٩)

وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٣٤)

فقد استعير الضحك للسخرية في الآيات الكريمة السابقة، كما أن الضحك يستعمل في السور المجرد، وذلك في قوله، تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ صَاحِكَةٌ مُسْبِشَةٌ﴾ (عبس: ٣٩)

وقوله تعالى: ﴿فَيُضْحِكُوْا قَلِيلًا وَلَيْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبه: ٨٢)

وقوله تعالى: ﴿فَبِسْمِ صَاحِكَةٍ مِنْ قَوْلِهَا﴾ (النمل: ١٩)

وقد يستعمل الضحك للدلالة على التعجب المجرد ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَنْكَ﴾ (والنجم: ٤٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأُهُنَّهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرَتْهَا بِإِسْحَاقٍ﴾ (هود: ٧١)، وقد كان ضحكها للتعجب

بدلاله قوله تعالى: ﴿فَالْأُنْجَيْنَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (هود: ٧٣)

فالضحك له معانٌ متعددة وأغراض متعددة، منها السخرية، والسرور، والتعجب.

ومن لطائف ما يروى أن التبسم أضعف حالات الضحك، وضحك الأنبياء التبسم كما ورد في صفة ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم... وكان جل ضحكه التبسم، بل كلّه التبسم، فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجهه^(١).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم "إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام"^(٢).

أما القهقةة فلا تكون للأنبياء، كما أن التبسم قد يكون للغضب، فإن الضحك مبين له.

(١) الجوزية، ابن قيم: جامع السيرة، جمعه يسرى السيد محمد، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ٢٠٠٢م، ٣٧٦.

(٢) الكاندلوبي، محمد يوسف: حياة الصحابة، تحقيق محمد سيد، دار الفجر للاسترات، القاهرة، ط١،

ومادة (بسم) تتكون من الباء وهو صوت شفوي، والسين وهو صوت أسناني صفيري، والميم صوت شفوي أيضاً، فعندما ينطق المرء بهذه الأصوات مجتمعة ينحيط وجهه دون ظهور النواخذة.

يتضح مما سبق أن اللفظين (تبس... ضاحكاً) غير مترادفين، ولا يمكن القبول بأن "ضاحكاً" حال مؤكدة بالمرادف.

اللُّفْظَانِ (الْهُمَزَةُ... وَالْلُّمَزَةُ) :

ذكر مجتمعين في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا كُلُّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ (الهمزة: ١) ، ويرأها كثير من العلماء بمعنى واحد، ويفسرون ذكرهما معاً على أنه تأكيد لفظي بالمرادف.

وممن قال بهذا أبو زكريا الفراء في معاني القرآن، فهو يرى أن اللفظين بمعنى واحد، وهو الذي يغتاب الناس ويعيدهم^(١)! وذهب آخرون من العلماء إلى التفريق بينهما محتاجاً بكلام العرب من الشعر، فقيل: الهمزة العيابون في الغيب، واللُّمَزَة المغتابون بالحضررة.

وعكس آخرون، فقالوا: الهمزة بالحضررة واللُّمَزَة بالغيب. وروى أن الهمزة: الذي يهمز الناس بيده، واللُّمَزَة الذي يلمزهم بلسانه، وقيل: الهمزة يكون باللسان، واللُّمَزَة بالعين. وقال آخر: الهمزة الذي يؤذى جلساًه بسوء الفظ، واللُّمَزَة الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير بيده ويرأسه وبحاجبه، ومنه قول زياد الأعمج:

وَإِنْ أَعْيَبْتَ فَأَنْتَ الْهَامِزُ الْلُّمَزَةُ
تُدْلِي بِوْدٍ إِذَا لَقَيْتَنِي كَذِيَا

وقول الآخر:

إِذَا لَقَيْتَكَ عَنْ سَخْطٍ تَكَاشِرُنِي وَإِنْ تَغْيِيْتُ كُنْتَ الْهَامِزُ الْلُّمَزَةُ

وقيل: أصل الهمز واللُّمَز: الضرب والدفع، يقال : همز يهمزه همزاً، ولمزه يلمزه لمزاً: إذا دفعه وضربه^(٢).

ويعلق الأستاذ الدكتور محمد علوان على هذه الآراء، فيقول : " إلا أن هذه الآراء تبقى في دائرة الاجتهادات التي لا تعتمد على سند أو دليل في تخصيص معنى كل لفظة، لكننا نأتيس بها، ولعل بعضاً منها ما يقارب ما ذهبت إليه المعاجم في تحديد معنى كل كلمة "^(٣) فالهمز في لسان العرب: "همز رأسه يهمزه همزاً: غمزه، وقد همت الشيء في كفي، قال رؤبة: ومن همنا رأسه تهشماً... وهمز الدابة يهمزها همزاً: غمزها

(١) معاني القرآن (للقراء): ٢٨٩/٣ .

(٢) (انظر) : لسان العرب: ٣٢٦/١٢ ، الكشاف : ٧٨٨/٤ ، بصائر ذوي التمييز : ٣٤٣/٥ .

(٣) الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والمشابهات : ٢٦ .

والمهماز: ما همِّزَتْ به؟ قال الشماخ:

أقام الثقافُ والطريدةُ درأها
كما قوَّمتْ ضيغْن الشمُوس المَهَامِزُ

أراد المهاميز، فحذف الياء ضرورة. قال ابن سيده: وقد يكون جمع مهْمَزٌ ... والـسَّهْمَزُ مثل الغمز والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنَّه يُضْغط ... والـهَامِزُ والـهَمَّازُ: العيَّاب. والـهَمَّةَ مثلاً، ورجل همزة وامرأة همزة أيضاً. والـهَمَّازُ والـهَمَّةَ: الذي يخلف الناس من ورائهم ويأكل لحومهم، وهو مثل العينة، يكون ذلك بالشدق والعين والرأس^(١).

و عليه فإن الهمز في اللغة يفيد معنى الغمز بالعيب والتحريض عليه. والللمزُّ في لسان العرب: " كالغمز في الوجه تلمزه بفليك بكلام خفي... ورجل لمزة: يعيك في وجهك... قال الكسائي: يقال همزته ولمزته إذا دفعته. وقال الفراء: الهمز واللمز والمرزُ واللقنُ والنَّقْسُ العيب. وقال البحرياني: الهمَّاز واللمَّاز النَّمَّام. ويقال: لمزه يلمزه لمزاً إذا دفعه وضربه. والللمز: العيب في الوجه، وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، وفيه: هو الاغتياب... ورجل لمز لمسة أي عياب، وكذلك امرأة لمزة، الهاء فيها للبالغة لا للثانية... والللمز العيب والوقوع في الناس" (٢).

وعلیه فإن الل Miz في اللغة يفيد معنی تتبع المعايير والتهمة بها.

ما سبق تتصفح المعاني الفارقة بين اللفظين، فالهمز يفيد معنى الغمز بالعيب والتحريض عليه، واللمز هو تتبع المعائب والتهمة بها.

وللتوسيح هذه المعانٰي الفارقة بين اللفظين لابد من مراجعة دلالاتهما في القرآن الكريم. حيث ورد في القرآن الكريم أيتان تتعلقان بمشتقات الهمز، الأولى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّنَا عَوْدٌ يَكَمِنُ هَمَرَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون: ٩٧)

فالهمزات جمع همة، ومنه: مهماز الرايض، والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها، كما تهزم الراضة الدواب حثاً لها على المشي، وهمزات الشيطان كيده باللوسوسه بوجهين: أحدهما باللوسوسه، والآخر تحريض الأعداء على إيذاء الرسول.^(٣) والهمز كالهز والاز في قوله تعالى: ﴿أَتُؤْرُخُمْ أَزْأَرًا﴾ (مريم: ٨٣)

وهذا معناه التحريض على الشر والتحث على الغمز بالغريب.

(١) لسان العرب : مادة (همز) ١٥ / ١٣١

(٢) لسان العرب : مادة (لمز) / ١٢٦ .

(٣) انظر : تفسير الكشاف : ١٩٧/٣

الشوكانى ، محمد بن على : فتح الديار ، راجع أصوله يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣، ١٩٩٧ م، ٦٢١/٣.

والثانية قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعُ كُلَّ حَالَفِيْهِنَّ هَمَّا زَمَشَأَتِيْهِم﴾ (القلم: ١٠، ١١) ، فالهماز هنا المغتاب للناس الذي يهمز أخيه، وهو العياب الطعان، وهي صفة ذميمة يتصرف بها الكافر.^(١) والهماز هنا هو الذي يهمز الناس بذكرهم بالمكروره لا ويا شدقه في أقويتها، وهذا يبين أنه يهتم بإظهار العيب.

أما الآيات التي وردت في القرآن الكريم، وتنعلق بمادة "لمز" ومشتقاتها ، فقد وردت في ثلاثة مواطن: الأول في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطُوهُمْ رَضْوًا إِنَّ لَمْ يُعْطُوهُمْ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبه: ٥٨).

فقد جاء في تفسير أبي السعود أن هذه الآية "نزلت في أبي الجواظ المنافق حيث قال: ألا ترون إلى أصحابكم، يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل. وقيل: في ابن ذي الخُويصرة وأسمه حُرقوص بن زهير التميمي رأسُ الخوارج، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حُبَّين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال: اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام: "وليك إن لم أعدل فمن يعدل؟"^(٢). فنزلت هذه الآية مبينة أنه لمزة عياب همة الطعن والاغتياب.

الثاني في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحِدُونَ إِلَّا جُهْدُهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَاللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبه: ٧٩)

"روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث الناس على الصدقة فأتى عبد الرحمن ابن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل: بأربعة آلاف درهم وقال : لي ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالي أربعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت" ... وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر، فقال : بتليتني أجر بالجرير على صاعين فترك صاعاً لعيالي وجئت بصاع، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينشره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أطعى عبد الرحمن وعاصم إلا رباء وإن كان الله ورسوله لغبني عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات فنزلت".^(٣).

(١) انظر : تفسير الكشاف : ٤/٥٧٤ .
فتح القدير : ٥/٢٢٨ .

(٢) القاضي أبو السعود، محمد بن محمد: تفسير أبي السعود، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م ، ١٦١/٣ .

(٣) تفسير أبي السعود: ٣/١٧٣ .

فقد ورد لفظ "يلمرون" لإبراز صفة ملزمة للمنافقين، وهي حرصهم على الطعن في المؤمنين وإلصاق المعايب فيهم.

أما الموطن الثالث في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنْبِرُوا إِلَيْهِ الْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١) ... واللمز: الطعن والضرب باللسان. وقرئ: ولا تلمزوا - بالضم. والمعنى: وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبيها والطعن فيها، ولا عليكم أن تعيبوا غيركم من لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم^(١).

يتضح من تتبع معنى كلمتي (الهمز واللمز) في القرآن الكريم، أن الهمز تتعلق معانيها بإظهار العيب، بينما تتعلق معاني اللمز بتتبع المعايب والتهمة بها. وعليه فإن اللفظين الواردتين في الآية الكريمة: ﴿وَإِلَّا كُلُّ هُمَّةٌ لَّمَزَةٌ﴾ (الهمزة: ١) غير مترادفين.

اللقطان (فجاجاً سبلاً) :

ورد اللقطان (فجاجاً سبلاً) في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّا أَنْ تُبَيَّدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجاجاً سُبُّلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْدُونَ﴾ (الأبياء: ٣١) . وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا تَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُّلًا فِجاجاً﴾ (نوح: ٢٠، ١٩).

فاللقطان (فجاجاً .. سبلاً) مترادافان يشتراكان في الدلالة على الطرق دلالة عامة ثم يتضح انفراد كل منهما بدلاته على نوع خاص من الطرق.

والفح في لسان العرب: الشق الواسع الغائر. والفحوة الشق المتغير. والفح الطريق الواسع بين جبلين وهو أوسع من الشعب. والفح : المضرب البعيد، وقيل : هو الشعب الواسع بين جبلين. ومنه في القرآن الكريم: ﴿وَأَذْنِ فِي النَّاسِ بِالْحَجَرِ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ صَامِرٍ يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧). قال أبو الهيثم: الفح الطريق الواسع في الجبل، وكل طريق بعد فهو فح.^(٢)

أما لفظ "سبلاً" فتفيد مادته في اللغة معنى الامتداد والاسترسال يقال: "أسبلت العين": سال دمعها. وأسبل عليه: أكثر كلامه. وأسبل الشيء: أرسله وأرخاه... وابن السبيل: المسافر المنقطع به وهو يريد الرجوع إلى بلده ولا يجد ما يتبلغ به.^(٣)

(١) تفسير الكشاف : ٤/٣٥٩.

(٢) لسان العرب : مادة(فح) ١٠/١٨٥.

(٣) المعجم الوسيط : مادة (سبل) ، ١٥، ٤١٥.

والسبيل: "الطريق المبسوطة الممتدة في الوديان" (١).
ويرى الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣ هـ) أن الفج: شَقَّة يكتفها جبلان ويستعمل في الطريق الواسع وجمعه فجاج. والسبيل الذي فيه سهولة وجمعه سُبُلٌ. (٢)
يمما سبق يتبيّن أن:

الجاج: صفة في الطريق تفيد معنى السعة والعمق.

والسبيل: صفة في الطريق تحمل معنى البساط والامتداد.

واجتماع اللفظين في الآيتين الكريمتين أفاد أن الطرق التي جعلها الله في الرواسي تجمع بين ثلاث صفات: الاتساع والعمق والامتداد، وبهذا يكون تمام النعمة، فقد خلق الله الأرض وخلق معها الجبال الرواسي تحفظ توازن الأرض، وتضبط حركتها وجعل في هذه الجبال طرفاً واسعة ممتدة؛ ليسرا على الإنسان، ويخفف عنه من تكبد المشقة وبذل الجهد.

ومما يلفت النظر التقديم والتأخير الحاصل بين اللفظين في الآيتين، ففي سورة الأنبياء تقدمت "جاجاً" على "سبلاً"، وفي سورة نوح تقدمت "سبلاً" على "جاجاً".
إن التقديم والتأخير بين الكلمتين (جاجاً وسبلاً) مردُه إلى اختلاف معناهما من ناحيتين:
أولاً- اتساق الألفاظ و المناسبة المقام.

ففي الآية الأولى ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمْيِذَ بَهْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فَجَاجًا سُبُلًا﴾ (الأنبياء: ٣١) تقدمت كلمة "جاجاً"؛ لتناسب لفظ "الرواسي" وليدل على أن المقام للطرق التي شقها الله سبحانه وتعالى في هذه الجبال، فجعلها عميقة واسعة.

بينما في الآية الثانية ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ سَاطِلًا تَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فَجَاجًا﴾ (نوح: ٢٠، ١٩) تقدمت كلمة "سبلاً" لتوافق لفظ "ساطاً"، وليدل على أن المقام الطريق المبسوطة السهلة الممتدة.

"ولهذا فإن التقديم والتأخير في اللفظتين في الآيتين إنما كان لحكمة ولمغزى خاص، لا يستقيم نظم الكلام إلا به وفق معيار دقيق ونسق خاص تدل كل كلمة دالة دقيقة على المقام الذي وضع له" (٣).

(١) لسان العرب : مادة(سبيل) ٦/٦٦٢.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ، ٢٥٠، ٤١٧.

(٣) الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والمتضادات ، ٢١.

ثانياً - الفرق بينها من جهة الإعراب: في الآية الأولى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فَجَاجًا سُبْلًا﴾. ذكر لفظ "فجاجاً" وصفاً متقدماً على موصوفه النكرة "فجاجاً سبلة". ليفيد الحالية على حد قول الشاعر:

لَمِيَّةً مُوحِشًا طَلَلْ
يُلُوحُ كَانَهُ خَلَلْ

ويرى الإمام الزمخشري (ت ٥٣٨) أن "فجاجاً" صفة ولكنها جعلت حالاً من "سبل"، وهي نكرة فلو تأخر فجاجاً لكان صفة كما في الآية الثانية، ولكن تقدم فانتصب على الحال^(١).

وفي الآية الثانية ﴿تَسْلُكُوا مِنْهَا سُبْلًا فَجَاجًا﴾ تعرّب "سبلا" مفعولاً به. وفجاجاً صفة تابعة لموصوفها تالية له حادثة بعده.

"وهذا شأن الطرق التي يصنعها الإنسان لا يزال يوسع فيها ويحسن حسب تجدد الحاجة وتتنوع الأغراض"^(٢).

ومما يؤكد هذا المعنى في الآيتين أن الفعل في الآية الأولى مسند إلى ضمير العمةة "وجعلنا" للإشارة بأن الطرق الجبلية خارجة عن قدرة الإنسان في أول عهده بالحياة. أما في الآية الثانية فقد أسد الفعل إلى الإنسان (تسليكا)، ليوسع فيها ويحسن حسب تجدد الحاجة وتتنوع الأغراض.

من خلال ما سبق اتضح جلياً الفرق بين اللفظين (فجاجاً وسبلا) الأمر الذي يؤكد نفي الترادف بينهما للدقائق التي يحملها كل لفظ يمتاز به عن الآخر.

اللفظان (كل... أجمعون)

ذكراً في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر: ٣٠، ص: ٧٣).

والكل في لسان العرب: "اسم يجمع الأجزاء... والإكليل: شبه عصابة مزينة بالجواهر، والجمع أكاليل... فجعلت لوجهه الكريم صلى الله عليه وسلم... وقيل أرادت نواحي وجهه وما أحاط به إلى الجبين من التكال، وهو الإحاطة وأن الإكليل يجعل كالحلقة ويوضع هنالك على أعلى الرأس... والإكليل ما أحاط بالظفر من اللحم... وتکلله الشيء أحاط به"^(٣)

(١) تفسير الكشاف: ١١٢/٣.

(٢) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٢٨.

(٣) لسان العرب: مادة(كل) ١٤٢/١٢.

و ورد في معجم مفردات ألفاظ القرآن أن "كل": "لفظ لضم أجزاء الشيء أو الضام للذوات"^(١). فلفظ "كل" في صوره المختلفة يدل على الإحاطة والشمول.
وترد كل باعتبار كل واحد مما قبلها وما بعدها على ثلاثة أوجه: فأما أوجهها باعتبار ما قبلها :

فأحدها - أن يكون نعتاً لنكرة أو معرفة، فيدل على كماله؛ ويجب إضافته إلى اسم ظاهر يماثله لفظاً و معنى.

والثاني - أن يكون توكيداً لمعرفة، وفائدة العموم، ويجب إضافتها إلى اسم مضمون
راجع إلى المؤكد، نحو قوله تعالى: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ" (الحجر: ٣٠، ص: ٧٣)

والثالث - ألا تكون تابعة بل تالية للعوامل، فتتبع مضافة إلى الظاهر، نحو : ﴿كُلُّ شَيْءٍ
يَمْكُسِّبُ رَهْبَنَةً﴾ (المدثر: ٣٨)؛ وغير مضافة نحو: ﴿وَكَانَ أَصْرَارُهُمْ لَهُ الْأَنْتَلَلُ﴾ (الفرقان: ٣٩)^(٢)

أما لفظ "أجمع" فيدل على الضم والاجتماع، ولهذا الفرق بينها. تقول: حضر القوم كلهم تزيد الدلالة على الإحاطة والشمول في الأفراد أي لم يختلف واحد منهم.
وتقول: حضروا (أجمعون) تزيد الدلالة على الاجتماع في الأفعال أي لم يتأخر واحد منهم . ولفظ "أجمعون" يستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر وتوصف به المعرفة ولا يصح نصبه على الحال^(٣).

ولعل معرفة المعنى اللغوي لكلا اللفظين يبين أنهما ليسا مترادفين في التأكيد، فاكمل
منهما تأكيده الخاص.

فعندما أخبر سبحانه بأن الملائكة سجدوا جميعاً أزال احتمال أن بعض الملائكة لم يسجد.
وفي قوله "أجمعون" أفاد أنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات.^(٤)
ويرى النسابوري أن "أجمع" معرفة فلا يقع حالاً، ولو صح أن يكون حالاً لكان منتصباً.^(٥)
من خلال العرض السابق يتضح أن لفظ "كل" يدل على الإحاطة والشمول، وقد جاء في الآية
المذكورة توكيداً للملائكة، ولفظ "أجمعون" صفة مرفوعة ولا يجوز نصبه على الحال، ولا
يمكن موافقة رأي القائلين فيهما "توكييد بعد توكييد" فلكل منها تأكيده الخاص كما ذكر سابقاً.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٤٨٨.

(٢) انظر / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٤/٣٧٠.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١١٠.

(٤) انظر / تفسير الكشاف : ٤/١٠١.

(٥) فتح القدير : ٣/١٦٤.

وهذا المعنى الخاص في دلالة كل منها يمكن ملاحظته في قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جمِيعاً أقامت تکرها الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس: ٩٩) فاللفظ "كل" لضم أجزاء الشيء أو الضام للذوات، وقد سبق الحديث عنه. واللفظ "جميعاً" يستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر، وقد تنصب على الحال فيؤكده من حيث المعنى^(١).

ويرى الزمخشري أن لفظ "كلهم" جاء على وجه الإهاطة والشمول بحيث لا يخرج عنهم أحد.^(٢) وجميعاً: مجتمعين على الإيمان، لا ينفرقون فيه ويختلفون، ولكنه لم يشا ذلك لكونه مخالفًا للمصلحة التي أرادها الله سبحانه، وقد نصبت "جميعاً" على الحال.

"كمال الشأن في المشيئة يقتضي حصول الإيمان من الناس كلهم في لحظة واحدة فلا يتäß مع "كل" مخالف واحد، ولا يتتأخر مع "جميعاً" متعدد واحد"^(٣) مما سبق يتحقق عدم وجود الترادف بين اللفظين، لفارق الموجدة بينهما.

اللفظان (العُثُو والفساد) :

ورداً معاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سُئلَ مُوسَىٰ تَوْمِهَ قَلْتَنَا اصْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنْجَرَتْ مِنْهُ أَنْتَ عَشْرَةَ عَيْنَاتٍ قَدْ عَلِمْ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّهُمْ كَوَاشِرُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)

وقد ورد معاً في كتاب الله خمس مرات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خَلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّافِكُمْ فِي الْأَرْضِ تَخْدُونَ مِنْ سُهُلِهَا قُصُوراً وَتَحْسُونَ الْجِبالَ بَيْتاً فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٧٤)

وقوله تعالى: ﴿وَبَنَا قَوْمٌ أَوْفُوا الصِّكَارَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود: ٨٥)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء: ١٨٣)

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١١٠.

(٢) تفسير الكشاف: ٣٥٩/٢.

(٣) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٣٣.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعِيبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُو الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْوَذُونَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت: ٣٦).

فسر ابن منظور العثو بقوله: عثا: العثا: لون إلى السواد مع كثرة شعر. والأعثى الكثير الشعر الجافي السميح... والأعثى الضبع الكبير... وعثا فيه المشيب أي أفسد... عثا غثواً وعثى غثواً أفسد أشد الإفساد.^(١)

فالعثو يحمل معنى الإفساد الشديد كما سبق ذكره. أما الفساد فقد جاء في مادة "فساد" في اللسان: فسد: الفساد: نقىض الصلاح، فسد يفسد ويُفسد وفسد فساداً وفسوداً، فهو فاسد وفسيد... وتفاسد القوم: تدابروا وقطعوا الأرحام...^(٢) والفساد هنا يحمل معنى نقىضاً للصلاح.

ويرى الفيروز آبادي أن الفساد: أخذ المال بغير حق في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)

ويرى الفساد ضد الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة.^(٣)

وفرق أبو هلال العسكري بين لفظي العثو والفساد بقوله: إن العثو كثرة الفساد، وأصله من قولك ضبع عثوا، إذا كثر الشعر على وجهها، وكذلك الرجل، وعاث يعيث لغة، وعثا يعثوا أفسح اللغتين ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْوَذُونَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء: ١٨٣)^(٤). وكما سبق ذكره فقد ورد اللفظان مجتمعين في كتاب الله خمس مرات وفي جميعها كانت بصيغة النهي ﴿وَلَا تَعْوَذُونَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

وبالرجوع إلى كتب التفسير التي بحثت هذه الآية: "وَإِذَا سُسَقَ مُوسَى لِقَوْمِهِ قَتَلُوكُنَّا اضْرَبْتُ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَقْبَرَتُ مِنْهُ أَئْتَاهُ عِشْرَةً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْسَ مَشْرِبَهُمْ كُلُّهُمْ أَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْوَذُونَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" (البقرة: ٦٠).

(١) لسان العرب : مادة(عثو) ٥١/٩.

(٢) لسان العرب : مادة(فسد) ٢٦١/١٠.

(٣) بصائر ذوي التمييز : ١٩٢/٤.

(٤) الفروق اللغوية: ٢٤٠.

"فالاستقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس المطر، ومعناه في اللغة: طلب السقيا. وفي الشرع ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في صفتة من الصلاة والدعاء... والمشرب: موضع الشرب، وقيل هو: المشروب نفسه. وفيه دليل على أنه يشرب من كل عين قوم منهم لا يشاركونهم غيرهم ... (وكلوا) أي : قلنا لهم كلوا المنَّ والسلوى، واشربوا الماء المتفجر من الحجر. وعثا يعشى عيثنَا، وعثا يعشوا عثوانَا، عاث يعيش عيثنَا، لغات: بمعنى أفسد. قوله: "مسددين" حال مؤكدة^(١).

إلا أن الإمام الزمخشري كان قد رأى أن : "العيث أشد الفساد، فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متmadin فيه"^(٢).

وكان الزمخشري جعل المنهي عنه هو الدوام على الفعل، وهو يأبى صحة الحال المؤكدة للجملة الفعلية، فرأى المغايرة بين "لا تعثوا" وبين "مسددين" تجنبًا للتأكيد، وذلك هو مذهب الجمهور، وهو ما يميل إليه الباحث.

اللفظان (ولوا ... ومدبرين) :

ذكر اللفظان (ولوا .. ومدبرين) في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْتَعِنُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْتَعِنُ الصُّمَّ الْذَّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: ٨٠)

ويرى كثير من الناس أن اللفظين (ولوا .. ومدبرين) بينهما علاقة تزادف، ولبيان عدم صواب ما يذهبون إليه لا بد من البحث عن معناهما اللغوي، وتتبع الآيات القرآنية التي اشتغلت على هذين اللفظين أو مشتقاتهما، بهدف إدراك الدلالات الفارقة لكل منها.

جاء في لسان العرب: "ولَى الشيءَ وَتَوَلَّ: أَدْبَرَ وَوَلَى عَنْهُ أَعْرَضَ عَنْهُ أَوْ نَأَى... وَتَكُونُ التَّوْلِيَةُ إِقْبَالًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَلِ وجْهِكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ٤٤) أي وجهك نَحْوَهُ وَتَلَاقَاهُ..."^(٣).

ويرى الفراء أن التولية تكون انتصاراً أيضاً، يقول تعالى: ﴿وَكُلُّ وجْهٍ هُوَ مُوْكِهٌ﴾ (البقرة: الآية ٤٨)، يعني : مُستقبلها، والتولية في هذا الموضع إقبال، وفي: ﴿يُوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾

(١) فتح القدير: ١١٧/١.

(٢) تفسير الكشاف: ١٤٧/١.

(٣) لسان العرب : مادة (ولی) ٤٠٦/١٥.

(آل عمران: ١١١) ، ﴿إِنَّمَا وَلِسْمُ مُدَبِّرِينَ﴾ (التوبه: ٢٥) انصراف، وهو كقولك في الكلام: انصوف إلى، أي أقبل إلى، وانصرف إلى أهلك أي اذهب إلى أهلك^(١).

كلمة " ولَى " من الكلمات المتضادة، تفيد معنى الإقبال والانعطاف، وتفيد أيضاً معنى الانصراف.

" وقد يكون التولي حسياً فيكون تحولاً وإعراضاً بالجسد، وقد يكن معنوياً فيكون تركاً للإصغاء والاتئمار"^(٢).

أما " أدبر " فمن الدُّبُر وهو خلاف القُبْل، وكُنَّ بهما عن العضويين المخصوصين، ودُبُر كل شيء آخره، وفي لسان العرب: " الدُّبُر والدُّبُر خلاف القُبْل، ودُبُر الشهـر: آخره.. والمدابر المولـى المعرض عن صاحبه.. ودابرت فلاناً: عاديتها"^(٣)

أما الراغب الاصفهاني فيرى الإعراض من معانـي الإدبار: "وأدبر: أعرض وولـى دُبُرـه قال: ﴿إِنَّمَا دُبَرَ وَأَسْكَبَر﴾ (المثـر: ٢٣) ، وقال: ﴿لَنْ دُعُونَ مِنْ دُبَرَ وَوَلَى﴾ (المعارج: ١٧)

وقال عليه السلام: " لا تقاطعوا ولا تدبروا وكونوا عباد الله إخواناً".

وقيل لا يذكر أحدكم صاحبه من خلفه. والاستدبار طلب دُبُرـ الشـيء... والدـبار مصدر دـابـرـه أي عـادـيـتهـ من خـلفـه"^(٤).

يتضح من المعنى اللغوي للفظ " أدبر" ، أنه من الدـبرـ بـمعـنىـ آخرـ الشـيءـ، ويدورـ حولـ معـانـيـ الإـعـارـضـ وـالـعـادـاءـ.

وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات القرآنية التي تشتمل على اللفظين (ولـوا .. مدـبـرـينـ)، أو مشـتـقاتـهماـ- لا يـرىـ البـاحـثـ ضـرـورةـ لـتـسـجـيلـهاـ- ولكنـ الآـيـاتـ الـتـيـ اـشـتـملـتـ عـلـىـ الفـعلـ. " ولـىـ" مـتـبـوعـاـ بـفـظـ " مدـبـرـاـ" ، أو مـتـبـوعـاـ بـفـظـ " مدـبـرـينـ" ، وـعـدـدـهاـ ثـمـانـيـ آـيـاتـ، وـهـيـ:

قولـهـ تعالىـ: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا هَزَّ كَلْهَا جَانَ وَلَى مُدَبِّرًا﴾ (النـمـ: ١٠ ، القـصـصـ: ٣١)

وقـولـهـ تعالىـ: ﴿وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ سَا رَحِبَتْ إِنَّمَا وَلِسْمُ مُدَبِّرِينَ﴾ (التوبـهـ: ٢٥)

وقـولـهـ تعالىـ: ﴿وَتَالَّهِ لَا كِيدَنَ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُرْكُوا مُدَبِّرِينَ﴾ (الأـبـيـاءـ: ٥٧)

(١) معانـيـ القرآنـ (للـفـراءـ) : ٨٥/١.

(٢) أسرار الترافق في القرآن الكريم: ٣٩.

(٣) لـسانـ الـعـربـ: مـادـةـ (دـبـرـ) ٤/٢٨٠.

* سنـنـ ابنـ مـاجـةـ: (٣٨٣٩ـ) كتابـ الدـعـاءـ.

(٤) معـجمـ مـفـرـدـاتـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ: ١٨٥ـ.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَّا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: ٨٠)

وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَّا مُدْبِرِينَ﴾ (الروم: ٥٢)

وقوله تعالى : ﴿قُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (الصفات: ٩٠)

وقوله تعالى : ﴿لِيَوْمٍ نَّوْلُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (غافر: ٣٣)

وقد فسر الطاهر بن عاشور - رحمه الله - قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَّا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل: ٨٠) فهو - ابن عاشور - يرى "أن الموتى والصم مستعاران

للقوم الذين لا يقبلون القول الحق، ويکابرون من يقوله لهم. شبهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمهم معاني القرآن، وشبهوا بالصم كذلك في انتفاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم... وتنديد الصم بزمان توليهم مدربين لأن تلك الحالة أو غل في انتفاء إسماعهم، لأن الأصم إذا كان مواجهاً للمتكلم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ ويسْتَفِيد بقيته بحركة الشفتين، فأما إذا ولَّ مدرباً فقد ابتعد عن الصوت ولم يلاحظ حركة الشفتين فذلك أبعد له عن

السمع^(١)

وال فعل " ولَّ " على وزن فعل المضعف العين، ومن المعاني التي يزاد لها تضعيـف العين الدلالة على التوجه، مثل: شرق: توجه شرقاً، وغرب: توجه غرباً، وولَّ: توجه منصراً غير مقبل، وقد يكون في مواضع أخرى بمعنى: توجه نحو كذا مقبلاً كما في قوله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤)

والضمير في "ولوا مدربين" عائد على الصم ، و"مدربين" تعرب حالاً، وصاحب الحال هم "الصم"

من هنا يتضح المعنى الخاص لكل لفظ من "ولوا" و "مدربين" فالتلوي في هذه الآية جاء معنوياً يحمل معاني ترك الإصغاء والائتمار، و "مدربين" تحمل معنى الإعراض والمخالفة والهروب.

وقد ذكر اللفظان في الآية الكريمة لبيان موقفبني إسرائيل من الدعوة، حيث اجتمعـت عليهم صفات الصم والتولي والإدبار، وفي اجتماع هذه الصفات يتضح أن الأصم لا يسمع، إلا أنه يستطيع التفاهـم بلغة الإشارة، فإذا ما تولَّ وأعرض، فإن لغة الإشارة تتطلـل، وإذا اجتمعـ مع ذلك إدبار وهروب كان ذلك سبباً في انتفاء إسماعهم.

(١) تفسير التحرير والتتوير : المجلد العاشر ، ٣٥/٢٠ .

وقد أورد الإمام بدر الدين الزركشي آراء العلماء في مثل هذه الألفاظ " ومنهم من نازع في التأكيد.. لأن الحال المؤكدة مفهومها مفهوم عاملها^(١). فالتلولية والإدبار معنيان مختلفان - كما ذكر سابقاً - فليس كل مولٍ مدبراً، ولا كل مدبر مولياً.

اللقطان (ضيقاً ... وحرجاً)

ذكراً معاً في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيقاً حَرْجَا﴾ (الأنعام: ١٢٥) ودلالة اللقطين في أصل اللغة يفيد اختلاف معناهما، وعدم ترادفهما في كتاب الله. فالظضيق يفيد في الاستعمال العربي الصفة في المكان، يقولون: مكان ضيق، وثوبٌ ضيق، وضاقت الدار بمن فيها، وضاق الوادي على من فيه، يريدون ضيق المساحة وامتلاء الفراغ. والضيق في اللغة أيضاً نقىض السعة، ويقال: مكان ضيق وضيق وضائق...، ويقال: في صدر فلان ضيق علينا وضيق... ويقال: الضيق ما ضاق عنه صدرك، والضيق ما يكون في الذي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب^(٢).

وقد ذكرت مادة (ضيق) ومشتقاتها ثلاثة عشرة مرة في القرآن الكريم، وهي في أغلبها تصب في معنى وصف المكان، وضيق الصدر، وهذه المواقع هي قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا لُّطَّافِيَّهُمْ وَضَاقَتْهُمْ دُرْعًا﴾ (هود: ٧٧)

وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا أَنْجَاهُتْ رُسُلًا لُّطَّافِيَّهُمْ وَضَاقَتْهُمْ دُرْعًا﴾ (العنكبوت: ٣٣)

وقوله تعالى : ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ إِذَا رَحِبْتُمْ وَلَمَّا مُدْرِبِينَ﴾ (التوبه: ٢٥)

وقوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ إِذَا رَحِبْتَ﴾ (التوبه: ١١٨)

وقوله تعالى : ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنَّوا أَنَّ لَمْحًا مِّنَ اللَّهِ إِلَيْهِ﴾ (التوبه: ١١٨)

وقوله تعالى : ﴿وَمَا مَدْعُوكُمْ أَنَّكُمْ يَضْيقُ صَدْرُكُمْ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (الحجر: ٩٧)

وقوله تعالى : ﴿وَيَضْيقُ صَدْرُكِي وَلَا يُنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْتَ إِلَيْهِ هَارُونَ﴾ (الشعراء: ١٣)

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَنْتَهُو هُنَّ تَصْبِيُّهُ عَلَيْهِنَّ وَلَمْ يَكُنْ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْقَبُهُمْ عَلَيْهِنَّ﴾ (الطلاق: ٦)

وقوله تعالى : ﴿وَاصِيرُوا مَا صَبَرُكُمْ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُونُ فِي ضَيْقٍ مَا يَسْكُونَ﴾ (النحل: ١٢٧)

(١) البرهان في علوم القرآن : ٤٠٣/٢

(٢) لسان العرب : مادة (ضيق) . ١١٠/٨

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا يَكُنْ فِي ضَيْقٍ مَا يَكُرُونَ﴾ (النمل: ٧٠)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَتُوكُمْ هَذِهِ مَكَانًا ضِيقًا مَعْرِيشَ دَعَوْا هَنَالِكَ تَبُورًا﴾ (الفرقان: ١٣)

وقوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ تَأْرِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقَةً صَدْرُكَ﴾ (هود: ١٢)

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يَضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا﴾ (الأعراف: ١٢٥)

أما لفظ (الحرج) فيفيد الصفة في مداخل المكان ومنافذه، وفي لسان العرب أن الحرجة الضيق... والحرج فيما فسر ابن عباس هو الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل إليه الراعية، قال: وكذلك صدر الكافر لا يصل إليه الحكمة^(١).

يفهم من كلام ابن عباس أن الحرج أفاد الصفة في مداخل المكان ومنافذه، سواء إلى قلب الكافر، أو الطريق المؤدية إلى موضع الرعي الذي ضاق بسبب التفاف أغصانها وتشابك فروعها.

والمنتبع لعدد المرات التي ورد فيها مادة (حرج) ومشتقاتها في كتاب الله عز وجل، يتبيّن أنها ذكرت خمس عشرة مرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ (الأعراف: ٢)

وقوله تعالى : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يَتَفَقَّهُونَ حَرَجٌ إِذَا صَحَّ حَرَجُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (التوبه: ٩١)

وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْنَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (النور: ٦١)

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا كُلُّ الَّذِينَ لَا يَكُونُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحِ أَذْعِنَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَأَ﴾ (الأحزاب: ٣٧)

وقوله تعالى : ﴿لَمَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ (الأحزاب: ٣٨)

وقوله تعالى : ﴿فَقُدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاحِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ (الأحزاب: ٥٠)

وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْنَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْمِلَهَا الْأَهْمَارُ﴾ (الفتح: ١٧)

وقوله تعالى : ﴿لَمْ لَا يَحْدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجٌ مَا قَضَيْتَ وَسِلْمُوا سِلْمًا﴾ (النساء: ٦٥)

فقد جاء لفظ (الحرج) عشر مرات بمعنى الإثم في الآيات السابقة، ومرتين بمعنى الشك، وبمعنى الضيق جاء اللفظ (الحرج) في كتاب الله ثلاثة مرات، الأولى في قوله تعالى: ﴿لَمَّا بَرِدَ اللَّهُ يُجْعَلُ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكُمْ بَرِدٌ لِطَهْرِكُمْ﴾ (المائدah: ٦)، والثانية في قوله تعالى:

﴿هُوَاجْبًا لَكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، والثالثة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ
يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَمَا يَصْنَعُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)

ويتبين أن معنى الحرج في الآيات الثلاث هو الضيق في الطرق المؤدية إلى المكان، فالآية الأولى: إن الله لا يريد التضييق عليكم في الدين ، بل رخص لكم في تتمم الصعيد عند فقد الماء.

وفي الآية الثانية: إن الله اختاركم لتحمل تكليفاته، ولم يرد أن يجعل في الدين من تضييق بل هي حنفية سمح لها فيها تشديد بنى إسرائيل، بل شرع فيها التوبة والكافرات والرخص.

وفي الآية الثالثة: الضيق والحرج كناية عن ضد الشرح، واستعاره لعدم قبول الإيمان، والحرج الضيق الشديد.

وقد انتصب "ضيقاً حرجاً" على الحال باحتمال أن يكون " يجعل" بمعنى "يخلق"^(١). وفي ضوء ما تقدم يتبيّن الفرق بين معنى اللفظين (الضيق والحرج) اللذين وردما معهما في الآية الكريمة، فالضيق يفيد الصفة في المكان، أي أن الله جعل صدر الكافر ضيقاً لا يتسع للهداية والإيمان، والحرج يفيد الصفة في مداخل المكان، أي أن الله جعل صدره حرجاً لا يوجد منفذ لدخول الهداية إليه، وبهذا يتحقق تمام الضلال والكفر، لأن قلب الكافر فقد الهداية من داخله ومن خارجه. وهذا يؤكد عدم وجود تراويف بين اللفظين (ضيقاً وحرجاً) لفوارق التي تم ذكرها.

(١) الأندلسى ، أبو حيان : تفسير البحر المحيط ، تتح. الشيخ عادل عبد الموجود وأخرون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، ٣٦١/٦، ٤٥٣/٣ ، ٢١٩/٤ .

عطف المترادفات

- (١) الشرعة والمنهاج
- (٢) العروج والأمت
- (٣) الظلم والهضم
- (٤) الأهواء واللعب
- (٥) السر والتجمُّوى
- (٦) العذر والنذر
- (٧) الخطيبة والإثم
- (٨) البث والحزن
- (٩) الفقير والمسكين

عطف المترادفات:

يرى كثيرون من علماء اللغة^(١)، جواز عطف أحد المترادفين على الآخر في القرآن الكريم، وذلك بقصد التأكيد، ويمثلون له بأمثلة كثيرة من كتاب الله.

وقد أفرد الإمام الزركشي بباباً في كتابه "البرهان في علوم القرآن" أسماه: عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد.

ويرى الزركشي أن "هذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ، وإنما يحسن بالواو، ويكون في الجمل كقوله: ﴿أُولَئِكَ فَاؤْلَئِكَ مُمْأَلَئِكَ فَاؤْلَئِكَ﴾ (القيامة: ٣٤-٣٥)، ويكثر في المفردات، كقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا لَنَا أَصَابُهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْكَنُوا﴾ (آل عمران: ١٤٦)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَحْافَظُ طَلْمَأْ وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْافَظُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه: ٧٧).^(٢)

ويتضح أن الإمام الزركشي لم يطمئن إلى آراء العلماء الذين يقولون بالترادف في هذا الباب، ويعلق عليها بقوله: "ما يدفع وهم التكرار في مثل هذا النوع، أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً، وإذا كانت كثرة الحروف تقييد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ".^(٣)

وقد عقد أبو هلال العسكري - مؤيداً للزركشي الذي جاء بعده - باباً أسماه "في الإنابة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجباً لاختلاف المعاني في كل لغة، والقول في الدلالة على الفروق بينها" يقول أبو هلال العسكري: "الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني، أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول، كان ذلك صواباً، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعيّن من

(١) من هؤلاء العلماء: الخليل بن أحمد، وابن مالك، وثعلب، والفراء.

انظر / البرهان في علوم القرآن : ٤٧٣/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٧٢/٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن : ٤٧٧/٢.

الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منها يتضمن خلاف ما يتضمنه الآخر وإنما كان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه^(١).

كما أن المبرد أنكر آراء هؤلاء العلماء، ومنع عطف الشيء على مثله لعدم الفائدة، قال: "ويعطى الشيء على الشيء وإن كانا يرجعان إلى شيء واحد إذا كان في أحدهما خلاف للآخر ، فلما إذا أريد بالثانية ما أريد بالأول فتعطى أحدهما على الآخر خطأ" (٢).

ويعقب أبو هلال العسكري قائلاً: "إن جميع ما جاء في القرآن، وعن العرب، من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا من العقل واللّب، والمعرفة والعلم، والكسب والجرح، والعمل والفعل ، معطوفاً أحدهما على الآخر، فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق في المعنى ، ولو لا ذلك لم يجز عطف زيد على أبي عبد الله إذا كان هو ^(٣)"

وَمَا يَجُدُّ ذِكْرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ فِي الْعِلْمَوْنَ الْلُّغَوِيَّةِ أَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِيُ الْمُغَایِرَةَ، فَلَا يَحُوزُ أَنْ يَعْطِفَ الشَّيْءَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَوْ عَنْ طَرِيقِ التَّرَادُفِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولُ: حَاعَنِي زَيْدٌ وَأَبْوَ عَبْدِ اللَّهِ إِذَا كَانَ زَيْدٌ هُوَ أَبْوَ عَبْدِ اللَّهِ.

والآلفاظ التي استشهد بها هؤلاء العلماء في هذا الباب تقارب في معانيها، ولا تترادف في المفهوم الخاص للفروق اللغوية الموجودة بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذا هو سر إعجاز القرآن الكريم.

وسيحاول الباحث سوق مجموعة من الشواهد التي تدرج تحت "باب عطف المترادات" لإثبات عدم وجود الترافق بين المعطوف والمعطوف عليه.

(١) الفروق اللغوية : ٣٣ .

(٢) الفروق اللغوية : ٣٤

(٣) الفروق اللغوية : ٣٥

اللّفظان (الشّرعة والمنهاج) :

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَهُدًىٰ لِلنَّاسِ فَاحْكُمْ بِمِنْهُ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَبْيَغْ هُوَاءَهُمْ عَنَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْلَتَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنَّا لَيْلُوكُمْ فِي مَا أَكَمْنَا﴾ (المائدة: ٤٨)

لم يفرق بعض الناس بين لفظي الشّرعة والمنهاج، ويرى أنّهما كلمتان بمعنى واحد، وأنّ المقصود بهما الدين، وجاء التكرير هنا بغرض التأكيد.

فظاهر اللّفظين (الشّرعة ... منهاج) التراّدف والاشتراك في الدلالة، إلا أن تتبع المعنى اللغوي لكل كلمة وأراء العلماء في هاتين الكلمتين يوضح انفراد كل منهما في الدلالة، وجود فوارق بينهما.

فالشّرعة في لسان العرب: "شرع الوارد يشرع شرعاً وشروعًا: تناول الماء بفيه. وشرعت الدواب في الماء تشرع شرعاً وشروعًا أي دخلت ... والشّريعة: موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب. والشّريعة والشّرعة: ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلوة والحج والزكاة وسائر أعمال البر مشتق من شاطئ البحر ... وقال محمد بن يزيد: شرعة معناها ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستقيم، وقال ابن عباس: شرعة ومنهاجا سبيلاً وسُنّة، وقال قتادة: شرعة ومنهاجا، الدين واحد والشّريعة مختلفة ... والشّرعة: العادة. وهذا شرعة ذلك أي مثاله^(١).

أما الراغب الأصفهاني فإنه يرى أن الشّرعة نهج الطريق الواضح، يقال شرعت له طريقة والشّرعة مصدر ثم جعل اسمًا للطريق النهج فقيل له شرعة وشروع وشريعة واستغير ذلك للطريقة الإلهية، قال : ﴿شَرْعَةٌ وَمَنْهَا جَاءَ﴾ (المائدة : ٤٨) فذلك إشارة إلى أمرین: أحدهما - ما سخر الله تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحرّأه مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد ...

الثاني - ما قيض له من الدين وأمره به ليتحرّأه اختياراً مما تختلف فيه الشّرائع ويعرضه النسخ ودل عليه قوله: ﴿تَمَّ جَعْلَتَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ فَإِيَّاهَا وَلَا تَبْيَغْ هُوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨) قال ابن عباس : الشّرعة ما ورد به القرآن، والمنهاج ما ورد به السُّنّة،

(١) لسان العرب : مادة (شرع) ٧ / ٨٦.

وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾ (الشورى: ١٣) فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها المثل فلا يصبح عليها النسخ كمعرفة الله تعالى ونحو ذلك^(١).

والمنهاج في اللغة: نهج : طريقٌ نَهَجَ بَيْنَ : بَيْنَ واضحٍ ... والمنهاج: كالمنهج. وفي التزيل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمِّشِنَا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَبْيَغْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ لَكُمْ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلُوْشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُمْ لِيَلُوكُمْ فِي مَا آتَكُمْ فَاسْتَيْقُوا الْحَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتمْ فِيهِ تَحْلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨)

وأنْهَجَ الطريق: وضَّحَ واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً؛ قال يزيد بن الحذاء

العدي:

ولقد أضاء لك الطريق وأنْهَجْتَ سُبُّلَ الْمَكَارِمِ، وَالْهُدَى تُعْدِي
أي تُعْيَنَ وتنقوي. والمنهاج: الطريق الواضح... والنَّهَجُ : الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ^(٢)
يمكن القول من خلال العرض اللغوي للفظين إن الشريعة والشريعة: الماء الكثير من
نهر أو وادٍ. يقال: شريعة الفرات. وسميت الديانة شريعة على التشبيه؛ لأن فيها شفاء النفوس
وطهارتها.

والمنهاج: الطريق الواسع، وهو هنا تخبيل أريد به طريق القوم إلى الماء.ويرى
المبرد أن: الشريعة: ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستمر. ومعنى الآية: أنه جعل
التوراة لأهلها، والإنجيل لأهلها، القرآن لأهلها، وهذا من قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن،
وأما بعده فلا شريعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ (المائدة: ٤٨) الظاهر أن المضاف
إليه كل المذوف هو أمة، أي: لكل أمة، والخطاب في (منكم) للناس أي: أيها الناس لليهود
شريعة ومنهاج، وللنصارى كذلك... وقد يكون المضاف المذوف إليه لكلنبي أي: لكلنبي
منكم أيها الأنبياء... وقال ابن الأنباري: الشريعة الطريق الذي ربما كان واضحاً وغير
واضح، والمنهاج لا يكون إلا واضحاً، وقيل: الشريعة الدين، والمنهاج الدليل، وقيل: الشريعة
النبي، والمنهاج الكتاب^(٤).

(١) انظر / معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٢٩٠ ، وبصائر ذوي التمييز : ٣٠٩ : ٣.

(٢) لسان العرب : مادة (نهج) ٣٠٠/١٤.

(٣) فتح القدير : ٦١/٢.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٥١٤/٣.

وبالنظر في صيغ اللفظين (شريعة، ومنهاجاً) يمكن تلمس فرق بين الصيغتين ، وهو أن (شريعة) على وزن فعلة للدلالة على الهيئة، كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قلت فاحسنوا القتلة" ، وكأن الله أمرنا أن نلتزم بالشريعة وما أمرنا به على الهيئة التي أرادها. أما لفظ (منهاجاً) فقد جاء على وزن (مفعال) ، وهو صيغة مبالغة للدلالة على الكثرة والبالغة في الحديث، وهذا يدل على الإكثار من ممارسة هذه الشرائع والفرض، لأنه بكثرة ممارستها والالتزام بها يتحقق كسب رضوان الله تعالى.

وبالرجوع إلى كتاب الله تعالى وتتبع الآيات التي ورد فيها مادة (شرع) أو أحد مشتقاتها علم أنها وردت في خمسة مواضع، هي:

في قوله تعالى: ﴿ شَرِعْ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْ بِهِ تُوحَدُوا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَرَقَّبُوا فِيهِ كَبُرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْعَلُ إِلَيْهِ مِنْ يَسَاءٍ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣)

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنِهِ اللَّهُ وَلَا كَلِمَةً أَفْصَلَ لَقْنُونِي بِهِمْ وَلَئِنْ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى: ٢١)

وقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبَتِ إِذْ كَاتِبُهُمْ حِسَابَهُمْ يَوْمَ سِتِّهِمْ شُرُعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا كَانُوكُمْ كَتَلَكُمْ بِلُوْهُمْ مَا كَلَوْا يَنْسُؤُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَعَلْنَاكُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُنْزُلِ فَاتَّبِعُهَا وَلَا تَبْيَغْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: ١٨)

وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْتَنَا إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِمَّنَا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَبْيَغْ أَهْوَاءَهُمْ عَنَّا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ لِكُمْ جَعَلْنَاكُمْ شُرُعَةً وَمِنَهَا جَاءَ ﴾ (المائدة: ٤٨)

أما مادة (نهج) ومشتقاتها فلم تذكر في كتاب الله إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنَهَا جَاءَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

ومما يؤكد الفروق بين الشريعة والمنهج قوله تعالى: ﴿ شَرِعْ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْ بِهِ تُوحَدُوا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَرَقَّبُوا فِيهِ كَبُرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْعَلُ إِلَيْهِ مِنْ يَسَاءٍ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣) إشارة إلى وحدة شرائع الله وديانته إلى الأمم في أصولها من معرفة الله وتوحيده وإقامة دينه . . .

" فمدار الشريعة على الظهور والسهولة واليسر، من غير صعوبة أو مشقة مع التساوي في إتاحة الفرصة. ومدار المنهاج على الوضوح والاستبانة من غير غموض أو التواء أو إيهام.

وما دام في الإمكان فهم هذه المعاني من دلالة الألفاظ ومداراتها فإنه لا داعي إلى قصر الأمر على بعضها والاكتفاء به. كما أنه وإن دل أحد هذين اللفظين على بعض معاني الآخر، وفهمت منه. فإنه ليس بمثل الوضوح ولا الشمول الذي يفهم من اللفظ نفسه^(١).

ومما يدل على وجود الفروق بين اللفظين (الشّرعة و المنهاج) قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَوُرِجْحَمٌ هَا النَّبِيُّونَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّابُونَ وَالْأَحْبَارُ إِنَّمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْسُنُوا النَّاسَ وَأَخْشُونَ لَا تَشْرُوْنَا بِآتَيِتِنَا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمْ أَهْلُ الْأَيْمَنِ إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧)

ثم استأنف الله تعالى كلامه لحمل أهل الكتابين من معاصره الرسول صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحكمه بما أنزل إليه من القرآن الكريم أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين.

اللفظان (العوج والأمنت) :

وردا في قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَمْنًا﴾ (طه: ١٠٧)

يرى كثير من أهل العلم أن العوج والأمنت بينهما علاقة تزادف، وأن عطف الأمت على العوج بهدف التأكيد ، إلا أن تتبع المعنى اللغوي لكل كلمة وأراء بعض العلماء في هاتين الكلمتين يوضح انفراد كل منها في الدلالة وجود فوارق بينهما.

فالعوج في لسان العرب: عوج: العوج: الانعطاف فيما كان قائما فمال كالرمح والحائط، والرمح وكل ما كان قائما يقال فيها العوج ، بالفتح، ويقال: شجرتك فيها عوج شديد ... وعاج يعوج إذا عطف. والعوج في الأرض: أن لا تستوي ... والعوج، بكسر العين،

(١) التفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢٤٨ .

في الدين، تقول: في دينه عوج ... وعوج الطريق وعوجه: زيفه. وعوج الدين والخلق: فساده وميشه ... ويقال: ناقة عوجاء إذا عجفت فاعوج ظهرها^(١).

أما الراغب الأصفهاني فإنه يرى أن "العوج يقال فيما يدرك بالبصر سهلاً كالخشب المنصب ونحوه. والعوج يقال فيما يدرك بالفكر وال بصيرة كما يكون في أرض بسيط يُعرف تفاوته بال بصيرة وكالدين والمعاش"^(٢).

أما الأمت في لسان العرب فهو: المكان المرتفع ... والأمت: الانخفاض، والارتفاع، والاختلاف في الشيء ... والأمت: الطريقة الحسنة ... والأمت: الروابي الصغار ... والأمت: العيب في الفم والثوب والحجر ...^(٣).

فالعوج ضد الاستقامة، يجري على الأجسام غير المنتسبة بالأرض وعلى الأشياء المعنوية كالدين.

والأمت: التنوء البسيط، أي لا ترى فيها وهذه ولا تتواء ما.

وقد وردت (عوج) في القرآن الكريم تسع مرات، حيث يقول عز وجل: ﴿يَمْتَذِيَّعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوْجَ لَهُ وَحَشَّعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعٌ إِلَّا هُمْ سَأَلُوا﴾ (طه: ١٠٨)

وقوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَيَّا بِغَيْرِ ذِي عِوْجٍ لَعَلَّهُمْ يَعْفُونَ ﴾ (الزمير: ٢٨)

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَمْنٍ بَعْوَهَا عِوْجًا وَأَئْمَ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ يَغْافِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ٩٩)

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعُوْهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُوْنَ ﴾ (الأعراف: ٤٥)

ويقول عز وجل: ﴿ وَلَا تَنْعَدُوا إِلَى كُلِّ صِرَاطٍ تُوْعَدُوْنَ وَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمِنَّهُ وَبَعْوَهَا عِوْجًا

وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنُّكُمْ وَأَظْرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِيْنَ﴾ (الأعراف: ٨٦)، ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِينَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَعْوَهَا عِوْجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُوْنَ ﴾ (هود: ١٩)

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْجِبُوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَعْوَهَا عِوْجًا

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم: ٣)

(١) لسان العرب : مادة (عوج) ٤٥٥/٩.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٩٢ ، وبصائر ذوي التمييز : ١٠٧/٤.

(٣) لسان العرب : مادة (أمت) ٢٠٢/١.

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَمَنْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجَا﴾ (الكهف: ١)

وقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَنْتَ﴾ (طه: ١٠٧)

أما (الأمت) فلم ترد في كتاب الله إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَنْتَ﴾

(طه: ١٠٧)

ولبيان الفروق الدقيقة بين (العوج و الأمت) لابد من الرجوع إلى الآيتين اللتين تسبقان

الآلية مقصد الدراسة، حيث يقول تعالى: ﴿وَسَأَلَوكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْتُ يَسِّفُهَا رَبِّي سُفَافًا فَيَدْرُهَا قَاعًا

صَفَصَفًا﴾ (طه: ١٠٥، ١٠٦)

فالقاع والصفصف بمعنى المستوى من الأرض.

وللإمام الزمخشري رأي طريف في توضيح الفروق بين العوج والأمت " فإن قلت:

قد فرقوا بين العوج والعوج ، فقالوا: العوج (بالكسر) في المعاني ، والعوج (بالفتح) في الأعيان ، والأرض عين ، فكيف صح فيها المكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة ، ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون ، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة ، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط ، ثم استطاعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية ، لعثر فيها على عوج في غير موضع ، لا يدرك ذلك بحسنة البصر ولكن بالقياس الهندي ، فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الإدراك ، اللهم إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني ، فقيل فيه: عوج (بالكسر).

والأمت: النتوء البسيط ، يقال : مذ حبله حتى ما فيه أمنت^(١)

وهكذا يتضح - من خلال العرض اللغوي السابق للفظي (العوج والأمت) - الفرق بين اللفظين ، فالعوج يدرك بالفكر وال بصيرة ، وهو ضد الاستقامة يجري على الأجسام غير المنتسبة للأرض ، وعلى الأشياء المعنوية كالدين.

والأمت هو النتوء البسيط . وهذا دليل على الفروق الدقيقة بين اللفظين ، كما أن اللفظين متعاطفان ، والأصل في العطف اقتضاؤه المغايرة.

(١) تفسير الكشاف : ٨٥/٣

اللقطان (الظلم والهضم) :

ورداً معاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِن الصَّالَحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)

يفسر بعض علماء التفسير الهمض بالظلم ويرون أنهما بمعنى واحد، ولم يفرقوا بينهما.

إلا أن إعادة النفي مصاحباً للفظ الهمض يدل على أن معناه مغاير لمعنى الظلم، وأن جهة الخوف فيما جهتان قصد نفيهما معاً؛ حتى يطمئن المؤمن الذي يعمل الصالحات فلا يخاف ظلماً ولا يخاف هضماً.

"فالظلم" وضع الشيء في غير موضعه. ومن أمثلة العرب في الشبيه: "من أشبه أباء ما ظلم..." وأصل الظلم الجوز ومجاوزة الحد... والظلم: الميل عن القصد، والعرب تقول: الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه أي لا تجر عنده... والأرض المظلومة: التي لم تحفوا قط ثم حفروا...".^(١)

فمعاني الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بقصاص أو بزيادة. ويرى بعض الحكماء أن الظلم ثلاثة:

الأول - ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال

تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ قَمَانُ لَأَيْهِ وَهُوَ يُعْطَهُ مَا بَتَّى لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ كُلُّ ظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾ (القمان: ١٣)

والثاني - ظلم بينه وبين الناس وإيهاه قصد بقوله: ﴿وَجَرَاءُ سَيِّئَاتِهِ مِنْهَا فَمَنْ عَفَّ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠)

والثالث - ظلم بينه وبين نفسه وإيهاه قصد بقوله: ﴿مَمْ أَوْرَثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَدَّنَا مِنْ عِبَادِنَا

فِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْسِدٌ وَمِنْهُمْ سَايِرٌ بِالْحَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَيْرُ﴾ (فاطر: ٣٢) وقوله تعالى:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْخَ فَلَمَّا رَأَتِهِ حَسِيبَةُ لَعْنَةُ وَكَشَفَتُ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مَرَدٌ مِنْ قَوَارِبِ رَبِّيَ ظَلَمْتُ نَسِيَ﴾ (النمل: ٤٤) وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيَ ظَلَمْتُ نَسِيَ فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

(القصص: ١٦)...^(٢)

أما الهمض في اللغة، فقد جاء في لسان العرب: "همض": هضم الدواء الطعام يهضمه هضمأً

نهكة... وهضمه يهضمه هضمأً واهتضمه وتهضمه: ظلمه وغضبه وقهره... وهضمه حقه

هضمأً: نقصه. وهضم له من حقه يهضم هضمأً: ترك له منه شيئاً عن طيبة نفس...^(٣)

(١) لسان العرب : مادة (ظلم) .٢٦٣ / ٨

(٢) معجم مفردات الفاظ القرآن : ٣٥٣

(٣) لسان العرب : مادة (همض) .١٠٠/١٥

وذكر الفيروز أبادي في بصائره أن "الهضم: شدُّخ ما فيه رخاؤة، يقال: هضمه
فانهضم، قال الله تعالى: ﴿وَرَرُوعٍ وَثُلْجًا هَضِيمٌ﴾ (الشعراء: ٤٨) أي منهضم منضم في جوف الجفّ (وعاء الطلع) قد أدخل بعضه في بعض كأنما
شدُّخ ... والهضم والهضم: المطمئن من الأرض؛ وبطن الوادي" (١).
وعلى هذا فالهضم اعتداء بالمنع يدور حول معاني الانتهاص، ولا يقال لمن أخذ
جميع حقه: قد هضيم.

فمن انتهاص بعضاً من حقك عليه فقد هضسك. أما الظلم فهو عدوان بالفعل يتجاوز
حدود التكاليف.

وقد ذكرت كلمة (ظلم) ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثة عشرة مرة، أما
كلمة (هضم) ومشتقاتها فذكرت مرتين فقط في كتاب الله تعالى.

وبالرجوع إلى كتب التفاسير يتضح الفرق بين الظلم والهضم، فقد قيل: "الظلم أن
يأخذ من صاحبه فوق حقه، والهضم أن يكسر من حق أخيه فلا يوفيه له، كصفة المطففين
يسترجون لأنفسهم إذا اكتالوا، ويخرسون إذا كالوا... والظلم والهضم متقاربان، قال
الماوردي: والفرق أن الظلم منع الحق كله، والهضم منع بعضه، وقرأ الجمهور (فلا يخف)
على الخبر أي فهو لا يخف، وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد (فلا يخف على النهي)" (٢).
"والنص على انتفاء الظلم والهضم جميعاً نص على تمام العدل الإلهي والرحمة
الربانية من ناحية. ونص على تمام معنى الأمان والأمان في قلب المؤمن الذي يعمل
الصالحات من ناحية أخرى.

فهو آمن لا يخف زيادة تكاليف أو تجاوز واجبات، وهو آمن لا يخف انتهاص أجر
أو حرمان ثواب" (٣).

وكان معنى الآية الكريمة فيها ما يطمئن المؤمن بـ لا يخف ظلماً بـ زيادة في سيئاته
ولا هضماً بـ نقص من حسناته.

من خلال العرض السابق للمعنى اللغوي للفظي (الظلم والهضم) و تتبع الفروق
الدقique بينهما يمكن القول بعدم ترادفهم، وإن كانوا متقاربين في المعنى.

(١) بصائر ذوي التمييز : ٣٢٩/٥.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٢٦١/٦.

(٣) أسرار الترادف في القرآن الكريم : ٤٦.

اللُّفْظَانِ (اللَّهُوُ وَاللَّعْبُ) :

ورد اللُّفْظَانِ (اللَّهُوُ وَاللَّعْبُ) معاً فِي قُولِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ الْدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَسْعَوْنَ أَنْلَاءَ عَقْلَوْنَ﴾ (الأنعام: ٣٢) ، ويفسر بعض علماء التفسير اللَّعْبُ بِاللَّهُوِّ، ويرون أنَّهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَلَمْ يَفْرُقاَ بَيْنَهُمَا.

إِلَّا أَنَّ عَطْفَ اللَّهُوِّ عَلَى اللَّعْبِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَاهُ مَغَايِرُ لِمَعْنَى اللَّعْبِ، وَمَمَّا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ فَوَارِقٍ دَقِيقَةٍ بَيْنَهُمَا مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الْلُّغَةِ.

فَقَدْ جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : "اللَّعْبُ وَاللَّعْبُ" : ضُدُّ الْجِدِّ، لَعْبٌ يَلْعَبُ لَعْبًا وَلَعْبًا... وَفِي حَدِيثٍ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ تَلْعَابَةً أَيْ كَثِيرَ الْمَزْحِ وَالْمَدَاعِبَةِ، وَالتَّاءُ زَانَةُ، وَرَجُلٌ لَعْبَةٌ : كَثِيرُ الْلَّعْبِ... وَاللَّعْبُ الْمَرْأَةُ : جَعَلَهَا تَلْعَبُ. وَاللَّعْبَهَا : جَاءَهَا بِمَا تَلْعَبُ بِهِ... وَلَعْبَهُ اسْمُ اِمْرَأَةٍ، سَمِّيَتْ لَعْبَهُ لِكَثْرَةِ لَعْبِهَا، وَيُجَوَّزُ أَنْ تَسْمَى لَعْبَهُ، لَأَنَّهُ يَلْعَبُ بِهَا^(١)

أَمَّا الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ فَإِنَّهُ يَرِيُّ أَنَّ "أَصْلَ الْكَلْمَةِ الْلَّعْبُ" وَهُوَ الْبَرَاقُ السَّائِلُ، وَقَدْ لَعْبٌ يَلْعَبُ لَعْبًا سَالٌ لَعَابَهُ، وَلَعْبٌ فَلَانٌ إِذَا كَانَ فَعْلَهُ غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ مَقْصِدًا صَحِيحًا يَلْعَبُ لَعْبًا...^(٢)

وَقَدْ وَرَدَتْ مَادَةُ (لَعْبٌ) وَمُشَنَّقَاتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَشْرِينَ مَرَّةً، مِنْهَا :

قُولِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كَانُوا حُوْضُ وَلَعْبُ قُلْ إِنَّا لَهُ وَآتَيْتَهُ وَرَسُولُهُ كُمْ سَهْزُونَ﴾ (التوبَة: ٦٥)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا غَدَرِيْعَ وَلَعْبٌ وَلَيَقُولُنَّ إِنَّهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف: ١٢)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿فَذَرُوهُمْ يَحْوِضُوْا وَلَيَلْبِسُوْا حَسَنَ يُلَاقُوْيُوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُوْنَ﴾ (الزَّخْرَف: ٨٣)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿فَذَرُوهُمْ يَحْوِضُوْا وَلَيَلْبِسُوْا حَسَنَ يُلَاقُوْيُوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُوْنَ﴾ (الْمَعَارِج: ٤٢)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ لَيَلْعَبُوْنَ﴾ (الأنْعَام: ٩١)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿أَوَأَنْ أَهْلُ الْقُرْبَى أَنْ يَأْتِيْهُمْ بِأَسْتَاضَحِيْ وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ﴾ (الْأَعْرَاف: ٩٨)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿مَا يَأْتِيْهُمْ مِنْ ذَكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ إِلَّا اسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُوْنَ﴾ (الْأَنْبِيَاء: ٢)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍ لَيَلْعَبُوْنَ﴾ (الْدَّخَان: ٩)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿فَوَلِيلٌ يَوْمَ ذِي الْمَكَدِّينَ، الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضِ لَيَلْعَبُوْنَ﴾ (الْطَّور: ١٢)

وَقُولِهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا حَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَمَا لَاعِيْنَ﴾ (الْأَنْبِيَاء: ١٦)

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ : مَادَةُ (لَعْبٌ) ١٢ : ٢٨٨.

(٢) مَعْجمُ مَفَرَّدَاتِ الْأَفْاظِ الْقُرْآنِ : ٥٠٥.

وقوله تعالى : ﴿فَقُلُّوا أَحِسْنَتَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ الْمُاعِنِ﴾ (الأنياء: ٥٥)

وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا لِاعِنِ﴾ (الدخان: ٣٨)

وقوله تعالى : ﴿فِيمَا أَنْتُمْ لَا تَخْدُو الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَكَعْبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أُولَئِكَ وَأَنَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُفُّرُ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٥٧)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا نَادَيْتَهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوا وَكَعْبًا ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ قَوْمٌ لَا يُعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ٥٨)

أما الموضع التي ورد فيها اللفظان (اللهو واللعب) متعاطفين فهي :

قوله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَلَهُوَ لِلَّدَارِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَسْعَونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ٣٢)

وقوله تعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ كَبَّ﴾ (العنكبوت: ٦٤)

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُو﴾ (محمد: ٣٦)

وقوله تعالى : ﴿أَعْلَمُوا إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُو﴾ (الحديد: ٢٠)

وقوله تعالى : ﴿وَدَرَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهُوَا وَغَرَبَتِهِمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٧٠)

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوَا وَكَعْبًا وَغَرَبَتِهِمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ شَاهِمُ كَمَا سُوِّلَ لَقَاءُ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (الأعراف: ٥١)

ويلاحظ بعد عرض الآيات التي ورد فيها اللفظان (اللهو واللعب) متعاطفين ، أن الآيات الأربع الأولى منها بولغ فيها في إثبات معاني اللهو واللعب للحياة الدنيا بأسلوب القصر بـ (ما و إلا) مرتين في الآيتين الأولى والثانية ، حيث وردت صيغة الحياة مقيدة بالوصف (الدنيا) ، ووافت صيغة الحياة - فيما - مبتدأ أخبر عنه باللعب واللهو مرة ، وباللهو واللعب مرة أخرى.

بينما كان القصر في الآيتين الثالثة والرابعة بـ (إنما) مبالغة- أيضاً - في إثبات معاني اللهو واللعب للحياة الدنيا، وقد وردت صيغة الحياة مقيدة بالوصف (الدنيا) ...

كما أن المدقق للآيات الكريمة السابقة يلاحظ أن اللهو عطف على اللعب في أربع آيات، بينما عطف اللعب على اللهو في آيتين، وهذا ما تتبه إليه الشوكاني، حيث سيتم عرض رأيه لاحقاً .

أما اللهو في اللغة تتعدد معانيه، فقد جاء في لسان العرب : " لها: اللهو : ما لسوت به ولعبت به وشغلتك من هوى وطرب ونحوهما... واللهو: اللعب . يقال: لهوت بالشيء ... إذا

لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره...واللهو : النكاح، ويقال المرأة...ولهو الحديث:
الغناء لأنه يلهي عن ذكر الله عز وجل...^(١).

فاللهو يحمل معاني اللعب، والانشغال ، والنكاح، والمرأة ، والغناء... والراغب
الأصفهاني لا يبتعد كثيراً في نظرته إلى المعاني اللغوية لللهو ، فهو يرى أن من معانيه
انشغال الإنسان بما يعنيه وبعده، ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو، ومن معانيه المرأة
والولد باعتبارهما بعضاً من زينة الحياة الدنيا. ^(٢)

وقد فرق أبو هلال العسكري بين اللهو واللعب بقوله : " أنه لا لهو إلا لعب ، وقد
يكون لعب ليس بهلهو ، لأن اللعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وغيره ، ولا يقال لذلك :
لهو ، وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعاً ، وسمى لهو لأنه يشغل بما يعني ، من قولهم: ألهاني
الشيء ، أي شغلي ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَهَاكُمُ الْكَاثِر﴾ (التكاثر: ١) ^(٣).

فاللاعب في نظره قد يكون وسيلة من وسائل التأديب ، بينما اللهو لا يعقب نفعاً ؛ لأنّه
يشغل المرأة بما يعني.

وقد وردت مادة (لهو) ومشتقاتها ست عشرة مرة في القرآن الكريم، منها سنت
مرات ورد فيها (اللهو واللعب) متعاطفين ، وقد سبق ذكر هذه المواقع في كتاب الله تعالى.
أما المواقع الأخرى التي ورد فيها مادة (لهو) ومشتقاتها ، فهي :

قوله تعالى : ﴿أَلَهَاكُمُ الْكَاثِر، حَتَّى رُونُمُ الْمَقَابِر﴾ (التكاثر: ١) أي أشغلكم.

وقوله تعالى : ﴿لَا تَنْهَكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أُولَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ٩) أي لا تشغلكم

وقوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَا نَهِمُهُمْ بِحَارَةٍ وَلَا يَعْنِي ذِكْرَ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٧) أي لا تشغليهم

وقوله تعالى : ﴿أَذْرِهُمْ بِأَكْلِهِمْ وَيَسْعَوْهُمْ وَلِهِمْ الْأَمْلَفُ فَسَوْفَ يَعْلَمُون﴾ (الحجر: ٣)

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَحْشِى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَكْتُبِ﴾ (عبس: ١٠) أي تنشغل عنه
وتعرض.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يَشْرِي لَهُوا الْحَدِيثُ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَعْرِفُ عِلْمًا﴾ (لقمان: ٦) أي الغناء

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ الْبِحَارَة﴾ (الجمعة: ١١) أي الطبل والمعازف

(١) لسان العرب : مادة (لهو) . ٣٤٧/١٢

(٢) معجم مفردات لفاظ القرآن : ٥١٠.

(٣) الفروق اللغوية : ٢٨٤.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَسْخِدَ لَهُوا لَا تَحْذَّأْ مِنْ لَدُنَّا إِن كَانَ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٧) أي الزوجة والولد
 وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأُوا تِجَارَةً أَوْ هُوَ أَنْقَضَ إِلَيْهَا وَتَرْكُوكَ قَائِمًا﴾ (الجمعة: ١١) أي الطبل والمعازف
 وقوله تعالى: ﴿لَا هِيَّأْ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَرُوا النَّجْوَى﴾ (الأنبياء: ٣) أي ساهية مشغولة بما لا يعنيها
 ومما يؤكّد وجود المعاني الفارقة بين اللعب واللهو، ما جاء في تفسير "فتح القدير"
 حيث يرى الشوكاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعْبٌ وَهُوَ . . .﴾ (الأنعام: ٣٢)
 أن اللعب معروف وهو ضد الجد وكثرة المزح، بينما اللهو كل ما يشغلك فقد ألهاك وأصلحته
 الصرف عن الشيء^(١).

يفهم من كلام الشوكاني أن الكلمتين متباينتين ، وأن ترتيبهما (اللعب) أو لا بمعنى
 كثرة المزح كان بمثابة مقدمة توصل إلى معنى الكلمة المعطوفة (اللهو) ، وهو أن كثرة
 المزح تشغّل الإنسان وتصرفه عن الجادة وذكر الله.
 وأخيراً - يمكن القول - إن اللهو قد عطف على اللعب في الآية الكريمة السابقة،
 والعطف يقتضي المعايرة ، مما يدل بشكل واضح على نفي التراّدف بينهما، وأن لكل منهما
 دلالته الخاصة به.

اللّفظان (السر والنّجوى) :

ورداً معاً في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَخْسِبُونَ أَنَا لَا سَمْعٌ لِسَرِّهِمْ وَجْهُاهُمْ بَلَى وَرَسُلُنَا لِدِيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾
 (الزخرف: ٨٠)

جاء لفظ "النّجوى" معطوفاً على "السر" في الآية السابقة، وقد فسّر ابن منظور السّرّ
 بقوله: "السر": من الأسرار التي تكتتم. والسر: ما أخفيت، والجمع أسرار . . . والسريره: عمل
 السر من خير أو شر . . . والسر: النكاح لأنّه يكتتم ، قال الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
 عَرَضْنَاهُمْ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَنْكَثْنَاهُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَكْمَمْ سَدِّكُرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا يَوْمَ عِدُوهُنَّ سِرًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَلْعَبُ الْكِبَابُ أَبْجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاجْدِرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
 (البقرة: ٢٣٥) . . .

والسرّة الواقبة التي في وسط البطن ... وأسارير الوجه هي الخطوط التي في الجبهة من التكسر فيها ... والسرار: آخر الشهر ليلة يستسر الهلال^(١).

فالسرّ أصله الخفاء والكتمان وكُنّي عن النكاح بالسرّ من حيث إِنَّه يُخْفَى ، ومنه سُرّةُ البطن ما يبقى وذلك لاستثاره بعُكن البطن، وأساريِّر الوجه لغضونهما.

أما النجوى فقد جاء في لسان العرب: "نجاه نجواً ونجوى: ساره . والنجوى والنَّجَوِيُّ: السرّ . والنَّجَوِيُّ: السرّ بين اثنين ... وانتجى القوم وتتاجوا : تساووا ... والنَّجَوِيَّةُ ما ارتفع من الأرض فلم يَعُلُّه السَّيْلُ ..." ^(٢)

ويبدو أن ابن منظور فسر اللفظين مبيناً المعنى العام المشترك بينهما للتقرير، وليس للدليل على أنهما مترادافان بمعنى واحد، فكل لفظ منها دلالة خاصة ينفرد بها.

وفرق أبو هلال العسكري بين اللفظين مبيناً أن النجوى اسم ل الكلام الخفي الذي ينادي به الإنسان صاحبه، كأنه يرفعه عن غيره، وذلك أن أصل الكلمة الرفعية، والسرّ إخفاء الشيء في النفس، والنحو تتناول جملة ما يتناجي به من الكلام، والسرّ يتناول معنى ذلك، وقد يكون السرّ في غير المعاني مجازاً، والنحو لا تكون إلا كلاماً^(٣).

وقد وردت كلمة (السر) ومشتقاتها التي تحمل معاني السر والخفاء والكتمان في القرآن الكريم اثنين وثلاثين مرة.

والموضع التي وردت فيها كلمة (السر) ومشتقاتها في القرآن الكريم هي:

قوله تعالى : ﴿لَمَّا تَبَيَّنَ أَعْلَمْتُهُمْ وَأَسْرَرْتُهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٩)

وقوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَحْفَىٰ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (الرعد: ١٠)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَسْرَأَنَا نَبِيًّا إِلَيْهِ بَعْضَ أَرْوَاحِهِ حَدَّيْنَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَظْهَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ تَبَيَّنَ لِي الْعِلْمُ الْخَيْرُ﴾ (التحريم: ٣)

وقوله تعالى : ﴿قَالَوا إِنَّ يُسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَنْاهُ مِنْ قَبْلِ فَاسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَكَمْ يُدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْهُ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ٧٧)

(١) لسان العرب : مادة (سر) ٦: ٢٣٥.

(٢) لسان العرب : مادة (نجو) ١٤: ٦٢.

(٣) الفروق اللغوية: ٧٥.

وقوله تعالى: ﴿ قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ سَارُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ تَحْسَنَ أَنْ نُصْبِيَنَا دَائِرَةً فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَحْشَأْ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَادِينَ ﴾ (المائدة: ٥٢)

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآن لَكُلِّ قَسٍ طَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَفَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعِذَابَ وَقُضِيَ بِهِمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴾ (يوسوس: ٥٤)

وقوله تعالى: ﴿ لَا هِيَةَ قَلُوبُهُمْ وَأَسْرَوْا التَّجْوِيَّ الدَّيْنَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِنْكُمْ أَفَأَتُؤْنَنَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْغِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِلَيْهِ مُكْرِرًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذَا تَأْمُرُونَا أَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَيَحْكُلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَوْا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعِذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سباء: ٣٣)

وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سِيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارْدَهُمْ فَادَّى ذُكْرَهُ قَالَ يَا بُشْرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةَ اللَّهِ عَلِيهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ١٩)

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أُولَئِكُمُ الَّذِينَ تَقْوَى إِلَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ وَقَدْ كَفَرُوا إِنَّمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَلَا يَكُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ حِمَادًا فِي سَيْلٍ وَأَيْقَاءَ مَرْضَاتِي مُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ وَإِنَّمَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفِيَ وَمَا أَعْلَمُ وَمَنْ يَعْلَمْ بِمِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّيْلُ ﴾ (المتحنة: ١)

وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (التغابن: ٤)

وقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٧)

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَسْتُونَ صُدُورَهُمْ يَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَّا هِيَ مُسْعَشُونَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (هود: ٥)

وقوله تعالى: ﴿ لَا جَرْمٌ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ لَهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْكِرِينَ ﴾ (النحل: ٢٣)

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْرُثُكَ قَوْلُهُ مُّا إِنَّا عَلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس: ٧٦)

وقوله تعالى: ﴿ وَأَسْرَوْا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ ﴾ (الملك: ١٣)

وقوله تعالى: ﴿إِذْلِكَ مَا كُنْتُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سُنْنَتُ يَعْلَمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٦)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦)

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَنْخَفَ﴾ (طه: ٧)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ يَوْمَنِ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ مَا كُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمًا اللَّهُ أَنْكُمْ سَدِّدُكُرُوهُنَّ وَلَكُنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْنِمُوا عَقْدَةَ النَّكَاحِ حَسْنَى يَئُلُّ الْكِتابُ أَبْحَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥)

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالظَّلِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَيْقَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُنَ بالْحَسَنَةِ السَّيِّسَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَبْتُ الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آتَيْنَا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْقُضُوا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً مَّنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ الْيَقْيَدَةِ وَلَا خِلَالَ﴾ (ابراهيم: ٣١)

وقوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مُتَلَّا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَ الرِّزْقَ أَحَسَنَاهُ فَهُوَ يَنْفَعُ مِنْهُ سِرًا وَجَهْرًا هَلْ يَسْوُونَ الْحَمْدَ لِلَّهِ بِلَأَكْرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ كِبَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْقُضُوا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تُبُورَ﴾ (فاطر: ٢٩)

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٣)

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَيَحْوِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَمُ الْغُيُوبِ﴾ (التوبة: ٨٧)

وقوله تعالى: ﴿أَنِّي حَسِيبُونَ أَنَا لَا سَمْعَ لِسِرَّهُمْ وَيَحْوِهِمْ بِكَيْ وَرَسُلُنَا لَدَهُمْ بِكَسِبِهِنَّ﴾ (الزخرف: ٨٠)

يبدو من خلال العرض السابق للآيات القرآنية أن السر ما يكتن في النفس من

. الحديث.

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أُولَئِكُمُ الظَّالِمُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا إِمَّا
جَاءُكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِمَّا كُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَأَيْنَعَاءَ مَرْضَاتِي سُرُوفَ
إِلَيْهِمْ بِالسُّودَةِ وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أَحْصَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ كُمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّيِّلُ﴾ (المتحنة: ١)

تسرون بمعنى تطليعون على ما تسرون من موتهم.

كما أن الإسرار إلى الآخرين يقتضي إظهار ذلك لمن يقضى إليه بالسر، وإن كان يقتضي إخفاء عن غيره.

وفي قوله: ﴿أَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي أخوها، وكني عن النكاح بالسر من حيث إنه يخفي،
كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سَرًا﴾.

أما كلمة (النجوى) وما يتعلق بها من مشتقاتها فقد وردت في القرآن الكريم في اثنى عشرة آية هي:

في قوله تعالى: ﴿أَلمْ نَرَأْنَ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ تَبْعُدُ إِلَيْهِ أَهْوَاهُعُمُّ وَلَا خَمْسَةَ
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا دُوَيْنِ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعْهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا إِنَّمَا يَشَهِّدُهُمْ سَاعِلُوا يَوْمَ الْيَمَامَةِ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءَ عَلَيْهِمْ﴾ (المجادلة: ٧)

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَرَى إِلَيَّ الَّذِينَ نَهَوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لَمَّا نَهَوْا عَنْهُ وَيَسْأَلُونَ بِالْأَئْمَمِ وَالْعُدُوَانِ
وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَبِيبُكَ مَا لَمْ يَحِلْ لَهُ وَيَوْلُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يَعْدِنَا اللَّهُ مَا تَوْلَ حَسَبُهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلُوبُهَا
فِيْسَ الْمَصِيرِ﴾ (المجادلة: ٨)

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَابَجَمَ فَلَا تَنْتَاجُوا بِالْأَئْمَمِ وَالْعُدُوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَيَسْأَلُونَ بِالْأَيْرِ
وَالْتَّقَوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ﴾ (المجادلة: ٩)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيُسَرِّضَهُمْ شَيْئًا إِلَيْهِ دُنْدِنُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيُسْكَلَ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المجادلة: ١٠)

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَرَ مِنَ الرَّسُولِ فَقَدْ مَوَّا بَيْنَ يَدَيْهِ بِجُواهِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرَ فَلَنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المجادلة: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿أَتَشْفَعُونَ أَنْ يَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ بِجُواهِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَقْعُلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٣)

وقوله تعالى: ﴿لَهُنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ إِذْ يُسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ بَجُوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ يَسْعَونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ٤٧)

وقوله تعالى: ﴿فَتَأْرِعُوا أُمَرَّهُمْ بِيَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ (طه: ٦٢)

وقوله تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَّمُوا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِنْكُمْ أَفَأَنْتُمْ السِّحْرُ وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ﴾ (الأنبياء: ٣)

وفي قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ بَعْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ صَدَقَةٌ أَوْ مَعْرُوفٌ أَوْ إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَعْمَلْ ذَارِكَ أَيْغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ فَتَيْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَبَجُوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَمَ الْغَيْبِ﴾ (التوبة: ٧٨)

وقوله تعالى: ﴿أُمَّيْهُسِبُونَ أَتَا لَا سَمَعُ سِرَّهُمْ وَبَجُوَاهُمْ بَلِّي وَرَسُلُنَا لَدُهُمْ يَكْبِيُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠)

وهكذا يتضح معنى النجوى بأنه ما يفيض به الإنسان لصاحبه، ولا يكون إلا كلاما كما ورد في الآيات الكريمة.

وقد يوصف بالنجوى فيقال: هو نجوى، وهم نجوى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ بَجُوَى﴾.

ومما يدل على وجود فروق ذات دلالة بين (السر والنرجوى) في قوله تعالى: ﴿أُمَّيْهُسِبُونَ أَتَا لَا سَمَعُ سِرَّهُمْ وَبَجُوَاهُمْ بَلِّي وَرَسُلُنَا لَدُهُمْ يَكْبِيُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠)

ما جاء في كتب التفسير، حيث ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية التي سبقت هذه الآية، نزلت في تدبير قريش بالمكر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في دار الندوة، حين استقرَّ أمرهم على ما أشار به أبو جهل عليهم أن يبرز من كل قبيلة رجل؛ ليشتراكوا في قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى لا يستطيع بنو هاشم المطالبة بهم.

والكلام في الآية الكريمة بعد (أم) استفهام حذفت منه أداة الاستفهام ، وهو استفهام تقويري وتهديدي، وضمير (يحسرون) مراد به المشركون الذين يدبرون بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم، وضمير (أنا) ضمير الجلاء والسمع هو العلم بالأصوات. والمراد بالسر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر للنبي صلى الله عليه وسلم. أما النرجوى: ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي. (١)

(١) انظر /

تفسير الكشاف : ٤ : ٢٥٨.

فتح القدير : ٤ : ٧٠٧.

البحر المحيط: ٨ : ٢٨.

التحرير والتווير: المجلد الثاني عشر، الجزء الخامس والعشرون: ٢٦٢.

اللُّفْظَانِ (العذرُ والنذرُ) :

ورداً معاً في قوله تعالى: ﴿فَالْمُقْيَاتِ ذِكْرًا عَذْرًا أَوْ نِذْرًا﴾ (المرسلات: ٦-٥)

ويرى بعض المفسرين بالترادف بينهما ، إلا أن المتبع للمعنى اللغوي لكل منهما، وتتبع معانيهما في بعض التفاسير، يجد بعض الفروق الدقيقة بينهما، وهذا ما سيحاول الباحث تتبعه.

فقد جاء في لسان العرب: "عذر: العذر: الحجة التي يعتذر بها، والجمع أعدار... وفي المثل : أعدر من أنذر... وعذر في الأمر: قصر بعد جهوده. والتعذر في الأمر: التقصير فيه. وأعذر : قصر ولم يبالغ وهو يرى أنه مبالغ... وأعذر وعذر : كثرت ذنبه وعيوبه.. والاستعذار: أن تقول له أعتذرني منك ... "(١).

أما الفيروز آبادي فإنه يرى: "العذر تحرّي الإنسان ما يمحوه ذنبه. يقال : عذر وعذر. وذلك ثلاثة أضرب: أن يقول لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنبًا، أو يقول: فعلت ولا أعود، ونحو ذلك. وهذا الثالث هو التوبة، وكل توبة عذر، وليس كل عذر توبة. وأعذر من أنذر أي بالغ في العذر، أي في كونه معذوراً ... "(٢).
ما سبق يتضح أن المعنى اللغوي للعذر يدور حول الحجة التي يعتذر بها، وتحرّي الإنسان ما يمحوه ذنبه.

وقد وردت (عذر) ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنى عشرة مرة ، في قوله تعالى:

﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَاغِيَةٍ مِّنْكُمْ عَذَّبَ اللَّهُ مَعَاهُمْ كَلَّا وَمَحْرِمِينَ﴾ (التوبه: ٦٦)

وقوله: ﴿قُلْ لَا تَعْذِرُوا لَنِّي تُؤْمِنُ لَكُمْ قَدْ بَيَانَ اللَّهِ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (التوبه: ٩٤)

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا إِلَيْهِمْ إِنَّمَا يُجْزِئُونَ مَا كُسْبَهُمْ وَمَا لَمْ يَنْعُمْ﴾ (التحريم: ٧)

وقوله: ﴿لَا يَعْذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْذِرُوا لَنِّي تُؤْمِنُ لَكُمْ قَدْ بَيَانَ اللَّهِ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُمْ تَرْدُونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَسِّكُمْ هِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبه: ٩٤)

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يُنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْذِرُونَ﴾ (المرسلات: ٣٦)

وقوله: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكُمْ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا مُصَاحَّيْنِي قَدْ بَلَّغْتَ مِنْ لَدُنِي عَذْرًا﴾ (الكهف: ٧٦)

وقوله: ﴿فَالْمُقْيَاتِ ذِكْرًا عَذْرًا أَوْ نِذْرًا﴾ (المرسلات: ٦-٥)

(١) لسان العرب: مادة (عذر) ٩/١٠٢.

(٢) بمساند ذوي التمييز : ٤/٣٦.

وقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (التوبه: ٩٠)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمْ يَعْطُوهُنَّ فَوْمَا اللَّهُ مُنِعُكُمُوهُمْ مُعَذَّبُونَ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذِّرَةٌ إِلَى رِبِّكُمْ وَلَكُمْ يَسِّعُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٤)

وفي قوله تعالى: ﴿فَوَمِيزْ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَّمُوا مَعَذِّرَتِهِمْ وَلَا هُمْ يَسْتَعْبُونَ﴾ (الروم: ٥٧)

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِّرَتِهِمْ وَلَهُمُ الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (غافر: ٥٢)

وفي قوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرٌ قَوْلَهُ مَعَذِّرَةٌ﴾ (القيامة: ١٥)

يبدو من خلال العرض السابق للآيات الكريمة التي اشتغلت على مادة (عذر)

ومشتقاتها أن معانيها تدور حول الحجة التي يعتذر بها، وتحري الإنسان ما يمحو به ذنبه.

أما (النذر) فقد جاء في لسان العرب: "نذر : النذر: النحْبُ، وهو ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه نحباً واجباً، وجمعه نذور ... ونذر بالشيء وبالعدو، (بكسر الذال)، نذراً : علّمه فحذره . وأنذره بالأمر إنذاراً ونذراً ... وأصل الإنذار الإعلام.

يقال: أنذرته أنذرته إنذاراً إذا أعلمه. فأنا منذر ونذير أي معلم ومخوّف ومُحذّر ...^(١) . ويرى الفيروز آبادي أن "النذر": أن توجب على نفسك ما ليس بواجب.

قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِرَحْمَنِ صَوْمًا فَلَمْ أَكُلْ أَيْمَانَ أَسِيَّا﴾ (مريم: ٢٦)

ونذر القوم بالعدو: علموا به فحذروه واستعدوا له ...^(٢).

فالنذر يحمل ضمن ما يحمل من معانٍ معنى الحذر، وما ينذره الإنسان فيجعله واجباً على نفسه نحباً واجباً.

ولأبي هلال العسكري رأي عندما فرق بين "العذر" و "النذر"، فهو يرى : "إن التائب مقر بالذنب الذي يتوب منه، معترف بعدم عذرته فيه، والمعتذر يذكر أن له فيما أتاه من المكروره عذراً، ولو كان الاعتذار التوبة لجاز أن يقال اعتذر إلى الله، كما يقال : تاب إليه. وأصل العذر: إزالة الله الشيء عن جهته، اعتذر إلى فلان فعذرته، أي: أزال ما كان في نفسه عليه في الحقيقة أو في الظاهر، ويقال: عذرته عذيراً، ولهذا يقال من عذيري من فلان،

(١) لسان العرب: مادة (نذر) ١٤/١٠٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز : ٥/٣٤.

وتأويله: من يأتيني بعذر منه، ومنه قوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ (المرسلات: ٦) والنذر جمع نذير.^(١)

وقد وردت مادة (نذر) ومشتقاتها في القرآن الكريم مائة وثلاثين مرة، وفي مجملها تحمل معاني الحذر، والإذار بالعذاب والنقمة، وما ينذره الإنسان فيجعله واجباً على نفسه نحياً واجباً.

ومما يدل على وجود الفوارق بين (العذر) و (النذر) ما قاله بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْكَيَّاتِ ذِكْرًا عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ (المرسلات: ٦-٥) ... والمعنى : أن الملائكة تلقى الوحي إعذاراً من الله إلى خلقه، وإنذاراً من عذابه^(٢). ويرى أبو حيان الأندلسي أن: "... الإعذار بقيام الحجة على الخلق والإذار هو بالعذاب والنقمة"^(٣)

أما الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور فإنه يرى: "الملقيات: الملائكة الذين يبلغون الوحي وهو الذكر . والإلقاء مستعار لتبييض الذكر من العالم العلوى إلى أهل الأرض بتضليله بإلقاء شيء من اليد إلى الأرض. وإلقاء الذكر تبليغ الموعظ إلى الرسل ليبلغوها إلى الناس وهذا الإلقاء متفرع على الفرق لأنهم يخصون كل ذكر بمن هو محتاج إليه، فذكر الكفار بالتهديد والوعيد بالعذاب، وذكر المؤمنين بالثناء والوعد بالنعم".

وهذا معنى "عذراً أو نذراً" فالعذر: الإعلام بقبول إيمان المؤمنين بعد الكفر، وتوبة التائبين بعد الذنب. والنذر: اسم مصدر أذر، إذا حذر.^(٤)

ومما يحمل ذكره أن "عذراً أو نذراً" جاءا منصوبين، وانتسابهما إما على البطل من ذكرأ، أو على المفعول له، أو على الحال بمعنى عاذرين أو منذرين.

لكل مما سبق يمكن القول بعدم الترادف بين "العذر" و "النذر" ، ومما يؤكّد عدم الترادف بينهما أنهما جاءا متعاطفين، والعطف يقتضي المغايرة.

(١) الفروق اللغوية: ٢٦٣.

(٢) فتح القدير: ٤٣٧/٥.

(٣) تفسير البحر المحيط: ٣٩٦/٨.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: المجلد الرابع عشر، ٤٢٢/٢٩.

اللقطان (الخطيئة... والإثم):

ورداً معاً في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أُوْ اثْمَمْ بِرْمِهِ بِرِّئَتَأَ قَدِ احْمَلَ بِهَا نَأِيَّا وَأَثْمَمِنَا﴾^(١)
 (النساء: ١١٢)

جاء لفظ الإثم معطوفاً على الخطيئة في الآية السابقة، وقد فسر ابن منظور الخطيئة بقوله: "خطأ: الخطأ والخطاء ضد الصواب. وقد أخطأ، وفي التنزيل: ﴿أَدْعُوهُمْ لِآيَاهُمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آيَاهُمْ فَلِخُواكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥) عَدَاه بالباء لأنه في معنى عثركم أو غلطكم... وأخطأ الطريق: عدل عنه، وأخطأ الرامي الغرض: لم يصبه... وأخطأ يخطئ إذا سلك سبيل الخطأ عمداً وسهواً، ويقال خطى بمعنى أخطأ، وقيل: خطئ إذا تعمد، وأخطأ إذا لم يتعمد... والخطيئة الذنب على عمد".^(٢)

وقد يسمى الذنب خاطئة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْنَكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾^(٣)
 (الحقة: ٩)

أي الذنب العظيم، وأما ما لم يكن مقصوداً فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه متجاوز عنده.

ويرى الراغب الأصفهاني أن: "الخطأ العدول عن الجهة... والخطيئة والسيئة يتقاربان لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصوداً إليه في نفسه بل يكون القصد سبباً لتولد ذلك الفعل منه...".^(٤)

وقد وردت مادة (خطأ) اثنتين وعشرين مرة في كتاب الله تعالى، فقد وردت في قوله تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِآيَاهُمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آيَاهُمْ فَلِخُواكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعْمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥)
 وقوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سِيَّنا أَوْ أَخْطَلْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا حَمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنَّتْ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

(١) لسان العرب : مادة (خطأ) . ١٣٢/٤

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١٦٩ .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُقْلِلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا وَمَنْ قَلَ مُؤْمِنًا خَطَا فَتَخْرِيرُ رَقِبَةِ مُؤْمِنَةِ وَدَيْنَ مُسْلِمَةِ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَخْرِيرُ رَقِبَةِ مُؤْمِنَةِ وَلَذِكْرُ مَنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَنْكِمُ وَيَنْهَا فَدَيْنَ مُسْلِمَةِ إِلَى أَهْلِهِ وَتَخْرِيرُ رَقِبَةِ مُؤْمِنَةِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامُ شَهْرَيْنِ مُسَاعِيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٩٢)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِلَامِلَاقِ سُحْنَ بَرْزَقِهِمْ وَلَا يَأْكُلُوا إِنْ قَاتَلُوهُمْ كَانَ خَطْتاً كَيْرًا﴾ (الإسراء: ٣١)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلَيْنِ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِلُونَ﴾ (الحاقة: ٣٧)

وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذِيْكِ إِنَّكِ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِلِينَ﴾ (يوسف: ٢٩)

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَالَّهِ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَلَكِنْ كُلُّ الْخَاطِلِينَ﴾ (يوسف: ٩١)

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَاهَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُوبَنَا إِنَّا كُلُّ الْخَاطِلِينَ﴾ (يوسف: ٩٧)

وقوله تعالى: ﴿فَالْتَّقْتَلَهُ الْفَرْعَوْنُ لَكُونَ لَهُمْ عَدُوًا وَحَزَنَتِ إِنْ فَرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجَنُودُهُمَا كَلُّ الْخَاطِلِينَ﴾ (القصص: ٨)

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِالْخَاطِلَةِ﴾ (الحاقة: ٩)

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَنِّي لَمْ يُنْهِ لَتَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةً كَادِيَةً خَاطِلَةً﴾ (العلق: ١٦)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيَّةً فَأُنَّا نَعْلَمُ بِهِ بَرِّنَا فَقَدِ احْمَلَ بَهَا نَا وَأَنْسَمَنَا﴾ (النساء: ١١٢)

وقوله تعالى: ﴿بَلِّي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيَّشَهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٨١)

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يُغَرِّ لِي خَطِيَّيِّي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوكُمْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُّوْمُنَاهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِجَّةَ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدَةً تَغْرِيْكُمْ خَطِيَّاتِكُمْ سَنَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٦١)

وقوله تعالى: ﴿مِنَّا خَطِيَّاتِهِمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوْنَا رَأْفَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (نوح: ٢٥)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوْمُنَاهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدَةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدَةً وَقُولُوا حِجَّةَ تَغْرِيْكُمْ خَطِيَّاتِكُمْ وَسَنَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨)

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْعُوا سَيِّلَاتَا وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا هُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٢)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنَّا بِرِبِّنَا يُغَفِّرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَّأَنْجَى ﴾ (طه: ٧٣)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يُغَفِّرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كَانَ أَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٥١)

يتضح من عرض الآيات الكريمة السابقة أن الخطأ يحمل معاني العدول عن الجهة، ومنه الخطأ العمد، وغير العمد وهو المتجاوز عنه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان" ، قوله: "إذا اجتهد فأخطأ فله أجر" .^{**}

وقد تقارب الخطيئة والسيئة كما في قوله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّةً وَاحْمَاطَ بِهِ خَطِيشَةً فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨١)

والخطيئة قد تكون عن غير قصد إلى فعله، والخطائى هو القاصد الذنب ، وعلى ذلك

قوله تعالى: ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (الحاقة: ٣٧) ، وقد يسمى الذنب خاطئة كما في قوله تعالى: ﴿ وَحَمَّاءٌ فِرْعَوْنٌ وَمَنْ مِنْ قَبْلِهِ وَمَوْقِعُكَاتُ الْخَاطِيَّةِ ﴾ (الحاقة: ٩)

أما الإثم في اللغة: "أثيم": الإثم الذنب، وقيل هو أن يعمل ما لا يحل له
والإثم القمار، وهو أن يهلك الرجل ويذهب ماله، وجمع الإثم آثام، لا يكسر على غير ذلك.
وآثيم فلان بالكسر، يأثم إثماً ومائماً أي وقع في الإثم، فهو آثيم وأثيم وأثوم أيضاً ... والإثم عند بعضهم: الخمر، قال الشاعر:

شَرِبَتِ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي
كَذَاكَ الْإِثْمَ تَذَهَّبُ بِالْعُقُولِ
... سَمَاهَا إِثْمًا لَأَنَّ شَرِبَهَا إِثْمًا^(١).

فالإثم يحمل معاني الذنب والقمار والخمر. أما الأصفهانى فإنه يرى أن: "الإثم والآثام أسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعه آثام ، ولتضمينه لمعنى البطء قال الشاعر:

إِذَا كَذَبَ الْأَثَمَاتُ الْهَجِيرَا
جَمَالِيَّةً تَغْتَالِي بِالرَّوَادِفِ

* سنن ابن ماجة : (٢٠٣٥) كتاب الطلاق.

** سنن الترمذى : (٥٢٨٦) أداب القضاة.

(١) لسان العرب : مادة(أثيم) ٧٤/١

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُوكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْيَسِيرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَيْرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّمَا أَكْبَرُ مِنْ شَعْهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩)

أي في تناولها إبطاء عن الخيرات ... وقوله الإثم بالبر فقال صلى الله عليه وسلم : "البر ما اطمأن إلهي النفس والإثم ما حاك في النفس" ^(١).
وفرق أبو هلال العسكري بين الخطيئة والإثم بقوله: "أن الخطيئة قد تكون من غير تعمد، ولا يكون الإثم إلا تعمداً ، ثم كثر ذلك حتى سميت الذنوب كلها خطايا ، كما سميت (إسرافا) وأصل الإسراف مجاوزة الحد في الشيء" ^(٢).

ومما يجدر ذكره أن مادة "إثم" ومشتقاتها وردت ثمانين وأربعين مرة في القرآن الكريم لا يرى الباحث ضرورة لتسجيلها في متن بحثه - ومن أهم معاني الإثم في القرآن الكريم الذنب ، وما حاك في القلب وتردد في الصدر ...

كما أن معاني الإثم في القرآن الكريم الأفعال المبطئة عن الثواب والخير ، كما في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَيْرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّمَا أَكْبَرُ مِنْ شَعْهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩) ...

ومما يؤكد وجود فوارق بين "الخطيئة" و "الإثم" ما جاء في كتب التفاسير فقد ذكر الإمام الشوكاني أن: "الخطيئة تكون عن عدم ، وعن غير عدم ، والإثم لا يكون إلا عن عدم ، وقيل : الخطيئة: الصغيرة ، والإثم : الكبيرة . وقوله: ثم يرم به برئا " توحيد الضمير لكون العطف بأو ، أو لتغليب الإثم على الخطيئة" ^(٣).
فذكر الخطيئة والإثم هنا يدل على أنهما متغايران ، فالمراد بالخطيئة المعصية الصغيرة ، والمراد بالإثم الكبيرة.

اللظاظان (البُثُّ والحزن):

جاء لفظ الحزن معطوفاً على البُثُّ في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوُتِي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦)

ولدقة الفرق بينهما عدهما كثيراً من العلماء متراوفين.
وأصل البُثُّ في اللغة التفريق والانتشار: "بُثُّ الشيء والخبر بيته ويبيثه بثاً، أبثاً، بمعنى، فابثاً : فرقه فتفرق، ونشره ... وفي التنزيل العزيز : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

* سنن الدارمي: (٢٤٢١) كتاب البيوع.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٦.

(٢) الفروق اللغوية: ٢٦١.

(٣) فتح القدير: ٦٥٥/١.

خَلَقْتُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقْتُمُهَا زَوْجًا وَبَثَّتُمُهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَسَاءً وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي أَسَاءَ لَكُونَرِبِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿النساء: ١﴾

أي نشر وكثير ... البث في الأصل شدة الحزن، والمرض الشديد، كأنه من شدته يبتئله صاحبه^(١).

فأصل البث التفرق والانتشار وإثارة الشيء كبث الريح التراب، ومنه قوله عز وجل: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ ﴿البقرة: ٦٤﴾ ، لقمان: ١٠) دلالة على أن الله أوجد ما لم يكن موجوداً ، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبَثُوثِ ﴾ ﴿القارعة: ٤﴾

أي المهييج بعد سكونه وخفائه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَسَطَ الْجِبَالَ سَاسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَشِّرًا ﴾ ﴿الواقعة: ٦٥﴾

وقد وردت مادة "بث" تسع مرات في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ وَالْفَلَكِ الَّتِي يَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَصَرِيفٍ الرِّبَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِيَأْتِيَنَّ لِقَاءً يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿البقرة: ٦٤﴾

وقوله: ﴿ وَخَلَقْتُمُهَا زَوْجًا وَبَثَّتُمُهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَسَاءً ﴾ ﴿النساء: ١﴾
و قوله: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوُهَا وَأَنْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَسِدِّيْكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْسَطَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زُفْرَاجٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿لقمان: ١٠﴾
و قوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ ﴿الشورى: ٢٩﴾

و قوله: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَسْتُرُ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لَهُمْ يَقُولُونَ ﴾ ﴿الجاثية: ٤﴾
و قوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوبِي وَحْدَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿يوسف: ٨٦﴾
و قوله: ﴿ يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبَثُوثِ ﴾ ﴿القارعة: ٤﴾

وقوله: ﴿وَمَارِقَ مَصْفُوفَةً وَرَكَبِيْ مَبْوَثَةً﴾ (الغاشية: ١٦)

قوله تعالى: ﴿وَبُسْتِ الْجَبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ (الواقعة: ٦)

فالبُث من خلال عرض الآيات السابقة يحمل معاني الانتشار والتفرق، كما أنه يحمل معنى الحزن الشديد الذي لا يقدر صاحبه على تحمله فيبهـ الآخرين.

أما الحزن : فأصله في اللغة الخشونة والغلظة، وهو نقىض الفرح، وخلاف السرور.

ومنه: "الحزنُ والحزنُ": نقىض الفرح، وهو خلاف السرور ... وعام الحزن: العام الذي مالت فيه خديجة رضي الله عنها - وأبو طالب فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، عام الحزن والحزنُ من الدواب: ما خشن، صفة، والألثى حزنة ... والحزن ما غلظ من الأرض في ارتفاع ... ^(١).

فالحزن : الهم الغليظ الذي يسيطر على صاحبه ويترك في نفسه الغم.

وفرق أبو هلال العسكري بين البُث والحزن بقوله: "إن قولنا: الحزن يفيد غلط الهم ، وقولنا البُث ، يفيد أنه ينبع ولا ينكتم ، من قولك: أبنتـ ما عندي ، وبـنتـه إذا أعلمتـه إياه . وأصل الكلمة كثرة التفرق ... ^(٢) ."

وقد وردت مادة "حزن" ومشتقاتها اثنين وأربعين مرة في كتاب الله تعالى - لا يرى الباحث ضرورة لإثباتها في متن بحثه - ومن أهم معانيها في القرآن الكريم الهم الشديد الذي يسيطر على صاحبه، ويصعب عليه نسيانه.

ومما يؤكد وجود فروق دقيقة بين البُث والحزن ما ذكره المفسرون: "إن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك حزناً، وإن لم يقدر على كتمه كان ذلك بثاً، فالبُث على هذا : أعظم الحزن وأصعبه ... وعلى هذا القول يكون عطف الحزن على البُث واضح المعنى. وأما على تفسير البُث بالحزن العظيم، فكانه قال: إنما أشكوا حزني العظيم وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس" ^(٣) .

وقد اجتمع البُث والحزن ليعقوب عليه السلام؛ لأنـه كان مهتماً بالتفكير في مصر وي يوسف عليه السلام، وما يعترضه من الكرب في غربته.

وهذا ما يؤكد أن عطف الحزن على البُث عطف تغاير لا عطف ترافق؛ لما بينـهما من الفرق في المعنى.

(١) لسان العرب: مادة (حزن) ١٥٨/٣.

(٢) الفروق اللغوية : ٢٩٨.

(٣) فتح القدير : ٦٢/٣.

النفظان (الفقير والمسكين):

جاء لفظ المسكين معطوفاً على الفقير في آية الصدقات، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْفَفَةُ قَلْبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَيِّلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّيِّلِ فَرِصَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبه: ٦٠)

ويرى بعض العلماء أن الفقير والمسكين بمعنى واحد، وأنهما صفتان لموصوف واحد. إلا أن ورودهما متعاطفين في آية الصدقات يؤكد اختلاف الدلالة بينهما، ولبيان ذلك يرى الباحث ضرورة تتبع المعنى اللغوي لهما، وما كتب في التفاسير حولهما؛ لتلمس الفروق الدقيقة بينهما. فقد جاء في لسان العرب: "فقير: الفقر والفقير: ضد الغنى، مثل الضعف والضعف... والفقير: الحاجة و فعله الافتقار، والنعت فقير... والفقير عند العرب، المحتاج قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْكَنِيْتُ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥) أي المحتاجون إليه...^(١)

فالفقير يحمل معاني الحاجة، وهو ضد الغنى، أما المسكين فمن "سكن": السكون ضد الحركة. سكن الشيء يسكن سكوناً إذا ذهب حركته،... وسكن الرجل: سكت... والسكنينة: الوداعة والوقار... والمسكين الذي لا شيء له، وقيل الذي لا شيء له يكفي عياله... والمسكين أسوأ حالاً من الفقير...^(٢)

يبدو من المعنى اللغوي للمسكين أنه الذي لا يملك ما يكفي عياله، وقد اختلف في أيهما أكثر فقراً : الفقير أم المسكين؟!

فأبو هلال العسكري يرى أن: "الفقير فيما قال الأزهري في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْفَفَةُ قَلْبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَيِّلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّيِّلِ فَرِصَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبه: ٦٠)

الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل... وهذا يدل على أنه رأى المسكين أضعف حالاً وأبلغ في جهة الفقر...^(٣).

(١) لسان العرب : مادة (فقير) ٢٩٩/١٠.

(٢) لسان العرب : مادة (سكن) ٣١٤/٦.

(٣) الفروق اللغوية : ٢٠٠.

وعلى هذا يكون الفقير الجالس في بيته، والمسكين الذي يسأل، وكأن الفقير المحتاج يتعرف عن ذل السؤال فيلزم بيته، بينما المسكين المحتاج الذي يتعرض لذل السؤال قد أذله الفقر، وأخضعته الحاجة.

وقد وردت مادة "فقير" ومشتقاتها في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً شَنِهَ وَقَضَلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَيَّعَ اللَّهُ قُولَّ الظِّنَنِ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَهُنَّ أَغْنِيَاءُ سَنَكِبُ مَا قَالُوا وَقَتَلُوكُمُ الْأَيْمَاءَ يَغْنِي
هُنَّ وَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران: ١٨١)
وقوله: ﴿لَيَشْهُدُوا مَنَافِعَهُمْ وَيَدْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ هِيمَةِ الْأَعْنَامِ فَكُلُّوا مِنْهَا
وَأَطْعُمُوا الْبَائِسَ النَّفِيلَ﴾ (الحج: ٢٨)

وقوله تعالى: ﴿وَفَسَقَى لَهُمَا تُمَّ تُوكِيٰ إِلَى الظَّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِسْرَائِيلَ لَمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)

وقوله: ﴿وَأَبْلَكُوا الْيَاسَمِ حَتَّىٰ إِذَا نَلَغُوا النَّكَاحَ فَلَمْ آتِسْمَمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمُ أُمُوْلَهُمْ وَلَا تُكُلُّوهَا إِسْرَافًا
وَبَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَيْرَهُ فَلَيَسْعِفَ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمُ أُمُوْلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى
بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٦)

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ قَوْمَيْنِ الْقُسْطُ شَهِدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالآقْرَبَيْنِ لَنْ يَكُنْ غَيْرَأَوْ
فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا يَتَبَعَّدُوا هُوَ أَنْ تَعْدُلُوا وَإِنْ تَلْعُوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ رَبَّا سَماَ تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ (النساء: ١٣٥)
وقوله: ﴿إِنْ بُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَتَعْمَلُهَا هِيَ وَإِنْ تُخْفِهَا وَتُوَثِّبُهَا إِنْ قَرَاءَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سِيَاتِكُمْ
وَاللَّهُ سَماَ تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ (البقرة: ٢٧١)

وقوله تعالى: ﴿لِلْفَقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصِرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ لَا يُسْطِيعُونَ ضَرِّاً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْحَاجِلُ
أَغْيَيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ تَعْرِفُهُمْ سِيَامَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَافَّاً وَمَا تَنْقُفوْا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣)
وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَالَمِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْمِنَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي
سَيِّلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّيِّلِ فَرِصَّةَ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبه: ٦٠)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامِي مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءٌ يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عِلْمٌ﴾ (النور: ٣٢)

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَئُمُّ الْفَقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)

وقوله تعالى: ﴿هَا أَئُمُّ هُؤُلَاءِ نُدْعَوْنَ لِتَقْعُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَجْعَلُ وَمَنْ يَحْلِ فَإِنَّمَا يَحْلِ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنَّمَا الْفَقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يُسْبِدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)

وقوله: ﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَمَوْلَاهُمْ يَسْعَوْنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضُوا نَا وَيَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨)

وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَ مِيزَابَاسِرَةٍ تَطْلُنُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٥)

يبعدو من خلال عرض الآيات الكريمة أن الفقر يحمل معاني الاحتياج، ويحمل معنى الفقر في المال في مقابل الغنى، وليس من معانٍ الفقر ما يدل على مسكنة في السلوك أو خضوع وذلة.

أما مادة (سكن) ومشقاتها فقد وردت تسعاً وستين مرة في كتاب الله تعالى – لا يرى الباحث ضرورة لإثباتها في متن بحثه – ومن أهم المعانٍ التي يمكن تلمسها من تلك الآيات استشعار للرحمة وبعث للإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَإِلَيْهِمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُحْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُحْبِ وَابْنِ السَّيْلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦)، ومعنى الفاقة والتسلُّل، كما في قوله تعالى:

﴿فَأَنْطَلُقُوا وَهُمْ يَسْخَافُونَ أَنْ لَا يَدْخُلُنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مُسْكِنٌ﴾ (القلم: ٢٤)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحْنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِنِ﴾ (الحاقة: ٣٤)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحْنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِنِ﴾ (الماعون: ٣)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِنِ﴾ (الفجر: ١٨)

كما أن من معانٍه بيان مصرف الكفارات، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْخُذُكُمُ اللَّهُ بِالْغُوفِي أَيْمَانُكُمْ وَلَكُمْ يَأْخُذُكُمْ بِمَا عَدَدْنَاهُمُ الْأَيَامَ فَهَارَبُهُمْ إِطْعَامٌ عَشَرَةَ مَسَاكِنَ مِنْ أُوْسَطِ مَا تَطْلِعُونَ أَهْلِكُمْ أَوْ كَسَوْهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ تِلْكَةٌ أَيَّامٌ ذَلِكَ كَارَةٌ أَيْمَانُكُمْ إِذَا حَلَّمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانُكُمْ كَذِكَ يَسِّنُ اللَّهُ لَكُمْ إِيَّاهُ لَعْلَكُمْ شَكَرُونَ﴾ (المائدة: ٨٩)

وقوله تعالى: ﴿أَيَامًا مَعْدُودَاتٍ فَنَّ كَانَ مِنْكُمْ مَرِضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فِعْدَةٌ مِنْ أَيَامٍ أُخْرَى وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٌ فَمَنْ تُطْعِنَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنَّ نَصْوَمُوا خَيْرٌ كُمَّا إِنْ كُمْ شَاءُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤)

ومما يدل على وجود فروق بين الفقير والمسكين ما جاء في كتب التفاسير، فالقاضي أبو السعود يرى أن : "الفقير من له أدنى شئ والمسكين من لا شيء له هو المروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وقد قيل: على العكس وكل منها وجه يدل عليه" (١).

أما الإمام الطاهر بن عاشور فإنه يرى : "الفقير صفة مشبهة أي المتصرف بالفقر، وهو عدم امتلاك ما به كفاية لوازם الإنسان في عشه، وضده الغنى ... والمسكين ذو المسكنة، وهي المذلة التي تحصل بسبب الفقر، ولا شك أن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر، وإنما النظر فيما إذا جمع ذكرهما في كلام واحد، فقيل: هو من قبيل التأكيد ...

وقيل: يراد بكل من الكلمتين معنى غير المراد من الأخرى، واختلف في تفسير ذلك على أقوال كثيرة : الأوضح منها أن يكون المراد بالفقير المحتاج احتياجاً لا يبلغ بصاحبها إلى الضراعة والمذلة، والمسكين المحتاج احتياجاً يلجئه إلى الضراعة والمذلة" (٢) .

ومهما يكن من اختلاف بين العلماء: أيهما أشد حاجة: الفقير أم المسكين؟ إلا أن الباحث - وبعد عرضه السابق - يميل إلى الرأي القائل: إن الفقير هو المحتاج المتعطف الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين هو المحتاج السائل الذي لا شيء له، وهذا - بلا شك - ينفي الترافق بين الفقير والمسكين.

(١) تفسير أبي السعود : ١٦١/٣.

(٢) تفسير التحرير والتتوير : المجلد السادس، ٢٣٥/١٠.

ترادف الأسماء

- (١) الكتاب ... القرآن ... الفرقان
- (٢) أحمد ... محمد
- (٣) المسيح ... عيسى ... ابن مريم
- (٤) يونس ... صاحب الحوت ... ذا النون
- (٥) البحر ... اليم
- (٦) السنة ... العام
- (٧) الدواب ... الأتعام
- (٨) الخضوع ... الخشوع
- (٩) المأوى ... المثوى
- (١٠) العهد ... الميثاق

الألفاظ (الكتاب - القرآن - الفرقان) :

لعل من ألوان الترافق في القرآن الكريم تسمية المسماى الواحد بأكثر من اسم ، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، ومنها أسماء القرآن التي تعدت وذكرت مواضعها في آياته الكريمة.

" وقد صنف في ذلك الحرالي (ت ٤٧٦هـ) وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين . وقال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك (ت ٤٩٤هـ) رحمه الله: اعلم أن الله تعالى سماى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا :

سماه كتاباً فقال : ﴿ حمٌ وَالْكَاتِبُ الْمَبِينُ ﴾ (الدخان: ٢-١)

وسماه قرآنًا فقال : ﴿ إِنَّهُ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ ﴾ (الواقعة: ٧٧)

وسماه كلاماً فقال : ﴿ حَسَنٌ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (التوبه: ٦)

وسماه نوراً فقال : ﴿ وَنُزِّلَكَ إِلَيْكُمْ بُرَا مُبِينٌ ﴾ (النساء: ١٧٤)

وسماه هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلنَّاسِ ﴾ (القمان: ٣)

وسماه رحمة فقال : ﴿ قُلْ فَضْلُ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ فِي ذِكْرِكَ فَنِقْرَحُوا ﴾ (يونس: ٥٨)

وسماه فرقانًا فقال : ﴿ بَارَكَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ (الفرقان: ١)

وسماه شفاء ... وسماه...^(١).

يبدو أن القاضي أبي المعالي - رحمه الله - خلط بين التسمية والوصف ، وهذا ما يفسر مبالغته ومباغطة غيره في تعداد ألقاب القرآن ، ومن خلال النظر فيما ذكروه يتضح أن أكثرها صفات لا ترقى للدلالة على الأعلام.

صفات القرآن الكريم تعبر عن أمور معينة يمتاز بها القرآن عن غيره من صور الكلام ، فهناك صفات تكشف عن حقيقة القرآن ، وأخرى تحدد تركيبه وتبيّن مدى صدقه وتصف بيانه وإرشاده للعباد.

أما لغة القرآن فهو نص عربي ، وأنه في إعجازه أحسن الحديث ، وأما حقيقته فهي أنه كتاب وتنزيلٌ ووحيٌ وصحفٌ مطهرةٌ وروحٌ ، وأما صدقه فهو أنه حقٌ ولا ريب فيه وأنه برهان محكم وحكيم وغير ذي عوج وأنه مصدقٌ لما بين يديه وهو قيمٌ ، وأما من حيث البيان

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢٧٣/١

فهو فرقان ونور وهدى ومبين ويهدي إلى الرشد وآيات بينات، وأما من حيث اليمن والبركة فإنه رحمة وشفاء ومبارك وبشري ويبشر المؤمنين.

واشتهر من هذه الألقاب وخلص للasmia للدلالة على الأعلام ثلاثة أسماء " الكتاب والقرآن والفرقان" ، ومع ترافق هذه الأسماء في الدلالة على آيات الذكر الكريم، فلكل منها دلالته الخاصة. ففي تسميته بالكتاب دلالة على جمعه في السطور؛ لأن الكتابة جمع للحراف ورسم للألفاظ.

"كتب الكتاب" : معروف والجمع كتب وكتب. كتب الشيء يكتبه كتاباً وكتابة ، وكتبه خطه ؛ قال أبو النجم :

أقبلت من عند زياد كالخرف ،
تحط رجلاً بخط مختلف ،
تكتبان في الطريق لام ألف.

... والكتاب اسم لما كتب مجموعاً ؛ ... والكتاب: الفرض والحكم والقدر ، قال الجعدي:
يا ابنة عمي كتاب الله أخرجنى عنكم وهل أمنعن الله ما فعل؟^(١)

فلفظ "الكتاب" اسم للقرآن الكريم يحمل معاني الكتابة والجمع والتوثيق والإحکام، وما يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رِبَّ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُسَكِّنِ﴾ (البقرة: ٢) قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ يَكَانَ اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (البقرة: ١٧٦) قوله تعالى : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (آل عمران: ٣) قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحَكَّمَاتٍ هُنَّ أَمْ الْكِتَابُ﴾ (آل عمران: ٧) قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتُحْكِمَ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا أَرَكَ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥) قوله تعالى : ﴿وَمَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) قوله تعالى : ﴿الرِّئَاطُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمُ﴾ (يونس: ١) قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتَبْيَأَ لَهُمُ الَّذِي اخْلَفُوا فِيهِ﴾ (النحل: ٤) قوله تعالى : ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الاسراء: ٥٨) قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣)

(١) لسان العرب: مادة (كتب) ٢٣/١٢

وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات الكريمة التي تشتمل على لفظ "الكتاب" الذي يدل على معاني الكتابة والجمع والتوثيق والإحکام، وقد يرد الكتاب في القرآن الكريم والمقصود فيه إما التوراة ، كما في قوله تعالى : ﴿سَبَدَ فِرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (البقرة: ١٠١)، وإما القرآن ؛ لأن الذين كفروا بالنبي صلی الله عليه وسلم قد نبذوا التوراة.

أما لفظ "القرآن" ف يأتي اسمًا يحمل معنى القراءة والترتيل، "كما أن في تسميته بالقرآن ينبع إلى حفظه في الصدور، لأن القرآن مصدر القراءة، وفي القراءة استذكار . فهذا الوحي العربي المبين قد كتب له من العناية به ما كفل صيانته في حرز حرizz، وما جعله بنجوة من خوض العابثين وتلاعيب المحرفين: إذ لم ينقل كجميع الكتب بالكتابة وحدها ولا بالحفظ وحده، بل وافتكت كتابته توادر إسناده ، ووافق إسناده المتواتر نقله الأمين الدقيق^(١).

وقد اختلف في أصله: " وأما القرآن فقد اختلفوا فيه؛ فقيل : هو اسم غير مشتق من شيء؛ بل هو اسم خاص بكلام الله ؛ وقيل : مشتق من القرى ، وهو الجمع ، ومنه قرئت الماء في الحوض أي جمعته^(٢).

وقيل سمي القرآن قرآنًا ؛ لأنه جمع السور بعضها إلى بعض ، وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعانٍ ، كما قال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ٣٨) وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه فسمى بذلك لقرآن السور والآيات والحرروف فيه ، ومنه قيل: للجمع بين الحج والعمرة قران.

وقيل : سمي قرآنًا لأن القراءة عنه والتلاوة منه؛ وقد قرئت بعضها عن بعض . ومما يروى عن الإمام الشافعي - رحمه الله - ما ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمته للشافعي قال : " وقرأت القرآن على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول : القرآن اسم وليس مهموزاً ، ولم يؤخذ من " قرأت" ؛ ولو أخذ من " قرأت" كان كل ما قرئ قرآنًا ولكنه اسم للقرآن؛ مثل التوراة والإنجيل، يهمز قرأت، ولا يهمز القرآن^(٣). فالإمام الشافعي - رحمه الله - يرى أنه غير مشتق وأنه اسم خاص على كتاب الله مثل التوراة والإنجيل.

(١) مباحث في علوم القرآن: ١٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٧٧/١.

(٣) البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٦٢/٢.

والذي يميل إليه الباحث أن القرآن اسم مشتق من القراءة بمعنى الترتيل بصوت مسموع ، أما تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (القيامة: ١٧) "أي جمعه في قلبك حفظاً ، وعلى لسانك تلاوة ، وفي سمعك فهماً وعلمًا^(١) .

ولأن "القرآن" يحمل معنى القراءة والترتيل لم يرد ذكره إلا مصاحباً لما يفيد السماع ، ويدل على الترتيل ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَرَسَّلَ الْقُرْآنَ تُرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤)

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (النحل: ٩٨)

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة: ١٨)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥)

وقوله تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَا لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ (الإسراء: ١٠)

وقوله تعالى : ﴿وَأَمْرَتُ أَنْ تُكَوَّنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تُنْلَوَ الْقُرْآنُ﴾ (النمل: ٩٢، ٩١)

وقوله تعالى : ﴿فَاقْرُأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ (المزمل: ٢٠)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (الإشراق: ٢١)

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تُلْوِيهِ مِنْ قُرْآنٍ﴾ (يونس: ٦١)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا صَرَقْنَا إِلَيْكَ تَقَرَّ مِنَ الْجِنِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (الأحقاف: ٢٩)

وقد ارتبط ورود القرآن بطلب السماع له والإنصات إليه ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِدُوا لَهُ وَأَصْبِرُوا﴾ (الأعراف: ٤)

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لَهُ مَا قُرْآنٌ﴾ (فصلت: ٢٦)

وقوله تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْمَعَنِي مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجِيبًا﴾ (الجن: ١)

وهذا كله يدل على أن المراد به الألفاظ المقرولة والتلاوة المسومة والأصوات المنطقية ، فهي وحدها التي يتلقى فيها السماع والإنصات وتحتفق فيها القراءة والترتيل .^(٢) وقد وصف القرآن بأنه عربي غير أجمي ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٧٨/١.

(٢) أسرار الترداد في القرآن الكريم: ٨٥.

عَرِبَيَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (يوسف: ٢)، قوله تعالى : «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرِبَيَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (الزخرف: ٣)

وقوله تعالى : «وَكَذَلِكَ أُوحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرِبَيَا لِتَذَرَّأَ مَقْرُرًا» (الشورى: ٧)

وقوله تعالى : «فَرَأَنَا عَرِبَيَا غَيْرَ ذِي عِوْجَ لِتَلَمِّسِهِ سَعُونَ» (الزمر: ٢٨)

وقوله تعالى : «كَذَابٌ فَصَلَّتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرِبَيَا لَقَوْمٍ يَلْعَمُونَ» (فصلت: ٣)

وقوله تعالى : «وَكَذَلِكَ أُنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرِبَيَا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ» (طه: ١٣)

وقوله تعالى : «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَيْنَا لَهَا لَوْلَا فَصَلَّتْ آيَاتُهُ» (فصلت: ٤)

فأصوات القرآن الكريم إنما هي الأصوات المنطقية نظراً عربياً خالصاً ، أما معانيه وأحكامه وقصصه وعظاته، لا يقال فيها عربي غير أجمي.

أما لفظ "الفرقان" فيدل على البيان الفاصل والحججة الواضحة، وقد جاء في لسان العرب: "الفرق": تفريق ما بين الشيئين حين يتفرقان. والفرق: الفصل بين الشيئين... والفرقان: القرآن. وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان ، ولهذا قال الله تعالى : «وَلَقَدْ أَنْذَنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ» (الأنياء: ٤٨)... والفرقان: الحجة . والفرقان: النصر. وفي التنزيل : «وَمَا أُنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ» (الأنفال: ٤١)، وهو يوم بدر لأن الله أظهر من نصره ما كان بين الحق والباطل ...^(١).

فقد سمي يوم بدر فرقاناً، لأنه كان فاصلاً بين عهدين ، وجاء بمعنى الحجة الواضحة

في قوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِنْسَانًا مِّنْنَا اللَّهَ يَحْكُمُ لَكُمْ فُرْقَانًا» (الأنفال: ٢٩)

وقوله تعالى : «إِنَّمَا الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان: ١)

وقوله تعالى : «وَنَزَّلَ الْوُرَأَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ النَّاسِ وَنَزَّلَ الْفُرْقَانَ» (آل عمران: ٤)

وقوله تعالى : «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ وَبُشِّرَاتٍ مِّنَ الْهَدَىٰ وَالْفُرْقَانِ» (البقرة: ١٨٥)

فالقرآن الكريم فرقان؛ لأنه نذير وهدى، وضع حد فاصلاً بين الحق والباطل .

وبهذا يمكن القول إن كل اسم من أسماء القرآن (الكتاب والقرآن والفرقان) له دلالة خاصة، "فحين يراد الدلالة على أنه حق موثق وصدق حكم لا ريب فيه يسميه (كتاباً)، وحين يدعو إلى تلاوته والإنصات إليه وتأكيد عروبة ألفاظه يسميه (قرآن)، وحين يوجه العقول إلى معانيه وبراهينه ويدعوهم إلى هديته يسميه (فرقاناً) وإذا تأملت هذه الدلالات

(١) لسان العرب: مادة (فرق)، ٢٤٥/١٠.

جميعها في أسمائه الثلاثة خرجت بمفهوم متكامل لا يتجزأ فهو (كتاب قرآن فرقان) لا ينفصل معنى الآخر عن مفهومه المتكامل^(١).

فالقرآن الكريم كتاب محفوظ لن يطأ عليه التحريف والتبدل، وهو قرآن ألفاظه عربية، وأصواته مسموعة من مخارج محددة وفقاً لأحكام ثابتة، وهو فرقان يفرق ويفصل بين الحق والباطل ، وفي هذا كله دعوة للتبرير والتأمل في معانيه، وصدق الله تعالى حين يقول : ﴿أَقْلَمَيْدَبُرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (محمد: ٢٤)

اللفظان (أحمد ... ومحمد) :

ورد الأسمان (أحمد ومحمد) في القرآن الكريم، وهم أسمان للنبي عليه الصلاة والسلام.

والاسمان مشتقان من مادة "حمد" ، و "الحمد": نقىض الذم، ويقال : حمدَه على فعله، ومنه المَحْمَدَة خلاف المذمَّة... والحميد: من صفات الله تعالى وتقديس بمعنى المحمود على كل حال، وهو من الأسماء الحسنة فعلى بمعنى محمود... ومحمد وأحمد :من أسماء سيدنا المصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمحمد الذي كثرت خصاله المحمودة؛ قال الأعشى :

إِلَيْكَ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ، كَانَ كَلَّاهَا
إِلَى الْمَاجِدِ الْقَرْمِ الْجَوَادِ الْمُحَمَّدِ^(٢)

فالاسمان (أحمد ومحمد) يشتركان في الدلالة على صفتني الحمد والثناء على طريق المبالغة والتکثير.

فأحمد يفيد المبالغة في حمد الفاعل على طريق التفضيل، فأحمد اسم تفضيل، فهو أحمد وغيره حامد.

ومحمد يفيد المبالغة في حمد المفعول على طريق التضليل الذي يفيد التكرار والتکثير، فهو محمد وغيره محمود^(٣).

(١) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٨٧.

(٢) لسان العرب: مادة (حمد) ٣١٦/٣.

(٣) أسرار الترادف في القرآن الكريم: ٨٨.

وقد ورد الاسم (أحمد) مرة واحدة في كتاب الله عز وجل ، في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَ مِنَ التُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَاتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرُ مِنْهُ﴾ (الصف: ٦)

" فأحمد إشارة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - باسمه و فعله تنبئها أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله، و خص لفظة أحمد فيما يشَّرَّ به عيسى - عليه السلام - تنبئها أنه أحمَّد منه ومن الذين قبله" (١).
فأحمد جاء اسمًا للنبي - صلى الله عليه وسلم - في بشارة سيدنا عيسى عليه السلام به، فهو أحمَد الناس ورسل الله له، والحمد فيه فطرة، والحمد له غاية ، فهو رسول الله المفطور على الحمد المستحق له.

أما الاسم (محمد) فقد ورد أربع مرات في كتاب الله عز وجل، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٤)

وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدًا أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَامِيَ النَّبِيِّنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)

وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَا وَعِلْمًا الصَّالِحَاتِ وَآتَيْنَا يَمَانَتَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: ٢)

وقوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بِنَاهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)

يبدو من خلال الآيات الكريمة أن الاسم (محمد) أطلق على النبي - صلى الله عليه وسلم - في حياته بين أصحابه ومع قومه، والمقام في هذه الآيات جميـعاً مقام تكريم وثناء، فالحمد يناسب مقامه صلى الله عليه وسلم.

وبهذا فإن ورود الاسمين (أحمد و محمد) للنبي - صلى الله عليه وسلم - متناسب مع مقامه، فهو أحمَد في بشارة سيدنا عيسى - عليه السلام - وجاء بصيغة أفعال التفضيل دلالة على المبالغة في الحمد، وقد يكون أحمَد علماً منقولاً من المضارع للمتكلِّم، فهو أحمَد بفطرته. وما يجدر ذكره ما ورد في تفسير البحر المحيط بأن كل نبي بشَّرَ قومه بالنبي - صلى الله عليه وسلم - : "بشر كل نبي قومه بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - والله أفرد عيسى بالذكر في هذا الموضع لأنَّه آخر نبي قبل نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فبيَّنَ أنَّ البشارة به عمَّت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام" (٢).

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١٤٧.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١٤٧.

كما أنه -صلى الله عليه وسلم- محمد ب حياته و سيرته، ومحمد يفيد المبالغة في حمد المفعول على طريق التضييف.

وأحمد و محمد درجتان في الحمد لم يبلغهما سواه -صلى الله عليه وسلم- فهو أحمد الناس الله ، وهو المحمد من الله دون غيره من الناس.

الألفاظ (المسيح ... و عيسى ... و ابن مريم) :

ثلاثة أسماء لسيدنا عيسى - عليه السلام - وردت في القرآن الكريم في مواضع عدّة، أحياناً ترد متفرقة و مجتمعة في أحيان أخرى، وكل اسم من هذه الأسماء دلالته الخاصة.

فال المسيح لقب عيسى بن مريم - عليه السلام - أو اسمه. قال تعالى : ﴿إِذَا قَاتَلَ الْمُلْكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشَرِّكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُغَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: ٤٥) والمسح: إمرار اليد على الشيء، وإزالة الأثر عنه، كمسح الرأس من الماء والجبيين من الرشح.

وال المسيح لفظة في صفة النبي الله وكلمته عيسى عليه السلام، وفي صفة عدو الله الدجال، وقد قيل الكثير في سبب إطلاق لقب المسيح على سيدنا عيسى عليه السلام وعلى عدو الله الدجال، ولكن الراغب الأصفهاني يذكر بعضاً من ذلك، فيقول :

"... وقيل سمي الدجال مسيحاً لأنّه ممسوح أحد شيء وجهه وهو أنه روي أنه لا عين له ولا حاجب ، وقيل سمي عيسى عليه السلام مسيحاً لكونه ماسحاً في الأرض أي ذاهباً فيها وذلك أنه كان في زمانه قوم يسمون المشائين والسياحين لسيرهم في الأرض، وقيل سمي به لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ وقيل سمي بذلك لأنّه خرج من بطن أمّه ممسوها بالدهن^(١)."

فال المسيح لقب لل مدح يحمل معاني الصدق والبركة والطهارة التي عرف بها سيدنا عيسى عليه السلام، فقد كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبراً بإذن الله وقدرته. وقد ورد لقب المسيح إحدى عشرة مرة في كتاب الله عز وجل وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُشَرِّكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٥)

وقوله تعالى : ﴿وَقَوْلَهُمْ إِنَّا قَاتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١٥٧)

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةُ أَنْقَاهَا إِلَيْهِ مَرْيَمُ﴾ (النساء: ١٧١)

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٥٢٢

وقوله تعالى : ﴿لَنْ يُسْتَكِفَ الْمُسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١٧٢)

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧)

وقوله تعالى : ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمُسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧)

وقوله تعالى : ﴿قَالَ الْمُسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ (المائدة: ٧٢)

وقوله تعالى : ﴿مَا الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمٍ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (المائدة: ٧٥)

وقوله تعالى : ﴿وَقَاتَ الْأَصْنَارِيَ الْمُسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبه: ٣٠)

وقوله تعالى : ﴿أَتَحْدُو أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (التوبه: ٣١)

لقد غالى الذين قالوا بألوهية سيدنا عيسى عليه السلام مستدين إلى طهارتة وصدقه والبركة التي عُرف بها وإجراء المعجزات على يديه قالوا: "المسيح ابن الله" ؛ ولأن قولهم كان فاسداً وباطلاً آخر القرآن أن يذكر عيسى عليه السلام بلقبه "المسيح" ردأ عليهم منبهاً إياهم على فساد عقidiتهم ، ومؤكداً على بشريته، ويتبين هذا جلياً من خلال تأمل الآيات الكريمة السابقة.

أما الاسم "عيسى" فهو "اسم أجمي غير منصرف للعجمة والعلمية . وقيل: اشتتقه من العَيْسِ وهو البياض ، والأعْيَسُ : الجمل الأبيض ، وجمعه عِيَسٌ . قيل له عيسى لبياض لونه، وقيل هو من العَوْسِ وهو السياسة، وأصله عَوْسٌ قلب الواو ياءً لكسرة ما قبلها، وقالوا عيساً لأنَّه ساس نفسه بالطاعة، وقلبه بالمحبة، وأمته بالدعوة إلى رب العزة" (١).

وقد ورد الاسم "عيسى" في مواضع أريد فيها الإعلام والتشخيص ، كما في قوله تعالى :

﴿وَمَا أُوتَىٰ مُوسَىٰ وَمَا أُوتَىٰ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: ١٣٦)

﴿فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفَّارَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِيٰ إِلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٢)

﴿إِذَا قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُسَوِّقٌ وَرَأَفِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٥)

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (آل عمران: ٥٩)

﴿وَالْأَسْبَاطُ وَمَا أُوتَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (آل عمران: ٨٤)

﴿وَوَحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأُبُوبٍ﴾ (النساء: ١٦٣)

﴿لَوْرَكِنَا وَبِحُسْنِي وَعَيْسَى وَإِلَيَّا سَكُلْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنعام: ٨٥)

﴿لَوْمَا وَصَنَّا لِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعَيْسَى﴾ (الشورى: ١٣)

﴿لَوْلَا جَاءَ عَيْسَى بِالْتِبَانَاتِ قَالَ قَدْ جَعَلْتُكُمْ بِالْحَكْمَةِ﴾ (الزخرف: ٦٣)

والمتأمل للآيات الكريمة - التي سبق ذكرها - المشتملة على الاسم "عيسى" يجد أن المقامات فيها مقامات رسالة ونبوة يلزم فيها التحديد والتعيين، الذي يؤديه الاسم العلم المشخص للذات، لذا فلم يرد الاسم العلم "عيسى" مسبوقاً باللقب "المسيح" ، أو متبعاً بالكنية "ابن مريم"

وقد ذكر سيدنا عيسى - عليه السلام - بالكنية "ابن مريم" ، وقد كان ذكره بهذه الكنية في مقام بيان المعجزة في ولادته، والتأكيد على بشريته، ونفي ما قيل عن ألوهيته، وذلك في

قوله تعالى : ﴿لَكُمَا صَرَبْتُ أَبْنَرَ يَمْسَلَإِذَا قَوْمُكُمْ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: ٥٧)

ضرب المثل هنا يحمل عبرة في كونه - عيسى - ابن مريم بدون أب ، وفي كونها أمه ولدته بدون اتصال بشري، فالمقام في هذه الآية مقام عبرة وإعجاز وليس مقام تشخيص وإعلام لسيدنا عيسى عليه السلام وأمه مريم.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا أَبْنَ مَرِيمَ وَأَمَّهَ إِيَّاهُ وَأَوْتَاهُمَا إِلَى رُبُودَاتِ قَرَارٍ وَعِينِ﴾ (المؤمنون: ٥٠)

ولهذا قال الله تعالى : ﴿أَيَّهُ﴾ ، ولم يقل : آيتين ، فالآية فيما واحدة؛ لأنها ولدته من غير فحل ، والله سبحانه وتعالى جعل قصتها آية تامة مع تكاثر آيات كل واحد منها.

وعلى هذا يستطيع المتتبع للفارق بين (المسيح وعيسى وابن مريم) أن يستنتج أن لقب "المسيح" ذكر في القرآن الكريم ردأ على أولئك الذين غالوا وقالوا بألوهيته ، منبهأ إياهم على فساد عقidiتهم، ومؤكداً على بشريته.

أما الاسم "عيسى" وهو اسم علم ورد في القرآن الكريم في المقامات التي فيها مقامات الرسالة والنبوة، التي يلزم فيها التحديد والتعيين، الذي يؤديه الاسم العلم المشخص للذات.

أما الكنية "ابن مريم" فذكرت في القرآن الكريم في مقام بيان المعجزة في ولادة سيدنا عيسى عليه السلام، والتأكيد على بشريته، ونفي ما قيل عن ألوهيته.

"أما ذكره بها جمِيعاً (المسيح عيسى ابن مريم) فيأتي في المواقف التي يراد منها التعريف به تعرِيفاً دقيقاً جامعاً لكل معانٍه التي يدل عليها اللقب والعلم والكنية من حيث الأعراض والصفات، والتشخيص والتنصيص، والنسب والإضافات" ^(١).

(١) أسرار الترافق في القرآن الكريم : ٩٢

الألفاظ (يونس .. صاحب الحوت .. ذا النون):

وردت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم أسماء لسيدنا يونس عليه السلام، "الاسم يونس": فيه ثلاثة لغات: ضم نونه وفتحه وكسره، وهو اسم علم أعجمي ممتنع من الصرف، وقيل: مشتق وزنه يفعل من آنس يؤنس إيناساً. بمعنى أبصر، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ رَاهِلَةً آتَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ كَارَآتَ لِأَهْلِهِ أَنْكُثُوا إِتِيَّ آتَسْتَ كَارَا﴾ (القصص: ٢٩)، وقيل: من الآنس ضد الوحشة، سمي به لأنسه بطاعة الله، أو لأنه أبصر رشه في العبادة... ويرى أنه لما التهمه الحوت جعل يسبح الله تعالى في بطنه فقالت ملائكة السماء يا ربنا إنما نسمع صوت عبد معروف من مكان مجهول ، فقال الله تعالى ذاك صوت عبدي يونس قُنْطَ عبادي من رحمتي فأوقعته في ظلمة البحر وبطن الحوت. وكان يonus ينوح على نفسه في جوف الحوت ويقول: إلهي من الجبال أنزلتني، ومن بين العباد أخرجتني ، وفي البحار صيرتني، وفي بطن الحوت حبسوني، وبشوم الزلة ابتليتني، فلو نجيتني من سجنك لأعبدنك عبادة لم يعبدك أحد من العالمين، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧) ^(١)

ومن المعلوم أن "يونس" اسم للعلمية يدل على تعين الذات وتشخيصها، وقد ورد الاسم "يونس" أربع مرات في كتاب الله عز وجل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَيوُسَّ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَأَنْتَنَا دَاؤُدَ رُبُورَا﴾ (النساء: ١٦٣) وقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِيْسَعَ وَيُوسَّ وَلُوكَاتُو وَكَافَضَنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٨٦) قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَاتَ قَرْيَةً أَمْتَتْ فَنَفَعَهَا إِيْنَانَهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوسَّ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْنِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَسَعَنَاهُمْ إِلَى حِينِ﴾ (يونس: ٩٨) وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يُوسَّ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصفات: ١٣٩).

إن المتأمل لهذه الآيات الكريمة يدرك أنها تدور حول التعريف بالذات الذي يؤديه الاسم العلم، ولم يقصد فيها إلى بيان صفة زائدة عليها.

أما تسميته باللقب فجاءت في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رِبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوْتِ إِذْ تَادِي

وَهُوَ مَكْلُومٌ﴾ (القلم: ٤٨)

(١) بصائر ذوي التمييز: ٥٣/٦-٥٤.

وفي قوله تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْهَبَ مُعَاضِبًا فَظَنَ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنياء: ٨٧)

ولأن المقام في الآيتين لم يهدف إلى تحديد ذات وتشخيص علم، بل كان يهدف إلى إبراز صفة، فاستدعاى التعبير فيما باللقب دون الاسم العلم.

فالآياتتان الكريمتان تذكران حادثة وقعت لسيدنا يونس عليه السلام، تم ذكرها سابقاً، ومنها اكتسب هذين اللقبين (صاحب الحوت.. ذا التون) .

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا اختفت صيغتا اللقبين؟

ف"صاحب" و"ذا" مترادافان بمعنى واحد كما تذكر كتب اللغة. و"الحوت" و"التون" مترادافان بمعنى واحد كما تذكر كتب اللغة أيضاً، وقيل إن التون: من أسماء الحوت.

ولماذا قال صاحب الحوت ، ولم يقل صاحب التون، وقال ذا التون ولم يقل ذا الحوت؟

لقد حاول بعض العلماء كشف الأسرار وراء اختلاف الصيغتين، ومن هؤلاء أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١ھـ) الذي وقف متأنلاً محاولاً تلمس الفرق بينهما: "والإضافة لـ"ذى" أشرف من الإضافة لصاحب، لأن: قوله: "ذو" يضاف إلى التابع، و"صاحب" يضاف إلى المتبوع، تقول: أبو هريرة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تقول: النبي صاحب أبي هريرة إلا على جهة ما، وأما "ذو" فإنك تقول فيها: ذو المال، ذو العرش، فتجد الاسم الأول متبعاً غير تابع، ولذلك سميت أقیال حمير بالأذواء، نحو قولهم: ذو جَنَّ، ذو يَزَنَ، في الإسلام أيضاً: ذو العين، ذو الشهادتين، ذو السمакين، ذو اليدين، وهذا كله تفخيم للشيء، وليس ذلك في لفظة "صاحب" وبني على السمакين، ذو اليدين، هذا كله تفخيم للشيء، وليس ذلك في لفظة "صاحب" وبنى على هذا الفرق أنه سبحانه قال في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا التُّونَ﴾، فأضافه إلى "التون" وهو الحوت، وقال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ مَّصَاحِبَ الْمُؤْمِنِ﴾، قال : والمعنى واحد، لكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالتين، وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنه ذكر في موضع الثناء عليه ذو التون، ولم يقل صاحب التون، لأن الإضافة بـ"ـذى" أشرف من صاحب، ولننظر التون أشرف من الحوت، لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء أوائل السور ، وليس في اللفظ الآخر ما يشرقه لذلك فالتفت إلى تنزيل الكلام في الآيتين يلح لك ما أشرنا إليه في هذا الغرض، فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب ومفترض^(١)

لقد أرجع السهيلي اختلاف اللفظ إلى اختلاف المقام، إلا أن تفسيره غير مقنع في بيان أسباب هذا الاختلاف، فعزل اللفظ عن مقامه وسياقه لا يمنحه الشرف والاستقامة لذاته، وإنما يكتسب اللفظ الشرف، إذا استقام مع سياقه دون إفراط أو قصور.

وللتدليل على ذلك لابد من عرض المعاني التي يحملها اللفظ "ذو" كما وردت في الدليل اللغوي العام: "ترد "ذو" اسمًا موصولاً، وتترد من الأسماء الخمسة، وتترد بمعانٍ أخرى تفهم من السياق، ومثناها ذوا وجمعها ذوون. وتترد ذو:

١- اسمًا يتوصل به إلى الوصف بالأجناس، وتلازم الإضافة أبدًا للاسم الظاهر، وتعرب إعراب الأسماء الخمسة، ولها معانٍ:

أ. بمعنى "صاحب"، مثل: "على ذو فضل" ، و"قارون ذو مال"

ب. بمعنى "وقت"، مثل: "أتته ذا صباح" و"ذا مساء" أي وقتهما.

٢- وتترد أحياناً، اسمًا موصولاً مبنياً على السكون، بمعنى الذي، للمفرد المذكر عاقلاً وغير عاقل، مثل : "وبئري ذو حرفت ذو طويت" و "حضر ذو غاب" و "ذو غاباً" و "ذو غابوا" ، و "ذو غين". ولم يستعملها بهذا المعنى إلا قبيلة طيء، وقد هجرها الاستعمال الحديث.

٣- وتترد بمعانٍ أخرى تفهم من السياق، مثل:

أ. " جاء من ذي نفسه" أي: طيباً.

ب. " طعنه فخرج ذو بطنه" ، أي: أمعاؤه... .

٤- وتدخل ذو ألقاب الملوك، مثل: "ذو يزن" ، و"ذو الطّلَاع" وجمعها: أدواء، ذوون".^(١)
وعلى هذا فاللفظ "ذو" يأتي للدلالة على الصفات الثابتة، فعند قوله: "على ذو فضل"
يدل على أن النسبة فيه لا تتفاوت والصفة لا تفارق، فهو ذو فضل على معنى التلازم والدائم.
ومن ذلك مجده في الدلالة على صفات الله عز وجل، "ذو الفضل العظيم" ، "ذو الرحمة" ، "ذو العرش" ، "ذو القوة المتين" ، "ذو العرش المجيد" ، "ذو الجلال والإكرام" ...
بناء على ما تقدم بنى المفسرون رأيهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتِّذَا قُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمُسْكِنُ وَابْنَ

السَّيْلِ وَلَا يَبْدِرُ بَذِيرًا﴾ (الاسراء: ٢٦)

قالوا: قال "ذا القربي" للدلالة على أن هذا حق ثابت غير متعدد، وقال "المسكين"
ولم يقل "ذا مسكنة"، لأن المسكنة ليست ثابتة وتتغير وتتجدد.

(١) فياض، سليمان: الدليل اللغوي العام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، ص

وقيل " إن القرابة إذا كانوا محارم فقراء عاجزين عن التكسب، وهو موسر حقهم أن ينفق عليهم، وعن الشافعي ينفق على الولد والوالدين فحسب" ^(١)

فهذا يدل على أن حقهم ثابت غير متعدد، لأن إضافة "ذا" إلى "القربي" يحمل معنى التلازم والدوام، وهكذا في قوله : ذا النون"

" وهذا عكس الإضافة في " صاحب" التي تدل على النسب المتغيرة والمعاني المتتجدة حالاً بعد حال، والتلازم في " صاحب" تلازم معية ومصاحبة تفارق وتختلف، وهو مأخوذ من الصحبة، يقال: صحبه وصاحبه أي لازمه ملزمة صحبة ومخالطة معية، تفيد المطاوعة والانقياد.. وأنشد ابن الأعرابي:

يا ابن شهاب لستَ لي بِصَاحِبٍ
معَ الْمُمَارِيِّ وَمَعَ الْمُصَاحِبِ

وفسر المماري بالمخالف ، والمصاحب بالمنقاد ^(٢)

وفي ضوء ما سبق يتبين الفرق بين " ذو" و " صاحب" .

فلفظ " ذو" يحمل معاني التلازم والثبات والدوام.

و " صاحب" يحمل معاني النسب المتغيرة والمتتجدة، ومعاني المصاحبة والانقياد. ويؤكد هذه المعاني السابقة قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا شُرُكَاءَ لَهُ شَيْءٌ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَإِلَيْتَمَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنَ السَّيِّلِ ﴾ (النساء: ٣٦)، " فَذِي القربي" كل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم غيرهما، وهذا يحمل علاقات النسب التي تفيد الثبات والدوام والتلازم.

أما الجار الجنب فهو الأجنبي، والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك، إما رفيقاً في سفر، وإما جاراً ملاصقاً، وإما شريكاً في تعلم علم أو حرفة، وإما قاعداً إلى جنبك في مجلس أو مسجد أو غير ذلك ، من أدنى صحبة التأمة بينك وبينه ^(٣).

وهذه العلاقات " المصاحبة والجوار" تتغير وتتجدد، ولا تتسم بالثبات والدوام.

ويفرق الدكتور علي اليمني دريير بين لفظي "النون" و "الحوت" ، فال الأول منها أخلص للعلمية المجردة للتشخيص فلا ملمح فيه لوصف زائد على الذات، بينما يدل الثاني

(١) تفسير البحر المحيط: ٢٧/٦.

(٢) أسرار الترافق في القرآن الكريم: ٦٩.

(٣) تفسير الكشاف: ٤٩٩/١.

"الحوت" على الصفة مع دلالته على الذات .. دلالة "النون" دلالة اسمية خالصة للتشخيص، ودلالة "الحوت" دلالة وصفية تستحضر في الذهن صورة الذات وتبرز صفاتها^(١) وما يؤيد ذلك المعنى اللغوي لكل من "النون" و "الحوت" في معاجم اللغة، فقد جاء في لسان العرب: "النون: الحوت، والجمع أنوان ونبيان... والنونة: النقبة في ذقن الصبي الصغير... وقالوا: النونة السمكة... وذو النون: لقب يونس بن متى، على نبينا عليه أفضـل الصلاة والسلام".^(٢)

أما "الحوت" فهو "السمكة" ... والجمع أحوات وحيتان.. وحات الطائر على الشيء يحـوت أي حـامـه.. والـحوـتـاءـ من النساء الضخمةـ الخـاصـرـتينـ، المـسـترـخـيةـ اللـحـمـ.^(٣) وقد جاء "ذا" مضافـاـ إلى "الـنـونـ" لما يـحملـانـ من دـلـالـاتـ التـشـخـصـ الـتـيـ تـقـيـدـ معـنـىـ التـلـازـمـ وـالـدوـامـ.

وأضيف "صاحب" إلى "الـحوـتـ" لـدـلـالـةـ كـلـ مـنـهـماـ عـلـىـ الـوـصـفـ الـمـفـارـقـ وـالـمـتـغـيرـ الـزـائـدـ عـلـىـ الذـاتـ.

وللتوضـحـ الفـروـقـ أكـثـرـ لـابـدـ مـنـ تـبـعـ السـيـاقـ الـقـرـآنـيـ الـذـيـ وـرـدـ فـيـهـ كـلـ لـفـظـ، فـقدـ جـاءـ "ذاـ النـونـ"ـ فـيـ سـيـاقـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَوْحـاـ إـذـنـادـيـ مـنـ قـبـلـ فـاسـجـبـنـاـ لـهـ فـنـجـيـنـاـهـ وـأـهـلـهـ مـنـ الـكـرـبـ الـعـظـيمـ﴾ (الـأـنـبـيـاءـ: ٧٦ـ)ـ وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَلـكـلـ شـيـءـ إـلـيـ الـأـرـضـ الـتـيـ بـارـكـاـ فـيـهـ وـكـلـ شـيـءـ عـالـمـينـ﴾ (الـأـنـبـيـاءـ: ٨١ـ)ـ وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَأـوـبـ إـذـنـادـيـ رـبـهـ أـيـ مـسـئـيـ الـصـرـ وـأـتـ أـرـحـمـ الـأـحـمـينـ﴾ فـاسـجـبـنـاـ لـهـ فـكـشـفـنـاـ مـاـ بـهـ مـنـ صـرـ وـأـتـنـاهـ أـهـلـهـ وـمـلـمـ مـعـهـمـ رـحـمـةـ مـنـ عـنـدـنـاـ وـذـكـرـيـ الـعـابـدـينـ وـإـسـمـاعـيلـ وـإـدـرـيسـ وـذـاـ الـكـهـلـ كـلـ مـنـ الصـابـرـينـ﴾ (الـأـنـبـيـاءـ: ٨٣ـ، ٨٤ـ، ٨٥ـ)

وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وـذـاـ الـنـونـ إـذـ دـهـبـ مـعـاـضـبـاـ فـظـنـ أـنـ لـنـ تـقـدـرـ عـلـيـهـ قـنـادـيـ فـيـ الـظـلـمـاتـ أـنـ لـإـلـهـ إـلـأـنـتـ سـبـحـاـتـكـ إـيـ كـتـ مـنـ الـطـالـلـيـنـ﴾ فـاسـجـبـنـاـ لـهـ فـنـجـيـنـاـهـ مـنـ الـقـمـ وـكـلـكـ شـجـيـ الـمـؤـمـينـ﴾ (الـأـنـبـيـاءـ: ٨٧ـ، ٨٨ـ)

ويـتـضـحـ منـ سـيـاقـ الـآـيـاتـ الـكـرـيمـةـ السـابـقـةـ أـنـ هـيـبـينـ مـوقـفـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ مـنـ أـنـبـيـائـهـ، وـهـوـ مـوقـفـ تـنـضـحـ فـيـ النـعـمـةـ، وـهـذـاـ المـوقـفـ يـقـومـ عـلـىـ أـسـاسـ مـنـ الـثـباتـ وـالـاسـتـمـارـ وـالـدوـامـ، وـالـنـسـبةـ فـيـهـ لـاـ تـنـفـكـ ، وـالـصـفـةـ لـاـ تـفـارـقـ، وـهـذـاـ مـاـ مـنـحـ التـعبـيرـ "ـذـاـ الـنـونـ"ـ أـفـضـلـيـةـ وـمـنـاسـبـةـ لـلـسـيـاقـ.

(١) أسرار الترافق في القرآن الكريم: ٩٧ .

(٢) لسان العرب: مادة (نون) ٢٤٠ / ١٤

(٣) لسان العرب: مادة (حـوتـ) ٣٧٧/٣

أما لفظ "صاحب الحوت" فقد جاء في سياق قوله تعالى: ﴿فَاصْرِلْحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْلُومٌ ۝ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نَعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَتَبَيَّنَ لِلْعَرَاءِ وَهُوَ مَدْمُومٌ ۝ فَاجْبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القلم: ٤٨، ٤٩، ٥٠)

يكشف هذا السياق القرآني عن نصح موجه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالصبر على ما حمله الله من أعباء الدعوة، واستخدم أسلوب النهي: " ولا تكن كصاحب الحوت" الذي يتضمن التحذير من الوقوع في كرب مثل كرب يونس - عليه السلام - حيث ضجر من تكذيب قومه، وأن حالة الضجر ليست ثابتة فقد كان التعبير بلفظ "صاحب الحوت" أقدر على تمثيلها، حتى يستشعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الضجر المنهي عنه، والذي أودى بسيدنا يونس عليه السلام إلى بطن الحوت مصاحباً إياه في معظم الأحوال. ومما يدلل على أن حالة الضجر لم تكن ثابتة، أن الله سبحانه وتعالى اجتباه وجعله من الصالحين، وقد رد الله إلى يونس - عليه السلام - الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه. من كل ما سبق يمكن القول بوجود فروق ذات دلالة بين الأسماء "يونس... صاحب الحوت.. ذا النون" .

فالاسم "يونس" اسم للعلمية يدل على تعين الذات وتشخيصها. و"صاحب الحوت" يدل على الوصف المفارق والمتغير الزائد على الذات. و"ذا النون" يدل على الصفات الثابتة التي تفيد التلازم والدوم، ويحمل دلالات التشخيص.

اللقطان (البحر .. اليم) :

وردا في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أُوحِيَنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أُنْذِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَضْرِبْلَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسِّلَ الْحَافِدَرَ كَمَا لَا تَخْشَى ۝ فَأَكْثَرُهُمْ فَرَّغُونَ بِجُنُودِهِ فَعَشَّهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا عَشَّهُمْ﴾ (طه: ٧٧، ٧٨)

في قوله تعالى عدول عن لفظ "البحر" إلى لفظ اليم، والمراد بالبحر في الآية الأولى عينه المراد باليم في الآية الثانية، ولكن ما هو وجه المخالفة بينهما في السياق القرآني؟ جاء في لسان العرب: "البحر": الماء الكثير، ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه... ويسمى الفرس الواسع الجري بحراً... وبحررت أذن الناقلة

بحراً: شقتها وخرقتها... استبحر الرجل في العلم والمال وتبحر: اتسع وكثُر ماله. وتبحر في العلم: اتسع .. والبحر: الرجل الكريم الكثير المعروف.. والبَحْرَة الفجوة من الأرض تتسع^(١). فأصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير.

أما "اليم" فهو : "...يقع اسم اليم على ما كان مأوه ملحاً زُعاً، وعلى النهر الكبير العذب الماء... ويم الرجل، فهو ميموم إذا طرح في البحر... ويم الساحل يمَا: غطاء اليم وطما عليه فغلب عليه...، وقيل: اليم لا يثنى ولا يكسر ولا يجمع جمع السلامة وزعم بعضهم أنها لغة سريانية فعرّبته العرب^(٢).

وفي مفردات الراغب الأصفهاني: "... ويممت كذا وتممته : قصته... وتممته برمحي: قصته دون غيره^(٣).

فاليم يحمل معاني العمق والطرح والقهر والقصد.

في ضوء ذلك يمكن القول بأن اللفظين (البحر واليم) يتقابنان في المعنى، إلا أن كل لفظ ينفرد بدلالة التي يتمايز بها عن الآخر، في بينما يحمل اللفظ الأول معاني السعة أو الشق، يرد اللفظ الآخر حاملاً معاني العمق والطرح والقهر والقصد.

وقد وردت مادة (بحر) ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة، وبتأمل سياقات تلك المواطن التي وردت فيها مادة (بحر) ومشتقاتها، يتضح أنها تدور، في أغلبها، حول النعم التي أسبغها الله تعالى على الإنسان.

من ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا لَكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْيَنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَآتَيْنَا نَظَرُونَ﴾

(البقرة: ٥٠)

وقوله تعالى : ﴿وَالْفَلَكُ الَّتِي يَسْجُرُ فِي الْبَحْرِ إِذَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ (البقرة: ٦٤)

وقوله تعالى : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صِدْرُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَاعَالَكُمْ وَلِلْسَّيَّارَةِ﴾ (المائدة: ٩٦)

وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرِّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (يونس: ٢٢)

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي سَحَرَ الْبَحْرَ لَكُمْ كَوَافِئَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٤)

وقوله تعالى : ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْعَوْنَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (الإسراء: ٦٦)

(١) لسان العرب: مادة (بحر) ٣٢٣/١.

(٢) لسان العرب: مادة (يم) ٤٥٦/١٥.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٦١٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَكُمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْتُاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الإسراء: ٧٠)

أما لفظ "اليم" فقد ورد ثمانى مرات في كتاب الله عز وجل، كلها في سياق قصة سيدنا موسى -عليه السلام- كان اليم في خمس منها أدلة نعمة ووسيلة هلاك، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَانْقَسَّمَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ يَا أَهْمَمْ كَذَبُوا إِيمَانَنَا﴾ (الأعراف: ١٣٦)

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْذَتَاهُ وَجَنُودَهُ فَنَبَذَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ (القصص: ٤٠)، الذاريات: ٤٠

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَهْكَ الذِّي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِرًا كَا لَعْرَقَتْهُمْ لَتَنْسِقَنَهُ فِي الْيَمِّ سَفَّا﴾ (طه: ٩٧)

وقوله تعالى: ﴿فَأَبْعَثْهُمْ فَرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَعَشَّهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّهُمْ﴾ (طه: ٧٨)

أما الثلاث الأخرى فـ وردت في خطاب أم موسى -عليه السلام- في آيتين هما قوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفْهُ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفْهُ فِي الْيَمِّ فَلَيَأْتِيهِ الْيَمِّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّهُ وَلَقِيتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِي وَلَنْصَنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)

وقوله تعالى: ﴿فَلَدَّا خَفَّتْ عَلَيْهِ فَلَقَيْهِ فِي الْيَمِّ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ (القصص: ٧)

فاليم وسيلة هلاك وأدلة انتقام في خمس الآيات الأولى، بينما كان اليم المـهـلك في العادة وسيلة نجاة لـ سيدنا موسى عليه السلام.

والمنتبـع للآيات القرآنية التي ورد فيها لـفـظـ الـبـحـرـ يـجـدـ أنـ لـفـظـ الـبـحـرـ قد تـوارـدـ معـ الأـفـاظـ لمـ تـوارـدـ معـ "الـيمـ"ـ فقد تـوارـدـ معـ الـبـحـرــ الأـفـاظــ،ـ مـثـلــ (ـالـإنـجـاءـ،ـ وـالـنـفـعـ،ـ وـالـصـيدـ،ـ وـالـطـعـامـ،ـ وـالـمـتـاعـ،ـ وـالـأـكـلـ،ـ وـالـفـضـلـ،ـ وـالـتـكـرـيمـ،ـ وـالـاـهـتـدـاءـ،ـ وـالـتـسـخـيرـ،ـ وـالـنـعـمـةـ،ـ وـالـعـمـلـ)،ـ بينما تـوارـدـ معـ الـيمــ الأـفـاظــ،ـ مـثـلــ (ـالـانـقـاطـ،ـ وـالـإـغـراقـ،ـ وـالـنـبـذـ،ـ وـالـنـسـفـ،ـ وـالـإـلـقاءـ،ـ وـالـقـذـفـ).ـ

وفي الاختلاف الواضح بين ما تـوارـدـ معـ كلـ لـفـظـ منـ الـأـفـاظــ الـتـيـ سـبـقـ ذـكـرـهـ دـلـيلـ قـويـ علىـ وجودـ فـروـقـ دقـيقـةـ بـيـنـ لـفـظـيـ (ـالـبـحـرــ وـالـيمــ).ـ

وبالرجـوعـ إلىـ قولـهـ تـعـالـىـ:ـ ﴿وَلَدَّ أُوحِيَنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِيَ بِعَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسَّاً لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَحْسَنِي﴾ـ فـأـبـعـثـهـمـ فـرـعـونـ بـجـنـودـهـ فـعـشـّهـمـ مـنـ الـيمــ مـاـ غـشـّهـمـ﴾ـ (ـطـهـ:ـ ٧٧ـ،ـ ٧٨ـ)

فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ أـمـرـ سـيـدـنـاـ مـوـسـىـ،ـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـنـ يـجـعـلـ طـرـيقـاـ فـيـ الـبـحـرــ،ـ لاـ يـخـافـ أـنـ يـدـرـكـهـ فـرـعـونـ وـجـنـودـهـ،ـ فـكـانـ الـبـحـرــ فـيـ الـآـيـةـ الـأـوـلـىـ نـجـاةـ لـسـيـدـنـاـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامــ وـمـعـهـ،ـ بـيـنـمـاـ كـانـ الـيمــ وـسـيـلـةـ لـإـغـراقـ فـرـعـونـ لـجـنـودـهـ،ـ بـتـورـيـطـهـ إـيـاـهـ وـالـتـسـبـبـ فـيـ هـلاـكـهــ،ـ وـقـدـ بـلـغـ مـنـ هـولـ ذـلـكـ الـغـرقــ أـنـ لـاـ يـسـتـطـاعـ وـصـفـهــ.

وقد عبر الإمام الزمخشري عن ذلك بقوله: "ما غشيمهم: من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعنى الكثيرة، أي: غشيم ما لا يعلم كنهه إلا الله. وقرئ: فغشام من اليوم ما غشام . والتغشية: التغطية . وفاعل غشام : إما الله سبحانه. أو ما غشام. أو فرعون، لأنه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم"^(١) لكل ما سبق ذكره، يستطيع الباحث القول بعدم الترافق بين لفظي (البحر واليم).

اللفظان (السنة ... العام):

ورد اللفظان (السنة ، العام) معاً في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا تُوحِّاً إِلَى قَوْمٍ فَلَيَتَ فِيهِمُ الْفَتْنَةُ إِلَّا خَسِينَ عَامًا فَأَخْذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤)

جاء تمييز المستثنى بلفظ "العام" لا بلفظ "السنة" الذي ورد في تمييز المستثنى منه، وكلا اللفظين يدل على معنى الحول. فلماذا خالف الله بين اللفظين في الآية الكريمة؟

يرى بعض المفسرين أن السر هو تحاشي تكرار لفظ "السنة" لأغراض بلاغية، ومن هؤلاء المفسرين الإمام الزمخشري، حيث قال: "إإن قلت: فلم جاء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتهي المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تويه أو نحو ذلك"^(٢)

وهذا الرأي ليس كاملاً، فلو كان الغرض الامتناع عن تكرار لفظ "السنة" لفلي: "فابت فيهم ألف سنة إلا خمسين"، وذلك بحذف تمييز المستثنى مكتفياً بذلك في المستثنى منه.

لعل العدول عن لفظ "السنة" إلى لفظ "العام" في الآية الكريمة راجع إلى خصوصية كل منها في الدلالة على معنى الحول، فلفظ "السنة" أكثر ما يستعمل في الحول الذي فيه الجدب والشدة، بينما لفظ "العام" يستعمل في الحول الذي فيه الخصب والرخاء.

ولبيان ذلك، فقد جاء في لسان العرب: "سنن: السّنن الضّرس.. والسنّان: سنان الرمح، وجمعة أسينة... وسنت الأرض فهي مسنونة وسنن إذا أكل نباتها... والسنة المجدبة،

(١) تفسير الكشاف: ٧٦/٣.

(٢) تفسير الكشاف: ٤٣١/٣.

أوقعوا ذلك عليها إكباراً لها وتشنيعاً واستطالة . يقال أصابتهم السنة .. يقال: أخذتهم السنة إذا أخذبوا وأفحطوا...^(١).

فلفظ "السنة" يحمل معاني الحدة والقطع، والجدب والجفاف.

لعل تتبع عدد المرات التي ورد فيها اللفظان (سنة وسنين) في القرآن الكريم يساهم في توضيح الفرق بين السنة والعام، فقد ورد اللفظان (سنة وسنين) تسعة عشرة مرة في كتاب الله عز وجل، وهي في أغلبها، تحمل معاني الحول الذي فيه الجدب والشدة والجفاف.

ومنها قوله تعالى : ﴿قَالَ فِتْنَاهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعُونَ سَنَةً تَبَهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦)

وقوله تعالى : ﴿وَكَدَّ أَرْسَلْنَا تُوحَّا إِلَى قَوْمِهِ فَلَيَثِ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَخْسِنُ عَامًا﴾ (العنكبوت: ٤)

وقوله تعالى : ﴿وَكَدَّ أَخْذَنَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ أَلْفَ سَنَةٍ لَا يَخْسِنُ عَامًا﴾ (الأعراف: ١٣٠)

وقوله تعالى : ﴿فَاسَاءَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيَثِ فِي السِّجْنِ بِضَعْ سَنَينَ﴾ (يوسف: ٤٢)

وقوله تعالى : ﴿قَالَ نَزَّعْنَاهُ سَبْعَ سَنَينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْنَاهُ فَدَرَوْهُ فِي سَنَلِهِ﴾ (يوسف: ٤٧)

وقوله تعالى : ﴿فَلَيَسْتَ سَبْنَينَ فِي أَهْلِ مَدِينَتِهِمْ حِتَّىٰ قَدَرْيَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٠)

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَافِ سَنَةٌ مِّنَ الْعَدْوَنَ﴾ (الحج: ٤٧)

لقد أوثر لفظ "السنة" و "السنين" في إخباره - سبحانه وتعالى - عن عقاب آل فرعون، وفي بيان مدة الكدح والتعب في الزرع على لسان سيدنا يوسف عليه السلام، وفي بيان يوم القيمة، حيث الإحساس بشدته...

أما لفظ "العام" كما سبق ذكره، يستعمل في الحول الذي فيه الخصب والرخاء. وقد جاء في لسان العرب: "العوم": السباحة.. والعام: الحول.. والجمع أعوام لا يكسر على غير ذلك ... وعوم الكرم تعويماً: كثر حلمه عاماً وقل آخر.. وعامت النجوم عوماً: جرت، وأصل ذلك في الماء...^(٢)

فدلالة لفظ "العام" دلالة خير ورخاء وانتشار، ومنه قيل: عم أي كثر وانشر ، والعجم: الخير الكثير.. فالعام زمن محدد موصوف بالخير والرخاء.

(١) لسان العرب: مادة (سنن) / ٦ / ٣٩٥.

(٢) لسان العرب: مادة (عوم) / ٩ / ٤٨٣.

ومما يدلل على ذلك أن "اللفظ" عام" ورد تسع مرات في كتاب الله تعالى، ويبدو أنه قد أوثر لفظ "العام" في بيان الخير والرخاء والبعد عن معاناة الحياة، وذلك كما في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعَصِّرُونَ﴾ (يوسف: ٤٩)

فالعام في الآية الكريمة جاء في مقام الرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب والجفاف. وقوله تعالى: ﴿حَمَّلَهُمْ أَمْمَهُ وَهُنَّا عَلَى وَقْتٍ وَفَصَالُهُ فِي عَامِنِ﴾ (القمان: ٤)

فلفظ العام في الآية الكريمة مبين لمدة الفصال، حيث براءة الطفولة والبعد عن المعاناة في الحياة.

وبهذا يمكن القول: إن المخالفة بين لفظي "السنة" و"العام" للدلالة على اختلاف المقام، ومخالفة بيان، حيث إنها يدلان على زمانين متغيرين، وهذا ما سيتضمن بعد تأمل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا ثَفِيَّهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤)

فقد سيقت قصة سيدنا نوح عليه السلام، وذكر فيها شواهد على ما لقى الرسل والذين آمنوا معهم من تكذيب المشركين، وقد بينت هذه الآية أنه لبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة، وهي مدة رسالته إلى قومه، وفائدة ذكر هذه المدة للدلالة على شدة مصابرته، على أدى قومه، ودوامه على إبلاغ الدعوة تثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الآية الكريمة ورد فيها "ولقد أرسلنا" عطف عليه "فليث"، كما عطف عليه "فأخذهم الطوفان" ، والفاء، كما هو معلوم ، حرف عطف يفيد الترتيب. وقد طوي ذكر ما ترتب عليه أخذهم بالطوفان وهو استمرار تكذيبهم، وبعد الطوفان عاش سيدنا نوح أيامًا هي أعوام رخاء ومحبة وخير.

كما أن العطف في الآية الكريمة يبين طول المدة التي مكثها سيدنا نوح -عليه السلام- في دعوة قومه، وأنها كانت مليئةً بالمعاناة والمشقة والمصايب، فقد لاقى فيها ألواناً من العنت والمخاصمة، مما جعله يشكوا إلى الله إصرارهم على كفرهم ، وعندتهم لدعوتهم: ﴿قَالَ رَبِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَأْوِهَا رَا﴾ (فَلَمْ يَزِدُهُمْ دُعائِي لِلْأَفْرَارَا) (نوح: ٥، ٦)

ويخاطب سيدنا نوح ربـه: ﴿قَالَ رَبِّي وَجَوَّ رَبِّي لِهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنْ لَمْ يَرِدْهُ مَالَهُ وَوَكَدَهُ إِلَّا خَسَارًا وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَارًا﴾ (نوح: ٢١، ٢٢) ، وعندما اشتد كفرهم وعندتهم قال : ﴿وَقَالَ رَبِّي لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ (نوح: ٢٦)

ما يدل على أن الأيام والسنين التي لبّتها معهم كانت "سنين" مشقة ، عانى فيها ما عانى، ولاقي في دعوة قومه ألوان العنت . والتذيب والمخاصمة . كما أن "السنة" تستعمل أكثر ما تستعمل في السنة الشمسية، بينما يستعمل "العام" للقمريّة، والفرق بينهما أحد عشر يوماً تقريباً، وهذا فرق آخر بينهما . لكل ما سبق يمكن القول: إن لفظي "السنة" و "العام" يشتراكان في الدلالة على الحول، ولكنهما يختلفان في بيان هذا الحول وصفته ، وقد عبر الأستاذ الدكتور فضل عباس عن إعجاز القرآن الكريم باستعمالها، فقال: "ونقرأ في كتاب الله تعالى آية ذكر فيها كلمتان اثنتان (السنة والعام) جاءت كل في موضعها لا أقول الذي يناسبها فحسب، ولكن أقول الذي لا يناسبها غيره"^(١) .

اللفظان (الدواب والأنعام):

ورد اللفظان (الدواب والأنعام) في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكُّمُ الَّذِينَ لَا يَقْعُلُونَ﴾ (الأفال: ٢٢)، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأفال: ٥٥) وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْبَهُنَّ هَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَصِرُوْنَهَا وَلَهُمْ أَذْكَارٌ لَا يَسْمَعُونَهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ إِلَّا هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَايُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آتَيْنَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ يَجْرِي مِنْ تَحْمِلَهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْعَوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالثَّارُ مُؤْمِنُهُمْ﴾ (محمد: ١٢)

ويكاد كثير من الناس لا يفرق بين اللفظين (الدواب والأنعام) ويرونهما بمعنى واحد يشتراكان في الدلالة على "الحيوان" إلا أن المتأمل والمتبوع للمعنى اللغوي لكل منهما، واستعمالها في السياق القرآني، لابد وأن يجد فرقاً في الدلالة بينهما.

ولبيان ذلك، فقد جاء في لسان العرب: "دب: دب النمل وغيره من الحيوان على الأرض، يدب دبباً ودبباً : مشى على هيئته... ودب الشيخ أي مشى مشياً رويداً... والدابة: اسم لما دب من الحيوان، مميزة وغير مميزة.. ودابة الأرض: أحد أشراط الساعة. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أُخْرَجْنَاهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٨٢)

(١) إعجاز القرآن الكريم : ١٧٨ .

جاء في التفسير أنها تخرج بتهمة بين الصفا والمروة ...^(١)

فالدبُّ والدبِّبُ: مشى خفيف على اليقنة، والدببة ما دب من الحيوان، وغلب على ما يركب، ويقع على المذكر والمؤنث، والدببة جمع لكل شيء يدب، أما دابة الأرض، فقد قيل: إنها حيوان بخلاف المعروف يختص خروجه بقرب القيامة. وقد ورد لفظاً (الدببة والدواب) تسعة عشرة مرة في كتاب الله عز وجل، وهي في مجملها تدل على كل من دب على الأرض من الحشرات والحيوان، وقد تدل على الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَيْنَرٍ مِّنْ مَاءٍ﴾ (النور: ٤٥)

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِينَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٦٤)

وقوله تعالى: ﴿وَكَوَافِرُ أَخْذَ اللَّهُ النَّاسَ مَا كَسَبُوا مَا تُرَكُ عَلَى ظُهُورِهَا مِنْ دَبَّةٍ﴾ (فاطر: ٤٥)

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهَا مِنْ دَبَّةٍ﴾ (الشورى: ٢٩)

وقوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْثُثُ مِنْ دَبَّةٍ آيَاتٍ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٤)

وقوله تعالى: ﴿وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَبَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُنْ لَا يَسْكُنُونَ﴾ (النحل: ٤٩)

وقد صور الله سبحانه وتعالى الكفار بالدواب، وذلك في قوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَ الدَّوَابَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبَكُّمُ الَّذِينَ لَا يُعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٢) ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَ الدَّوَابَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال: ٥٥)

لقد جاء لفظ "الدواب" في آياتي الأنفال معبراً عن حال هؤلاء الكافرين، وقد أخبر الله أنهم لا يسمعون، وأن شر الحيوان الذي يدب (الصم)، فجمع الله بينهم وبين جمع الدواب والبهائم، وابتدا بالصم، لأنه ناشئ عنه البكم، والصم والبكم ناشئ عن انتفاء العقل، وكذلك فهم لا يؤمنون.

فلفظ "الدواب" يحمل إيحاءات دالة على الجهل والعناد وشدة الغباء.

أما اللفظ "الأنعام" فهو مشتق من النعمة، وقد جاء في لسان العرب: "نعم: النعيم والنعمى والنعماء والنعمة، كله الخفض والدعة والمال، وهو ضد اليساء واليؤس.. وأنعم: أفضل وزاد.. والنعامة الفرح.. والنعامة: الإكرام.. والأنعام الإبل والبقر والغنم..."^(٢)

(١) لسان العرب : مادة (دب) ٤ / ٢٧٦.

(٢) لسان العرب : مادة (نعم) ١٤ / ٢٠٧.

فالنعمة الحالة الحسنة التي يكون عليها الإنسان، والأنعام والأناعيم جمع نعم تقال للإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لكون الإبل أعظم نعمة عند العرب.

وقد ورد لفظ "الأنعام" اثنين وثلاثين مرة في كتاب الله عز وجل ومنها قوله تعالى:

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرَاً﴾ (الأنعام: ٤٢)

وقوله تعالى : ﴿وَالْأَنْعَامُ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْنٌ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا أَكْلُونَ﴾ (النحل: ٥)

وقوله تعالى : ﴿وَيَحَلُّ لَكُمْ مِنْ جَلُودِ الْأَنْعَامِ يُوْتَا سَخْفَوْهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ﴾ (النحل: ٨٠)

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمِ الْأَنْعَامِ الْأَنْعَامَ مَا تَرَكُونَ﴾ (الزخرف: ١٢)

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعْبَرَةٌ سَيِّكُمْ مَا فِي بُطُونِهَا﴾ (المؤمنون: ٢١)

وقوله تعالى : ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَأَنْعَامُكُمْ﴾

(النازعات: ٣٣-٣١)

وقد ورد لفظ "الأنعام" في القرآن الكريم للدلالة على الكفار والمكذيبين برسالة السماء، منها قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَلَّا نَعَمْ بِلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾ (الفرقان: ٤) وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْهِنُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُصْرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا وَلَذِكَ كَلَّا نَعَمْ بِلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩) ، وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا أَكَلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مُتَوَّيَّلُهُمْ﴾ (محمد: ١٢)

لعل المتأتي والمتأمل للأية الكريمة من سورة الأعراف يتبيّن كيف صور الله سبحانه وتعالى ، ووصف أحوال من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم كالأنعام في عدم الفقه في العواقب ، والنظر للاعتبار ، والسماع للتفكير ، ولا يهتمون بغير الأكل والشرب ، بل هم أضل من الأنعام ، فالأنعام تبصر منافعها من مضارها ، وهي تعرف ربها وتسبح له ، بينما الكفار لا يعرفونه ، ولا يدعونه.

وبالرجوع إلى كتب التفاسير التي تتحدث عن الآية الكريمة من سورة محمد ، فالتمتع: الانتفاع القليل بالمتاع... والكافرون مسلوبون من فهم الإيمان ، فحظهم من الدنيا أكل وتمتع كحظ الأنعام ، وعاقبتهم في عالم الخلود العذاب فالنار مثوى لهم ، والثواب: الاستقرار ، والعدول عن الإضافة في قوله "مثوى لهم" بالتعليق باللام ليفاد بالتوبيخ معنى التمكّن من القرار في النار مثوى ، أي مثوى قوياً.

كما أن المجرور من قوله "كما تأكل الأنعام" في محل الحال من ضمير "يأكلون" ، أو في محل الصفة لمصدر محذف هو مفعول مطلق لـ "يأكلون" لبيان نوعه^(١).
من العرض السابق يمكن القول: إن لفظي الدواب والأنعام يشتراكان في الدلالة على الحيوان، وكل منهما دلالته الخاصة التي تميزه عن غيره، خاصة في الاستعمال القرآني، وقد وصف القرآن الكريم الكفار بالدواب مرة، وبالأنعام مرة أخرى، وذلك لبيان اختلاف دواعي الكفر وبواطن الضلال، فهم صنفان:

صنف أعرض جهلاً وعندأ، وهؤلاء عبر عنهم الله بالدواب. وصنف آخر أعرض غفلة ولهوا ، وعبر عنهم الله سبحانه وتعالى بالأنعام، فهم غافلون يتمتعون ويأكلون، لا يفكرون في عاقبة ولا يتذمرون في مصير كالأنعام تقبل على طعامها بشهية فتك نز باللحم والشحم غافلةً عما ينتظرون من سكين ونار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَاثُلٌ الْأَنْعَامُ وَالثَّارِمُوَى﴾ (١٢) (٣)

اللُّفْظَانِ (الخُضُوع .. الْخُشُوع) :

ورد اللفظان (الخضوع والخشوع) في مواضع مختلفة من كتاب الله عز وجل، ويرى بعض المفسرين أنهما مترادافان، إلا أن المتبع لاستعمالهما في السياق القرآني يجد فروقاً دلالية وأوضحة بين اللفظين.

فالخضوع في اللغة يدور حول معاني التواضع والذل والتطامن والانقياد والمطاوعة، ومظهره الخارجي خضوع الأعناق ودنو الرأس من الأرض، جاء في لسان العرب: "الخضوع: التواضع والتطامن... والخضع: تطامن في العنق ودنو من الرأس إلى الأرض... الخضوع: الانقياد والمطاوعة... وخضع النجم أي مال للغريب... وخضعت الإبل إذا جدت في سيرها، لأنها خضعت أعناقها حين جد بها السير... وأخضع الرجل المرأة وهي تخاضعه إذا خضع لها بكلامه وخضعت له ويطمع فيها.. وفي الحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- نهى أن يخضع الرجل لغير امرأته أي يلين لها في القول بما يطمعها منه^(٣).

وقد وردت مادة (خضع) ومشتقاتها مررتين في كتاب الله عز وجل، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَقَطَّلَتْ أَعْنَاثَهُمْ لَهَا خَاصِصِينَ﴾ (الشعراء: ٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّا

(١) تفسير التحرير والتتوير : المجلد الثاني عشر ، ٢٦/٨٩ .

(٢) أسرار الترداد في القرآن الكريم : ١٠٢

^٣ لسان العرب: مادة (خضم) ٤/١٢٧.

﴿نَسَاءُ النَّبِيِّ لَسْنُ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَخْضُعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَّقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾
 (الأحزاب: ٣٢)

وفي تفسيره لآية الشعراة يقول الزمخشري: "إإن قلت: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق قلت: أصل الكلام: فظلو لها خاضعين، فأفحمت الأعناق ليبيان موضع الخضوع..."^(١)

فالخضوع يحمل معاني التطامن والتواضع، وإسناد الخضوع إلى الأعناق مجاز عقلي، وفيه تمثيل لحال المنقادين الأذلة بحال الخاضعين الذين يطأطئون رؤوسهم، انتقاء المصيبة النازلة عليهم.

أما الخضوع في آية الأحزاب (فلا تخضعن بالقول) نهي عن الخضوع بالقول مثل كلام المربيات ، حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض ، والنهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد من كلام النساء من الرقة، والخضوع حقيقته التذلل، وأطلق هنا على الرقة لمشابهتها التذلل.

فالخضوع يكون تعبيراً عن تواضع أو ذل أو انتقاد وموافقة، وقد ورد في القرآن الكريم يحمل معاني الذل والخوف مرة، ومرة أخرى يحمل معاني الرقة التي تشبه التذلل، فكان الخضوع ناتج عن ذل الخاضع سواء أكان لخوفه، أو لضعفه، أو كان بطبعه.

والخشوع قريب من الخضوع، وقيل: الخضوع في البدن والخشوع في الصوت والبصر. والخشوع: السكون والتذلل والضراعة والسكوت، وقيل أكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح، والضراعة أكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب. وروى : إذ ضرع القلب خشع الجوارح^(٢).

فالخشوع سكون القلب وتضرعه، ومظهره الخارجي خفوت الأصوات، وانكسار الأ بصار، وقد يصاحبه ذرف للدموع.

وقد وردت مادة "خشع" ومشتقاتها سبع عشرة مرة في القرآن الكريم ، وكل خشوع ورد في القرآن الكريم، إنما يكون لله سبحانه وتعالى من مخلوقاته، وحين يكون الخشوع من المؤمنين ، فهو في الحياة الدنيا، عن صدق إيمان بالله واليوم الآخر^(٣) .

(١) تفسير الكشاف : ٢٩٠/٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز : ٥٤١/٢.

(٣) عبد الرحمن ، عائشة : التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٢م ،

١٣٣/١

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهَا الْكَيْدُ إِلَّا عَلَى الْخَاسِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) وقوله تعالى: ﴿خَاسِعِنَّ لَهُ لَا يُشْرُكُ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَّا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: ١٩٩) وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَا يَخْشِعُونَ﴾ (الأنباء: ٩٠) وقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلَّادْقَانِ يُسْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاهِمْ خَاسِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢) وقوله تعالى: ﴿وَالْخَاسِعُونَ كَالْخَاسِعَاتِ وَالْمَسْدِيقَاتِ وَالْمَسْدَقَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥) وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آتَيْنَا أَنْ يَخْشَعَ قَلْبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الحديد: ١٦) وأُسْنِدَ الخشوع لله إلى الأصوات والأرض على سبيل المجاز، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنٍ فَلَا تَسْمَعُ لَا هَسْبًا﴾ (طه: ٤٠) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ آتَيْتَ أَنْكَرَى الْأَرْضَ خَاسِعَةً﴾ (فصلات: ٣٩) وقوله تعالى: ﴿لَوْ أُنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْهُ خَاسِعاً مَسْدِعَاهُ مِنْ خَشْيَةَ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١) وأُسْنِدَ الخشوع لله إلى الأ بصار في موقف الذلة والهوان والخوف أربع مرات، وإلى الوجه مرة واحدة يوم الهول الأكبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿خَاسِعَةُ أَبْصَارُهُمْ تُرْهَقُهُمْ ذَلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوَدِّعُونَ﴾ (المعارج: ٤) وقوله تعالى: ﴿خَاسِعَةُ أَبْصَارُهُمْ تُرْهَقُهُمْ ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم: ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يُمْذَرُ خَاسِعَةً﴾ (الغاشية: ٢)، وقوله تعالى: ﴿خُشَعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (القمر: ٧)، وقوله تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا خَاسِعَةً﴾ (النازعات: ٩)، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعَرِّضُونَ عَلَيْهَا خَاسِعِينَ مِنَ الدُّلُّ﴾ (الشورى: ٤٥) وقد فرقـتـ الـدـكتـورـةـ عـائـشـةـ عـابـدـ الرـحـمـنـ "ـبـنـتـ الشـاطـئـ"ـ بـيـنـ خـشـوعـ الـمؤـمنـينـ،ـ وـخـشـوعـ الـكـفـارـ،ـ فـقـالـتـ:ـ "ـوـلـاـ أـذـكـرـ أـنـ أـحـدـ مـنـ الـمـفـسـرـينـ أـوـ الـبـلـاغـيـنـ قـدـ التـفـتـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـلـاحـظـ فـيـ خـشـوعـ الـمـؤـمـنـينـ اللـهـ فـيـ الدـنـيـاـ،ـ وـخـشـوعـ الـكـفـارـ وـالـمـجـرـمـينـ وـالـظـالـمـيـنـ فـيـ الـآخـرـةـ،ـ وـسـرـهـ الـبـيـانـيـ،ـ فـيـمـاـ أـرـىـ .ـ هـوـ أـنـ خـشـوعـ الـكـفـارـ لـاـ يـكـونـ إـلـاـ بـعـدـ أـنـ يـأـتـيـ الـيـوـمـ الـذـيـ يـوـعـدـوـنـ فـيـخـشـعواـ خـوفـاـ وـرـهـبـةـ.ـ وـذـلـةـ،ـ عـلـىـ حـينـ يـخـشـعـ الـمـؤـمـنـوـنـ فـيـ الدـنـيـاـ،ـ عـنـ صـدـقـ وـإـيمـانـ وـنـقـوىـ،ـ وـخـشـيـةـ اللـهـ"ـ^(١).

(١) عبد الرحمن ، عائشة : الإعجاز البشري للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف بمصر ، ٢١١ ، والفرقـةـ الـلـغـوـيـةـ وـأـثـرـهـاـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ:ـ ٢٥٤ـ .ـ

و عند تأمل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢) يلحظ الآية ابتدأ بقد تأكيداً لفلاح المؤمنين، ثم وصف المؤمنون بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، والخشوع من أفعال القلوب، وتظهر آثاره في أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث.

وبتأمل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْهُ خَاشِعاً مَصْدِعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١) أي أن هذا الجبل يخشع من شأنه وعظمته، وجودة ألفاظه، واستماله على المواعظ التي تلين لها القلوب.

وقوله تعالى: ﴿خَاشِعَةُ أَبْصَارُهُمْ تَرْهِقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِكُونَ﴾ (القلم: ٤٣)، فإسناد الخشوع إلى الأ بصار مبين للخصوص والذلة لظهور أثره في هذه الأ بصار، وقد انتصب "خاشعة أ بصارهم" على الحال من ضمير "يدعون" و "أ بصارهم" مرفوع على الفاعلية. وعلى هذا يمكن القول إن الخشوع سكون القلب وتضرره، ومظهره الخارجي خفوت الأ صوات، وانكسار الأ بصار، وقد يصاحبه نزف للدموع، وخشوع المؤمن ناشئ عن صدق إيمان وتقوى، بينما خشوع الكفار يكون خوفاً ورهبة وذلة.

والخصوص، كما سبق ذكره ، يدور حول معاني التواضع والذلة والتطامن والانقياد، والخصوص يكون ناتجاً عن ذل الخاضع لخوفه أو لضعفه، وقد يكون ذلك الخضوع بطبعه، وهذا يبين أن اللقطين (الخصوص والخشوع) وإن كانوا يحملان بعض الدلالات المشتركة ، إلا أنهما يتمايزان في خصوصية كل منهما في دلالته، والخصوص جزء من الخشوع لاختصاصه بالبدن.

اللفظان (المأوى والمثوى) :

في قوله تعالى: ﴿سَتُلقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَمَسَّ مَوْى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٥١)، فالله سبحانه وتعالي جعل النار مأواهم ومثواهم ، والفرق بينهما دقيق سيستوعن الباحث لإبرازه.

فقد جاء في لسان العرب: "أويت منزلي وإلى منزلي... كله : عدت ... والمأوى : المنزل.. المأوى كل مكان يأوي إليه شئ ليلاً أو نهاراً. وجنة المأوى قيل جنة المييت".^(١)

(١) لسان العرب : مادة (أوى) ٢٧٤/١

والراغب الأصفهاني يرى أن : " المأوى مصدر أوى يأوي أوى وأوى،" تقول أوى إلى كذا انضم إليه.. وأواه غيره يؤووه أيواء " ^(١) .

فالمأوى اسم يدل على المكان الذي يلتجأ إليه الإنسان طلبا للحماية والأمان. وقد وردت مادة (أوى) ومشتقاتها في القرآن الكريم ستة وثلاثين مرة، سيدرك الباحث أهم المعاني التي تحملها تلك الآيات.

قال عز وجل: ﴿إِذَا أَوَى الْفِتْنَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ (الكهف: ١٠)

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَآتِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (هود: ٤٣)

وقوله: ﴿قَالَ أَرَيْتَ إِذَا أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي سَيِّطُ الْحُوتَ﴾ (الكهف: ٦٣)

وقوله: ﴿قَالَ لَوْأَنِّي لَكُمْ قُوَّةً أَوَّيْ إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠)

وقوله: ﴿وَفَصِيلَةً إِلَيْهِ تُؤْوِيهِ﴾ (المعارج: ١٣)

فالآيات السابقة تحمل معنى اللجوء طلبا للحماية، ومن المعاني الأخرى الضم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ (يوسف: ٦٩) أي ضمه إلى نفسه.

وقد يكون المأوى مضافا إلى أهل جهنم أو النار فيكون اسمًا للمكان الذي يأوي إليه،

كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَسَ الْمَصِيرُ﴾ (التحريم: ٩)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبية: من الآية ٧٣)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا وَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ (النور: ٥٧)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا الَّذِينَ فَسَقَوْنَا مَا وَاهُمُ النَّارُ﴾ (السجدة: ٢٠)

فالمأوى كما يفهم من العرض السابق اسم يدل على اللجوء طلبا للحماية وقد يكون اسمًا للمكان الذي يلتجأ إليه، كما أنه يحمل معاني الضم.

أما المثوى: فمن الثواب الذي يحمل معنى الإقامة مع الاستقرار، وقد جاء في لسان العرب: "الثواب: طول المقام ... ومثوى الرجل: منزله.. وثوى الرجل: قبر لأن ذلك ثواب لا أطول منه ..." ^(٢).

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٣٩.

(٢) لسان العرب : مادة (ثوى) ١٥٢/٢.

ومما يؤكد هذه المعاني أن مادة (ثوى) ومشتقاتها وردت أربع عشرة مرة في كتاب الله عز وجل تحمل معنى الإقامة الطويلة مع الاستقرار والراحة، كما في قوله تعالى:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّ رَبِّي أَحْسَنَ مَوَاعِي﴾ (يوسف: ٢٣)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِي فِي أَهْلِ مَدِينٍ تُلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكُنَّا كَمَا مُرْسِلُنَا﴾ (القصص: ٤٥)

وقوله: ﴿قَالَ النَّارُ مَوَاعِكُمْ خَالِدُونَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الأعراف: ١٢٨)

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي أَشْرَأَهُ مِنْ مَصْرَ لِأَمْرِنَاهُ أَكْرِمِي مَوَاهِ﴾ (يوسف: ٢١)

وقوله: ﴿وَمَأْوَى أَهْمَ النَّارِ وَسَسَ مَوَى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٥١)

وقوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ فِيهَا فَلِيُسْ مَوَى الْمُكَبِّرِينَ﴾ (النحل: ٢٩)

وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ سَوْيًّا لِلْكَافِرِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٨ ، الزمر: ٣٢)

وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَيًّا لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠)

وقوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ فِيهَا فَلِيُسْ مَوَى الْمُكَبِّرِينَ﴾ (غافر: ٧٦)

وقوله: ﴿إِنَّ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَوَى لَهُمْ﴾ (فصلت: ٢٤)

وقوله: ﴿يَسْعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تُكْلُ الأَعْمَامُ وَالنَّارُ مَوَى لَهُمْ﴾ (محمد: ١٢)

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُعْلَمَكُمْ وَمَوَاهِمَكُمْ﴾ (محمد: ١٩)

وقوله: ﴿قَلَّ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ فِيهَا فَلِيُسْ مَوَى الْمُكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٧٢)

فالماوى والمثوى معنيان مختلفان ، فالماوى يتعلق بمعاني الحماية والأمان ، والمثوى يتعلق بمعنى الإقامة والراحة والاستقرار .

ومما يدل على الفروق بين المماوى والمثوى ما جاء في تفسير البحر المحيط

للآلية الكريمة: ﴿سَنُنْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَسَسَ مَوَى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٥١)

" أخبر الله تعالى بأن مصيرهم ومرجعهم إلى النار ، فهم في الدنيا مرعوبون ، وفي الآخرة معذبون بسبب إشراكهم ، فهو جالب لهم الشر في الدنيا والآخرة ، وقد بالغ في ذم مثواهم ، والمخصوص بالذم محفوظ ، أي : وبئس مثوى الظالمين النار ، وجعل النار مأواهم

ومثواهم، وبدأ بالماوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، ولا يلزم منه الثواء، لأن الثواء دال على الإقامة، فجعلها مأوى ومثوى^(١).

اللُّفْظَانِ (الْعَهْدُ .. وَالْمِيَاثِقُ) :

ورد اللُّفْظَانِ معاً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفَى عَهْدُ اللَّهِ وَلَا يَتَقْضُونَ الْمِيَاثِقَ﴾ (الرعد: ٢٠) ويبدو أن بعض المفسرين لا يفرق بينهما، إلا أن العدول عن لفظ "الْعَهْدُ" إلى لفظ "المِيَاثِقَ" لم يكن إلا لخصوصية كل منهما في الدلالة وتمييزه عن الآخر. فالْعَهْدُ حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حالٍ، فقد جاء في لسان العرب: "الْعَهْدُ كل ما عوه الله عليه.. والْعَهْدُ: الوصية... والْعَهْدُ: الذي يكتب للولاة وهو مشتق منه، والجمع عهود.. والتعهد: التحفظ بالشيء وتجديد العهد به..."^(٢).

وقد وردت مادة (عهد) ومشتقاتها ستاً وأربعين مرة في كتاب الله عز وجل، وهي في أغلبها، تحمل معاني حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حالٍ، والضمان والوفاء بالوعد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوفُوا بِهِمَّيْدِي أُوفِيَ بِهِمَّكُمْ وَإِنَّمَا يَأْرُهُبُونَ﴾ (البقرة: ٤٠)

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣)

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيَاثِقِهِ﴾ (الرعد: ٢٥)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠)

وقوله تعالى: ﴿وَأُوفُوا بِهِمَّ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (النحل: ٩١)

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَامَاتِهِمْ وَعَاهَدُهُمْ رَاءُونَ﴾ (المعارج: ٣٢)

أما "المِيَاثِقَ" فهو عقد يؤكد بيمين وعهد ، ويحمل معاني الشد والإحكام. جاء في لسان العرب: "الوثق": المحكم.. والحبل أو الشيء الذي يوثق به وثاق.. وأنوثقه في الوثاق أي شده.. الوثيقة في الأمر إحكامه... والموافقة: المعايدة.. والمِيَاثِقَ: العهد، مفعال من الوثاق، وهو في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة"^(٣).

وقد وردت مادة (وثق) ومشتقاتها أربعاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم، وهي في أغلبها، تحمل معاني العقد المؤكد بيمين أو عهد، والشد والإحكام.

(١) تفسير البحر المحيط : ٨٤/٣.

(٢) لسان العرب : مادة (عهد) ٤٤٨/٩.

(٣) لسان العرب : مادة (وثق) ٢١٢/١٥.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخْدَلَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّاسِ لَمَا أَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (آل عمران: ٨١) وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: ٢٧) وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخْدَلَنَا مِنَ النَّاسِ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٧) وقوله تعالى: ﴿حَسَنَ إِذَا أَحْسَنُوهُمْ فَشَدُوا الرِّفَاقَ﴾ (محمد: ٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَسْكَنَ بِالْمُرْءَةِ الْوَقِيَّ﴾ (لقمان: ٢٢) وقد فرق أبو هلال العسكري بين اللفظين: إن الميثاق توكيده للعهد، من قولك أو نكت الشيء إذا أحكمت شدّه ، قال بعضهم: العهد يكون حالاً من المتعاهدين، والميثاق يكون من أحدهما.^(١)

وبالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفِرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرعد: ٢٠) ، يقول الإمام الزمخشري في تفسيره للأية الكريمة: "وعهد الله: ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته.. ولا ينقضون الميثاق: ولا ينقضون كل ما وتوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان بالله وغيره من الموثائق بينهم وبين الله وبين العباد، تعليم بعد تخصيص".^(٢)

وعهد الله مصدر مضارف لمفعوله، أي ما عاهدوا الله على فعله، أو قد يكون مصدرأ مضارفاً إلى فاعله، بمعنى ما عهد الله به إليهم، وعلى كلا الوجهين فالمراد بعهد الله الإيمان الذي أخذه الله على العباد.

ولأن الله بذلك العهد قد أودع دلائل الوحدانية في فطرة العقول السليمة، استمر اعترافهم الله بأنه خالقهم ، إلا أن عهدهم شابه تحريف ، فأخذوا يتناسون وطرا عليهم الإشراك لتغريبهم النظر في دلائل التوحيد.

أما قوله: "لا ينقضون الميثاق" فقد نفي الله عنهم نقض كل ما وتوه على أنفسهم، وقبلوه من الإيمان بالله تعالى، وغيره من الموثائق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد.

فالفرق واضح بين اللفظين، حيث إن العهد ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته عز وجل، أما "الميثاق" فالتعريف فيه يحمل على تعريف الجنس فيستغرق جميع الموثائق. وبذلك يكون الميثاق أعم من عهد الله، فيشمل الموثائق الحاصلة بين الناس من عهود وأيمان، وباعتبار هذا العموم حصلت مغایرة ما بينه وبين عهد الله.^(٣)

(١) الفروق اللغوية : ٦٩.

(٢) تفسير الكشاف: ٥٠٤/٢.

(٣) تفسير التحرير والتوير: المجلد السابع، ١٢٦/١٣.

ثُرَادِفُ الْأَفْعَالِ

- (١) أَكْمَلْتُ ... وَأَتَمْتُ
- (٢) يَئِسَ ... وَقَنَطَ
- (٣) يَخَافُ ... وَيَخْشَى
- (٤) وَهُنَّ ... وَضُعْفٌ ... وَاسْتَكَانٌ
- (٥) حَذَفَ ... وَأَقْسَمَ
- (٦) خَلَقَ ... وَجَعَلَ

ترادف الأفعال

اللفظان (أكملت ... وأتممت):

ورد اللفظان معاً في قوله تعالى: «إِلَيْهِ أَكْتُلْتُ لَكُمْ دِسْكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَى وَرَضَبْتُ لَكُمُ الْأَسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطَرَّ فِي تَحْمِصَةٍ غَيْرَ مُجَاهِفٍ لِإِيمَانِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» (المائدة: ٣). هناك فرق دقيق بين الكمال وال تمام ، يدق على بعضهم إدراكه، فيجعلونهما مترادفين ترادفاً تماماً.

ولبيان الفروق الدقيقة بين اللفظين، لابد من الرجوع إلى كتاب اللغة لاستقصاء الفروق بين معانيهما.

فقد ورد في لسان العرب: "كمل: الكمال : التمام، وقيل الذي تجزأ منه أجزاء... وأكملت الشيء أي أجملته وأتممته... والكامن من شطوط العروض : معروف وأصله متفاعل عن ست مرات، سمي كاملاً لأنها استكملا على أصله في الدائرة. وقال أبو اسحق: سمي كاملاً لأن كملت أجزاءه وحركاته، وكان أكمل من الواقر، لأن الواقر توفرت حركاته ونقصت أجزاءه^(١).

أما الراغب الأصفهاني فإنه يرى أن كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه فإذا قيل كمل ذلك فمعنى ذلك حصل ما هو الغرض منه وقوله تعالى: «وَالْوَالِدَاتُ يَرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْيَنِ كَامِلَيْنِ لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتَمَّمَ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكُلُّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لِالْمُضَارَّ وَالدَّهُ يُوَلِّهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُوَلِّهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذِلِّكَ فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُضْعِلَ أَعْنَاً تَرَاضِيَهُنَّ وَشَاءُوا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْرِعُوهُمَا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا أَتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْفَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (البقرة: ٢٣٣)

تنبيهاً أن ذلك غاية ما يتعلق به صلاح الولد. وقوله تعالى: «لَا يُخْلِلُوا أُوْزَارَهُمْ كَامِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ أُوْزَارَ الذِّينَ يُضْلُلُوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَسَاءَ مَا يَنْرِزُونَ» (النحل: ٢٥)

تنبيهاً أنه يحصل لهم كمال العقوبة. وقوله تعالى: «وَأَتْسُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنَّ أَحْصِرُهُمْ فَمَا أَسْيَسَرَ مِنَ الْهَدْيِي وَلَا تَحْلُلُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَلْمَعَ الْهَدْيِي سَحْلَهُ فَمَنْ كَانَ سِنْكُمْ مَرِضاً أَوْ بِهِ أَذْى مِنْ رَأْسِهِ فَقِدَيْهِ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ تُسْكِنَ فَإِذَا أَتَيْتُمْ فَمَنْ تَمَعَّنَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَمَا أَسْيَسَرَ مِنَ الْهَدْيِي فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ لَكَ عَشَرَةً كَامِلَةً» (البقرة: ١٩٦)

(١) لسان العرب: مادة (كمل) ١٢: ١٥٨.

قيل إنما ذكر العشرة ووصفها بالكاملة لا ليعلمنا أن السبعة والثلاثة عشرة بل ليبين أن بحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهذى^(١).

أما التمام فقد ورد في لسان العرب: "تم الشيء يَتَمْ تَمًا وَتَمَّا وَتَمَّامًا ... أَتَمَ الشيء وَتَمَّ به يَتَمْ: جعله تاماً ... وفي الحديث" أَعُوذ بِكَلَمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ" ... وصف كلامه بال تمام لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس ... وأتمت المرأة ، وهي متيم: دنا ولادها. وأتمت الخلبي، فهي متيم إذا تمت أيام حملها ... وأتم القمر: امتلاً فبهـ، وهو بذر تمام وتمام وبذر تمام^(٢).

ف تمام الشيء انتهاوه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، فهو يكون بعد نقصان. وقد فرق أبو هلال العسكري بين الكمال وال تمام، فالكمال اسم لاجتماع أبعاض الموصوف به، أما التمام اسم للجزء والبعض الذي يتم به الموصوف بأنه تمام، ولهذا يقولون: الفافية تمام البيت، ولا يقولون كماله، ويقولون: البيت بكماله^(٣).

والمتتبع لعدد مرات ورود (الكمال) ومشتقاتها في القرآن الكريم يجد أنها وردت خمس مرات، لتبيين إزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل.

فقد وردت في قوله تعالى: ﴿لَا يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُجَاهِفٍ لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣)

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيْنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانَ فَمَنْ شَهَدَ مِنْهُ كُمْ الشَّهْرَ فَلِيَصُمُّهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَذْدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَىٰ إِنَّ اللَّهَ يُكَفِّرُ الْمُسْرَرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلَكُمْ الْعِدَةُ وَلَا تَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَأْتُمْ وَلَا تَكُونُوا شَكُورِينَ﴾ (البقرة: ٨٥)

وقوله: ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنَّ أَخْصِرَهُمْ فَمَا اسْتِيَسَرَ مِنَ الْهُدَىٰ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهُدَىٰ مَحْلَهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذْيَى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ تُسُكِّنَ فَلِذَا أَنْتُمْ فَمَنْ تَسْعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ فَمَا اسْتِيَسَرَ مِنَ الْهُدَىٰ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَيَامًا ثَلَاثَةً أَيَّامٍ فِي الْحَجَّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةً كَامِلَةً ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرٍ السُّجُودُ الْحَرَامُ وَأَنْتُمُوا اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: ١٩٦)

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٤٩٣.

* سنن أبي داود : (٣٣٩٩) كتاب الطب.

(٢) لسان العرب : مادة (تم) ٥٣/٢.

(٣) الفروق اللغوية: ٢٩٤.

وَقُولُهُ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أُولَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَمَا لَيْسَ لَهُنْ أَرَادُ أَنْ يُمْسِمَ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْفُفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعُهَا الْأَنْصَارُ وَالدَّهُ يُوَلِّهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُوَلِّهُ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ اِنْصَاصًا عَنْ تَرَاضِّهِ مِنْهُمَا وَسَشَاءُرُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ سُرْرُضُوا أُولَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا أَسْمَيْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْلَمُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ تَصْرِيفٌ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أُوزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أُوزَارِ الَّذِينَ يُضْلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل: ٢٥)

^(١) وقد وردت (النمام) ومشتقاتها في كتاب الله عز وجل عشرين مرة.

وَجَمِيعُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا (الْتَّفَامُ) وَمُشَنَّقَاتُهَا تُفَدِّي أَنَّ الْإِتَّامَ لِأَزْلَةِ نَفْسَانَ الْأَصْلِ.

ومما يؤيد وجود بعض الفروق الدقيقة بين (الكمال والتمام) ما ذكره المفسرون في

تفسيرهم لقوله تعالى: «إِذْمَعْنَاكُلَّكُمْ دِسْكُمْ وَأَئْمَتْ عَلَيْكُمْ شَعْرَىٰ وَرَضَيْتَ لَكُمُ الْأَسْلَامَ دِينًا» (المائدة: ٣)

فالشوكانى يقول في هذه الآية: " المراد بالإكمال هنا: نزول معظم الفرائض والتحليل والتحرير ... وقوله تعالى: أتممت عليكم نعمتي " بإكمال الدين المشتمل على الأحكام ، وبفتح مكة وقهر الكفار " ^(٢) .

ما سبق يفهم السر في اختلاف التعبير باللفظين (الكمال وال تمام) في الآية الكريمة، فقد قال الله تعالى: ﴿اُلْيَوْمَ اكْتَمْتُ لَكُمْ وِسْكُنٌ﴾ لإفاده أن الدين كان تاماً في نفسه قد أكمله الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْتَمُ عَلَيْكُمْ بَعْثَةٌ﴾^١ لبيان أن النعمة كانت ناقصة، وقد تمت في هذا اليوم بكمال الدين المشتمل على الأحكام، وبنفتح مكة وقهار الكفار.

فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل.
ولأن (أتممت) معطوفة على (أكملت)، والعطف يقتضي المغايرة.

(١) الآيات هي: (البقرة: ١٢٤، ١٥٠، ١٨٧، ١٩٦، ٢٣٣)، (المائدة: ٦، ٣)، (الأعْمَام: ١١٥، ١٥٤)،
 (الأعراف: ٢٧)، (النحل: ٨١)، (يوسف: ٦)، (هود: ٣٢، ٦)، (التوبه: ١٤٢)، (القصص: ٢٧).

٢ (فتح القدير : ١٥/٢)

اللُّفْطَانُ (يَئِسُ ... وَقْنَطُ) :

اليأس والقنوط لفظان يشتركان في الدلالة على انقطاع الرجاء من الشيء، وقد ورد اللُّفْطَان في كتاب الله، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا لَيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا قَوْمٌ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧)

وفي قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَقُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا يَنْتَطِعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)

ولبيان الفرق بين الفعلين (يَئِسُ) و (قْنَطُ) ، لا بد من تتبع المعنى اللغوي لكلّ منها ، فقد جاء في لسان العرب : "يَئِسُ" : القنوط ، وقيل اليأس نقيض الرجاء... و"يَئِسُ" و"يَيْأَسُ" : عَلِمَ مثلاً حَسِيبٌ وَيَخْسِبُ ...^(١) . وقيل : "يَئِسُ" انتقاء الطمع^(٢).

فالـيأس يحمل معاني القنوط وانقطاع الرجاء من الشيء ، وهو انتقاء الطمع ، وقد يحمل العلم أحياناً.

وبتتبع عدد المرات التي وردت فيها مادة (يَئِسُ) ومشتقاتها في كتاب الله عز وجل ، يتضح أنها وردت ثلاثة عشرة مرة ، وهي :

قوله تعالى : ﴿ إِلَيْمَ يَسَّاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُوْنَ ﴾ (المائدة: ٣)

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُوا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْفُجُورِ ﴾ (المتحنة: ١٣)

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنَّى يُسْنَنَ مِنَ الْمَحِيطِ مِنْ شَيْءٍ تَكُونُ إِنْ أَرْبَبْ فِعْدَهُنَّ بِالْأَنْتَهِيَّةِ أَشْهِرٍ ﴾ (الطلاق: ٤)

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَسُوا مِنَ رَحْمَتِي ﴾ (العنكبوت: ٢٣)

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَنْكِلُوا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ (المتحنة: ١٣)

وقوله تعالى : ﴿ حَسْنَى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَطَمَّوا أَهْمَمَهُمْ قَدْ كَذَبُوا جَاءُهُمْ بِصَرْكًا ﴾ (يوسف: ١١٠)

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا إِيجَانًا ﴾ (يوسف: ٨٠)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا نَذَقُوا الْأَسْنَانَ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَرَكُوكُمْ هَمْهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ كُفُورٍ ﴾ (هود: ٩)

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْأَسْنَانُ مِنْ دُعَاءِ الْحَيْرِ وَلَمَّا مَسَّهُ الشَّرُّ قَوْسٌ قَنْطَطُ ﴾ (فصلت: ٤٩)

(١) لسان العرب : مادة (يَئِسُ) ٤٣١/١٥.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٦١٠.

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَعْنَا عَلَى الْأَنْسَانَ أَغْرَضَ وَتَأَيَّبَ جَانِيهِ وَإِذَا مَسَهُ الشَّرْ كَانَ يُؤْسَأً﴾ (الإسراء: ٨٣)

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِذَا لَا يَأْسَ بِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)

وقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَأْسِ الَّذِينَ آتَيْنَا أَنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهُدَى النَّاسِ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١)

ومتأمل للآيات الكريمة السابقة يلحظ أنها تحمل معاني اليأس وفقد الأمل والرجاء ، كما أن اليأس أسد إلى الكفار في أكثر من آية ورد بها ذكر اليأس، وقيل : كل يأس في القرآن فهو قنوط إلا التي في سورة الرعد فإنها بمعنى العلم.

وبتأمل قوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِذَا لَا يَأْسَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)

فقد وردت في سياق قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - فقد كان والده "يعقوب" عليه السلام مهتماً بالتفكير في مصير يوسف ، وما يعرضه من الكرب في غربته، وكان آسفاً على فراقه، فطلب من أبنائه أن يذهبوا للتحسس من يوسف وأخيه، ونهام عن اليأس، وعلل لنحبيه بقوله : ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ مستخدماً أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، فكان إسناد اليأس للكافرين واضحاً في هذه الآية الكريمة وكأنه خاص به.

أما القنوط فهو اليأس ، وقيل : إنه أشد اليأس ، وقيل : إنه اليأس من الخير ، وعرفه صاحب المصباح المنير بأنه الإياس من رحمة الله تعالى^(١).

وتخصيص القنوط بالإياس من الرحمة يشهد له الآيات الكريمة التي ذكر فيها "القنوط" ، وما يجدر ذكره في هذا المقام أن مادة (قطن) ومشتقاتها وردت ست مرات في كتاب الله عز وجل ، وهي :

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْقِيَثَاءَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَّعُوا وَيُنَشِّرُ رَحْمَةً وَهُوَ الْوَكِيْلُ الْحَمِيدُ﴾

(الشورى: ٢٨)

وقوله تعالى : ﴿قَالَ وَمَنْ يَمْتَطِنُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الصَّالُونَ﴾ (الحجر: ٥٦)

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَدْقَنَا اللَّهَ أَسَرَّ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَلَمْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ مَا قَدَّمُتُ إِلَيْهِمْ إِذَا هُمْ يَقْطَلُونَ﴾

(الروم: ٣٦)

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا بَشَّرْتَنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَاطِنِينَ﴾ (الحجر: ٥٥)

(١) الفيومي ، أحمد بن محمد : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، المطبعة الأميرية

الكبرى - دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ٦٢٥/٢.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُؤْسِفُهُ فَتُوْلِيهِ ﴾ (فصلت: ٤٩)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تُقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)

وبتأمل قوله تعالى في سورة الزمر يتضح أنها نزلت في وحشي قاتل حمزة - رضي الله عنه - الذي أمن فقتله قريش، وظن أن لا توبة له لما ارتكب قبل إسلامه، وفي قوله ﴿ لَا تُقْنَطُوا ﴾ نهي عن القنوط واليأس من رحمة الله، وأكّد رحمته وغفرانه باستخدام صيغة المبالغة "الغفور" و "الرحيم"، وأكّد بلفظ "هو" الذي يفيد الحصر^(١). فالقنوط أخص من اليأس. سواء أكان تعريفه أنه أشد اليأس وأبلغه، أو أنه اليأس من الخير، أو اليأس من رحمة الله وهي جزء من الخير.

وقيل : إن اليأس من صفة القلب والقنوط ظهور آثار هذا اليأس على الوجه والأحوال الظاهرة فيتضاعل وينكسر، وينقطع رجاؤه من فضل الله ورحمته. وتخصيص إسناد اليأس إلى الكفار يوحى بأن اليأس أعم من القنوط^(٢). لكل ما سبق يمكن القول : إن الفعلين "يئس وقنط" ليسا مترادفين.

اللّفاظ (يخاف ... ويخشى) :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنْ أَسْرِيَهُ إِلَيْ أَدِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَسِّرْ لَا يَخَافُ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى ﴾ (طه: ٧٧)

الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة. والخوف توقع مكرهه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محظوظ عن أمارة مظنونة أو معلومة، وبضاد الخوف: الأمان ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية. قال تعالى : ﴿ وَلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يُسْعَوْنَ إِلَيْ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَهْدُوراً ﴾ (الإسراء: ٥٧)

... والخوف من الله يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات... والتخييف من الله تعالى هو الحث على التحرز وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتَهُمْ ظَلَلٌ ذَلِكَ يَحْوِفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادُهُ يَا عِبَادِ فَاقْتُلُونِ ﴾ (الزمر: ١٦) ^(٣).

(١) تفسير البحر المحيط : ٤١٦/٧.

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ٢٧٨.

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١٨٠.

"أما الخشية" فهي خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ، ولذلك خصَّ العلماء بها في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدُّوَابِ وَالْأَعْمَامِ مُخْتَلِفُ الْوَالِهِ كُلُّكُلَّ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَنِيٌّ﴾ (فاطر: ٢٨) ...

والخشية أخص من الخوف؛ ... فهي خوف مقرور بمعرفة. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " أما والله إني لأنتقاكم الله وأخشاكم له" فالخوف حركة، والخشية اجتماع وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدوَ والسيَلَ ونحو ذلك له حالتان: إحداهما حركة الهرب منه، وهي حالة الخوف، والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه وهي الخشية^(١).

وقد ذكرت كلمة الخوف ومشتقاتها في كتاب الله مائة وأربعين وعشرين مرة.

أما كلمة الخشية ومشتقاتها فقد ذكرت في كتاب الله ثمانين وأربعين مرة.

وقد فرق الأستاذ الدكتور فضل عباس بين **اللفظين** قائلاً: "الخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قوياً، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيرًا"^(٢).

ويدل لذلك أن (الخاء ، والشين ، والباء) في تقاليبها تدل على العظمة نحو: شيخ : للسيد الكبير ، وخیش : لما غلط من اللباس.

و (الخاء ، والواو ، والفاء) في تقاليبها تدل على الضعف، ومنه الخوف لما فيه من ضعف القوة.

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الكلمتين "الخوف يتعلق بالمكروره وبترك المكروره،

تقول: خفت زيداً، كما قال تعالى: ﴿لَا يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَقْعُلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ﴾ (النحل: ٥٠)

وتقول خفت المرض، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١) ، والخشية تتعلق بمنزل المكروره، ولا يسمى الخوف من

نفس المكروره خشية، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١)^(٣).

ولعل أصل الخشية مادة خشت النخلة تخشو، إذا جاء ثمرها دقلاً (ردئاً) وهي مما يرجى منها الجيد.

* صحيح مسلم: (١٨٦٣) كتاب الصيام.

(١) بصائر نوى التبييز : ٥٤٥/٢.

(٢) إعجاز القرآن الكريم : ١٧١.

(٣) الفروق اللغوية : ٢٧٠.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُوحِيَنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِي بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسِّ الْخَافُ دَرْ كَا وَلَا تَخْشِي﴾ (طه: ٧٧)

"ففي جانب توقع الخطر من لحاق فرعون بهم وإيقاعه بهم قال له: (لا تخاف) بشاره له بالأمان والنجاة وأنه لا يقع له مجرد الشعور بالخوف من أن يدركه فرعون ويؤذيه، ولپسره بأن أمر فرعون هين وخطره ضعيف. وفي جانب خطر الغرق قال (ولا تخشى) لأن الشعور بالخطر عند قوم يسيرون بين جبال الماء أمر عظيم و خطر متيقن منظور فكان التعبير بقوله (ولا تخشى) تعبيراً مناسباً ليقتلع كل مظاهر الخوف من نفوسهم ولذا حذف المخشي لتذهب النفس فيه كل مذهب، فلا يترك له مصدراً يخشاه" (١).

"ومما يلاحظ في البيان القرآني المعجز النهي عن الخوف والحزن معاً، والنفي لهما جميئاً في سبعة عشر موضعاً من القرآن الكريم. وهو ما لم يرد ذكره مع الخشية مما يوحى باختلاف الخشية عن الخوف، وقيام فروق دقيقة بينهما يشير إليها الاستعمال القرآني لهما" (٢).
ومما يدل على الفرق بين (الخشية) و(الخوف) أنهما جاءا متعاطفين ، والأصل أن العطف يقتضي المغايرة.

الألفاظ (وهن .. وضعف .. واستكان):

وردت هذه الألفاظ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ يَسِّيَّ قَاتِلَ مَعَهُ رَبُّونٌ كَيْرُونٌ كَيْرُونٌ فَنَاهُوا مَا أَصَابُهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦)
فالوهن: "الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه... وامرأة وهناء: فيها فتور عند القيام وأناء... ويقال للطائر إذا أتقلَّ من أكل الجيف فلم يقدر على النهوض: قد توهَّنْ توهَّناً..." (٣).

"والوهن ضعف من حيثُ الْخَلْقُ أو الْخَلْقُ" (٤).

١- فالوهن يحمل معاني الضعف في العمل والإرادة، والضعف من حيثُ الْخَلْقُ والْخَلْقُ.

وقد وردت مادة (وهن) ومشتقاتها تسعة مرات في كتاب الله عز وجل:

(١) أسرار الترافق في القرآن الكريم : ٥٩.

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم : ٢٧٠.

(٣) لسان العرب: مادة (وهن) ٤١٧/١٥.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٦٠٨.

في قوله تعالى: ﴿أَقَالَ رَبِّي وَهُنَ الْعَظُمُ بَنِي وَاسْتَعْلَوْا أَوْسُ شَيْئًا لَّمْ أَكُنْ يُدْعَ إِلَّاكَ رَبِّ شَيْئًا﴾ (مريم: ٤)

وقوله: ﴿وَكَانَ مِنْ تَبِعِي قاتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهْنَوْا مَا أَصَابُهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْكَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦)

وقوله: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَئُمُّ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُمْ مُؤْمِنٌ﴾ (آل عمران: ١٣٩)

وقوله: ﴿وَلَا تَهْنُوا فِي أَيْقَاءِ النَّعْمَ إِنْ تَكُونُوا أَمْلَوْنَ كَمَا تَأْلَوْنَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٤)

وقوله: (فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَئُمُّ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكَنِيرُكُمْ أَغْنَمُكُمْ) (محمد: ٣٥)

وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْأَنْسَانَ بِوَالِدِهِ حَمَلَهُ أَمْهُ وَهُنَّا عَلَىٰ وَهُنْ وَقَاتُلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَيَّ الْمَصِيرِ﴾ (القمان: ٤)

وقوله: ﴿سَلُّ الَّذِينَ اتَّحَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَاءِ كَمَّلُ الْعَنْكَبُوتُ اتَّحَذَتْ يَسِّيَا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُسُوتَ لَيَسِّيَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْكَاتُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١)

وقوله: ﴿ذِكْرُكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ١٨)

أما الضعف: "الضعف والضعف": خلاف القوة، وقيل : الضعف بالضم، في الجسد، والضعف بالفتح، في الرأي ، وقيل : مما معًا جائزان في كل وجه... وضياع الشيء: مثلاه... والضعف في كلام العرب على ضربين: أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضييف الشيء... ^(١).

٢- فالضعف: نقص في القوة البدنية ينبع عنه عجز في القدرة الجسدية، وما يؤيد ذلك معنى قوله تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَسَيِّئَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلِيمٌ الْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤)

فالضعف الأول هو النطفة أو التراب، والثاني هو الضعف الموجود في الجنين والطفل، والثالث الذي بعد الشيخوخة وهو المشار إليه بأرذل العمر.

وقد وردت مادة (ضعف) و مشتقاتها اثنتين وخمسين مرة في كتاب الله تعالى - لابرى الباحث ضرورة إثباتها في بحثه- ومن أهم معانيها:

(١) لسان العرب: مادة (ضعف) .٦١/٨

خلاف القوة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا إِلَيْهِ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذِبَابًا وَلَا جَحْمَعًا وَلَهُ وَإِنْ يُسْتَأْنِفُوهُمُ الظَّبَابُ شَيْئًا لَا يُسْتَقْدِهُ وَمِنْهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (الحج: ٧٣)

والضعف في العقل والرأي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِذَا تَدَآئِمُ مِنْ بَدْءِنَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ فَأَكْبُوهُ وَلَنْ يَكُبَ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ أَنْ يَكُبَ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ فَلَنْ يَكُبَ وَلَنْ يَمْلِلَ النَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيْسَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَحْسُنُ مِنْهُ شَيْئًا فَلَنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِهِنَا أَوْ ضَعِيفِنَا أَوْ لَا يُسْتَطِعُنَا أَنْ يُسْلِلَ هُوَ فَلَمْ يُمْلِلْ وَلَيْسَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة: ٢٨٢)

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّهِ أَكْبَرٌ﴾ (سـا: ٣٣) وَالْتَّهُ أَكْبَرُ وَنَـا أَنْ يَكْفُرَ بِاللَّهِ وَيَجْعَلَ لَهُ أَدَادًا

وأما الاستكانة" استكان الرجل: خضع وذلّ، وهو اقتلع من المسکنة، أشبعـت حركة عينه فجاعت أـلـفـا... والـاستـكـانـة: استـقـعـالـ من السـكـونـ ...^(١).

٣- فالاستكانة تحمل معاني الخضوع والذل والاستسلام، وما يؤكّد هذا أن الاستكانة) وردت مرتين في القرآن الكريم، وتحمل معاني الخضوع والذل.

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ يُسَيِّرُ قَاتِلًا مَعَهُ رَبِيعُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا مَا أَحَبَّهُمْ فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْكَلُوا وَاللَّهُ يُحِبُ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦)

وفي قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَخْذَتِهِمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْكَنُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضْرَبُونَ ﴾ (المؤمنون: ٧٦) وعلى هذا يتبيّن الفرق بين الألفاظ الثلاثة: (الوهن والضعف والاستكانة)، وقد فسرها الزمخشري على نحو من ذلك فقال: "فما وهنوا" بكسر الهاء. والمعنى: فما وهنوا عند قتل النبي "وما ضعفوا" عن jihad بعده "وما استكانوا للعدو ... " (٢).

أما أبو السعود فقد فسرها بقوله: "ما و هنوا: أي ما فتروا وما انكسرت همتهم لما أصابهم في سبيل الله في أثناء القتال . . . وما ضغعوا: عن العدو وقيل عن الجهاد، وقيل : في الدين، وما استكانوا أي وما خضعوا للعدو . . . وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم . . . واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي المنافق في طلب الأمان من أبي سفيان"(٣).

(١) لسان العرب : مادة (سكن) ٦/٣١٦

(٢) تفسير الكشاف : ٤١٦/١

(٣) تفسير أبي السعود : ٤٥/٢ (الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتنة).

وكان معنى الآية: أن الله نفى عنهم الضعف في العمل والإرادة نتيجة ما أصابهم في سبيل الله أي أن عزيمتهم قوية وإرادتهم عالية فلم يهزموا نفسياً أو داخلياً، ثم نفى عنهم النقص في القوة البدنية الذي ينتج عنه عجز في القوة الجسدية وبهذا يكون قد اجتمع لديهم قوتان: القوة المعنوية والقوة الجسدية، وهاتان القوتان إن توفرتا لأي جندي أو إنسان فإنه لا محالة سيكون عزيزاً مرفوع الهامة لا يخضع ولا يذل ولا يستسلم. وبهذا العطف يكتمل المعنى من هذه المعاني المترابطة المتراصدة وتحسن النتيجة كما أوضحت ذلك هذه الكلمات الثلاث: (وهنوا - ضعفوا - استكانوا) والله أعلم.

اللفظان (حلف ... وأقسم) :

يرى بعض الناس أن الحلف والقسم لفظان مترادفان ، ولا يوجد فرق بينهما في الدلالة، وقد فسرت كتب اللغة أحدهما بالآخر، وقلا تذكر فرقاً بينهما، ومن هذا قول النابغة الذبياني:

حافتْ فَلْمُ أَتْرُوكْ لِنَفْسِكَ رِبِّيَةَ
وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

وقول الأعشى :

حافتُ بِرَبِّ الرَّأْقَصَاتِ إِلَى مَنِيَّ
إِذَا مَخْرَمُ جَاؤَزَنَهُ بَعْدَ مَخْرَمِ
وَحِينَ اسْتَقْرَأَءَ اسْتِعْمَالَ الْكَلْمَتَيْنِ، وَأَصْلَ اشْتِقَاقَهُمَا الْلَّغُوِيِّ، يَتَضَعَّفُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا،
وَهَذَا مَا سِيَحاُولُ الْبَاحِثُ عَمَلَهُ.

فقد جاء في لسان العرب في مادة (حلف) : "حلف: الحلفُ والحلفُ : القسم لغتان، حلف أي أقسم ... ورجل حالفٌ وحلافٌ وحلافةٌ : كثيرُ الحلف... الحليف: اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية... وناقة مُحافنة إذا شَكَ في سُمِّنِها حتى يدعُونَ ذلك إلى الحلف... والمُحَافِنُ من الغلمان: المشكوك في احتلامه لأن ذلك رِبِّيَا دعا إلى الحلف..." (١)

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الحلف والقسم، بقوله : "القسم أبلغ من الحلف؛ لأن معنى قوله : أقسم بالله، أنه صار ذا قسم بالله... والحلف من قوله : سيف حليف، أي قاطع ماضٍ ، فإذا قلت : حلف بالله فكأنك قلت قطع المخاصمة بالله، فالأول أبلغ لأنه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم، ففيه معنيان . وقولنا : حلف ، يفيد معنى واحداً وهو قطع المخاصمة فقط ..." (٢)

(١) لسان العرب: مادة (حلف) . ٢٨٥/٣ .

(٢) الفروق اللغوية : ٦٨ .

وقد وردت مادة (حلف) ومشتقاتها ثلاثة عشرة مرة في كتاب الله عز وجل وهي في أغلبها تحمل معاني الحنث باليمين والكذب، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَبَّحُلَّهُ لَوْ اسْطَعْنَا لَهُرْجِنَا مَعَكُمْ هُلُكُونَ أَنْفُسُهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِلَيْهِمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبه : ٤٢) وقوله تعالى : ﴿ لَيَحْمِلُنَّ بِاللَّهِ مَا قَاتَلُوا وَلَقَدْ قَاتَلُوا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ وَكَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ (التوبه : ٧٤) وقوله تعالى : ﴿ وَيَخْلُفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة : ١٤) وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ كَارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَّفْتُمْ ﴾ (المائدة : ٨٩) أي إذا حنثتم بأيمانكم فال فعل (حلف) له خصوصية اشتتماله على الحنث باليمين ، وهذه الخصوصية تبدو جلياً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ ﴾ (القلم : ١٠)

أما القسم فتفسره كتب اللغة بالحلف دون ذكر فروق بينهما، ولكن المتأمل في المعنى اللغوي للقسم يجد فرقاً ذا دلالة بينهما، وقد جاء في لسان العرب في مادة (قسم) : "... القسم ، بالتحريك : اليمين ... وقد أقسم بالله واستقسم به وقادمه : حلف له ... وأقسمت : حافت ... والمقوس: الرجل الحالف ..." (١).

أما الفيلوز آبادي فإنه يقول : "... القسم العطاء والرأي .. وأن يقع في قابك الشيء فقتنه ، ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة" (٢). فالقسم في اللغة - هنا - أقوى في الظن وأقرب إلى الحق ، وأبعد عن الشك والاحتمال ، كما هو الحال في الحلف.

فالقسم يكون على الحق الواضح البين ، والأيمان الصادقة ، ومما يدل على ذلك أن مادة (قسم) ومشتقاتها التي تحمل معنى " القسم " وردت اثنتين وعشرين مرة في كتاب الله عز وجل ، وهي في أغلبها تحمل المعاني السابقة ، وقد جاء القسم موصوفاً بالعظمة في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسْمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة : ٧٦) ، وقد كان أصحاب الجنة صادقين في قسمهم ، يقول عز وجل : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لِيَصْرِمُنَّهَا مُضِيْحِينَ ﴾ (القلم : ١٧) ، فهم لا يتزددون ولا يتغيرون.

ومن هذه الواقع التي ورد فيها لفظ (القسم) ، قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا تَنْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ حَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (النور : ٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ (الفجر : ٥)

(١) لسان العرب: مادة (قسم) ١٦٢/١١

(٢) القاموس المحيط : ١٦٤/٤ .

ومن اللطائف القرآنية إشارة القرآن الكريم خمس مرات إلى الجهد الذي يبذله بعض الكفار والمشرعين عند عقدهم اليمين ، مما يوحى بصدقهم في قسمهم، وإخلاصهم في اعتقادهم ، وإن لم يكن لهم الحق، ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمْ يَعْكُمْ﴾ (المائدة: ٥٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءُهُمْ آتَهُ لَوْمَنَّهَا﴾ (الأنعام: ١٠٩)

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَعْثُثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ﴾ (النحل: ٣٨)

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمْرَهُمْ يَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تَنْقِسُوا﴾ (النور: ٥٣)

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءُهُمْ نَذِيرٌ لَكُونُ أَنْهَدَى مِنْ إِخْدَى الْأَمْرِ﴾ (فاطر: ٤٢)

فعنايتهم واجتهادهم في هذه الأيمان ارتقى بها من الحلف إلى القسم، وتبيّن بعد ذلك أن الأمر بخلاف ما يريدون من الإيحاء بصدقهم فيها.

وتنقول عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" في حديثها عن آيات القسم والحرف في القرآن الكريم :

"وصنع القرآن يلفت إلى فرق دقيق بينهما. فإن لم نقل إن القسم لليمين الصادقة -حقيقة أو وهمـ والحرف لليمين الكاذبة، على إطلاقها. فلا أقل من أن يكون بين دلالتهما الفرق بين العام والخاص: فيكون القسم لمطلق اليمين بعامة، ويختص الحرف بالحث في اليمين على ما اطرد استعماله في البيان القرآني"(١).

وهذا فرق كبير واضح . يكفي لنفي تراويف الكلمتين تراويفاً تماماً(٢).

وبتأمل دقيق قوله تعالى: ﴿ذِلِكَ كَارَةٌ أَيْمَانُكُمْ إِذَا حَلَقُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذِلِكَ يُسِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَتَكُمْ شَكُورُونَ﴾ (المائدة: ٨٩) يبدو جلياً الإعجاز القرآني في استعمال الفعل (حلقتم) الذي يحمل معنى "الحث" ، وما يدل على ذلك أنه عز وجل ترك ذكر الحث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحث في الحلف، لا بنفس الحلف(٣).

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ٢٠٧.

(٢) الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ٢٤٣.

(٣) تفسير الكشاف : ٦٦٠/١.

أما قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنْ أَمْرَتْهُمْ لِيُخْرُجُنَّ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٥٣) ففي سياق الآيات الكريمة السابقة لهذه الآية يتحدث عن المنافقين الذين يظهرون الإيمان، ويبطئون الكفر، ويقولون بأفواهم ما ليس في قلوبهم، فهم ينسبون إلى أنفسهم الإيمان بالله وبالرسول، والطاعة لله ولرسوله نسبة بمجرد اللسان، لا عن اعتقاد صحيح.

ففي قوله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنْ أَمْرَتْهُمْ لِيُخْرُجُنَّ﴾ أي لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجن ، و"جهد أيمانهم" منتصب على أنه مصدر مؤكّد للفعل المذكور الناصب له أي : أقسموا بالله يجهدون أيمانهم جهدا ... وقيل: هو منصب على الحال والتقدير : مجتهدين في أيمانهم ... فرد عليهم الله زاجرا لهم ، ناهيا إياهم : " لا تقسموا " أي لا تحالفوا على ما ترمعونه من الطاعة والخروج إلى الجهاد إن أمرتم به^(١).
في بيان الفرق بين "الحلف والقسم" ، كما عرض في الصفحات السابقة ، يدل بما لا يدع مجالا للشك بأن الفعلين "حلف وأقسم" ليسا مترادفين ، بل أن لكل منهما خصوصية تميزه عن الآخر .

اللظاظان (خلق ... وجعل) :

ورد اللظاظان (خلق وجعل) في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ مِمَّا دَرَّى كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ (الأنعام: ١)
ويختلف التعبير بهذه اللظاظتين في القرآن الكريم ، فالفعل "خلق" يدل في اللغة على التقدير المستقيم ، والإيجاد بعد العدم ، والإبداع من غير أصل ولا احتداء ، ولهذا فهو فعل يتعدى إلى مفعوله دفعه واحدة .

وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا الله تعالى ، ولهذا قال تعالى في الفصل بينه وبين غيره:
﴿أَفَعَنِي شَلَّقَ كَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٧)

جاء في لسان العرب : "الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق" . والخلق في كلام العرب : ابتداع الشيء على مثل لم يسبق إليه ، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثل سبق إليه... والخلق: الكذب... واختلقه

وافتراه: ابتدعه؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَا إِنْكَاراً ﴾ (العنكبوت: ١٧) ...^(١) وقد أوضح

مجد الدين الفيروز أبيادي في بصائره^(٢) أن الخلق ورد في القرآن الكريم على ثمانية أوجه :

الأول - بمعنى دين الحق ﴿ لَا تُبْدِلَ لِخَلْقَ اللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٠) أي لدين الله .

الثاني - بمعنى الكذب : ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٣٧)

الثالث - بمعنى التصوير ﴿ وَإِذَا تَحْلُمُ مِنَ الطَّيْرِ ﴾ (المائدة: ١١٠) أي تصور .

الرابع - بمعنى التقدير ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلُقُونَ ﴾ (الفرقان: ٣) أي يقدرون .

الخامس - بمعنى الإنطاق: ﴿ قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقْكُمْ أُولَمَّا مَرَّ ﴾ (فصلت:

٢١) أي أنطقكم .

السادس - الخلق بمعنى الجعل : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ (الروم: ٢١)

السابع - بمعنى الإحياء في القيامة : ﴿ أَوْلَئِنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخْلُقَ مِنْهُمْ بَلَى وَهُوَ الْحَلَقُ الْعَلِيمُ ﴾ (يس: ٨١) أي يبعث .

الثامن - بمعنى حقيقة الخلة : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (الزمر: ٥) ، و ﴿ مَا خَلَقْتُمْ وَلَا

بَعْتُكُمْ إِلَّا كَفْسٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (القمان: ٢٨)

وقد وردت مادة (خلق) ومشتقاتها مائتين وإحدى وستين مرة في كتاب الله عز وجل ،

وهي في أغلبها تحمل المعاني التي سبق ذكرها .

ولأن أصل "الخلق" الإيجاد بعد العدم ، والإبداع من غير أصل ولا احتداء ، فإن

الله سبحانه وتعالى عبر عن إيجاد السماوات والأرض بعد العدم، وإبداعهما على غير أصل

أو احتداء بالفعل "خلق" ؛ ليبين أن ذلك إيجاد بعد عدم وإبداع فيه تقدير وإحكام .

"أما "جعل" فيفيد التضمين والتصوير ، والتحول والانتقال ، ولهذا فهو فعل يباشر

مفعوله حالاً بعد حال ، فيتعدد فيه المفعول وتدرج فيه الأطوار " ^(٣) .

وهو لفظ عام في الأفعال كلها، فهو يجري مجرى صار، وأوجد ، وأوجد شيئاً من

شيء، وصير .

(١) لسان العرب : مادة (خلق) ١٩٢/٤ .

(٢) بصائر ذوي التمييز : ٥٦٩/٢ .

(٣) أسرار الترافق في القرآن الكريم: ٦٥ .

وقد جاء في لسان العرب: "جعل الشيء :وضعه ... وصنعه ... وصيّره ... وجعل الطين خرفاً والقبيح حسناً : صيّره لياه ... وجعل : خلق... وجعلت زيداً أعلم الناس أي قد وصفته بذلك وحكمت به ..." (١)

فال فعل "جعل" يحمل معاني التضمين والتضيير والانتقال من حال إلى حال ، وقد وردت مادة (جعل) ومشتقاتها ثلاثة وستة وأربعين مرة في كتاب الله عز وجل وهي تحمل المعاني السابقة .

وبتأمل الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ مِمَّا لَذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ (الأنعام: ١)

يتبيّن أن الله سبحانه وتعالي عن إيجاد السماوات والأرض بعد العدم بالفعل خلق، وقد جمع السماوات لأنها عوالم كثيرة، وأفرد الأرض لأنها عالم واحد، ولذلك لم يجيء لفظ الأرض في القرآن الكريم جمّاً ، وأن السماوات والأرض ذوات مخلوقة، فقد استخدم الفعل "خلق" معهما.

ولما كان خلق الظلمات والنور تكويناً لتكيف موجودات السماوات والأرض بهما، وقد جمع "الظلمات" وأفرد "النور" اتباعاً للاستعمال، لأن لفظ "الظلمات" بالجمع أخف، ولفظ "النور" بالإفراد أخف، ولذلك لم يرد لفظ "الظلمات" في القرآن الكريم إلا جمّاً ، ولفظ "النور" لم يرد إلا مفرداً، وهو معاً دالان على الجنس، والتعرّيف الجنسي يستوي فيه المفرد والجمع. فالتفرق بين فعل "خلق" و فعل "جعل" هنا محدود من فصاحة الكلمات ، وإن لكل كلمة مع صاحبها مقاماً ، وهو ما يسمى في عرف الأدباء برشاقة الكلمة ، ففعل "خلق" أليق بإيجاد الذوات ، وفعل "جعل" أليق بإيجاد أعراض الذوات وأحوالها ونظمها (٢).

وكأن التعبير القرآني استعمل كل فعل من الفعلين (خلق وجعل) في موضعه ، وذلك حينما كان الشأن في خلق السماوات والأرض إيجاداً بعد عدم وإيداعاً فيه تقدير وإحكام ، فقد استخدم الفعل "خلق" ، ولما كان الشأن في الظلمات والنور أن يتربّل الواحد منها على الآخر ، ويسبق به وأن الإيجاد فيها إيجاد تحول وانتقال ، وليس إيجاداً بعد عدم وإيداعاً ، عبر عنه بالفعل "جعل" ، ليدل على أنه مرحلة لاحقة لمرحلة الخلق ، وأن هذه المرحلة تتعدد وتتكرر حالاً بعد حال ، كلما تعاقب الليل والنهار . لكل ما سبق يمكن القول ، وبما لا يدع مجالاً للشك : إن الفعلين وإن اشتراكاً في الدلالة - جزئياً - على الإيجاد إلا أن كلاً منها ينفرد بخصوصية تميّزه عن غيره .

(١) لسان العرب : مادة (جعل) / ٢ . ٣٠٠ .

(٢) تفسير التحرير والتتوير : المجلد الرابع ، ١٢٧/٧ .

الفصل الرابع

التشابه في النظم القرآني

التشابه في النظم القرآني

التكرار

التكرار في اللغة : الكرّ الرجوع، والتكرار مصدر (كرر) إذا ردّ وأعاد. يقال : كرّ الشيء تكريراً ، وتكلّماً ، أعاده مرة بعد أخرى^(١). والتكرار في الاصطلاح عند علماء البلاغة: دلالة اللفظ على المعنى مردداً، لأغراض مقصودة^(٢).

والمتبّع لأسلوب التكرار في اللغة العربية، يتضح له أنه يشتمل على كثير من الأسرار، التي تكسب الكلام حسناً وجمالاً، وتعين الأديب على تحقيق أغراضه. ويرى الدكتور محمود السيد شيخون في كتابه "أسرار التكرار في لغة القرآن"^(٣) أن أسلوب التكرار في لغة العرب يتّوّع إلى ستة أنواع :

- ١ - تكرار مفيد يوجد في اللفظ والمعنى، يدل على معنى واحد، والمقصود به غرضان مختلفان.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُدْكِمُ اللَّهُ أَخْدَى الطَّاهِرَيْنِ أَتَهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ دَاتِ الشَّوْكَةِ كَوْنُ لَكُمْ وَتُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَارِ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُنْهِيَ الْبَاطِلَ وَلَوْكَرَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٨-٧) ففي الآيتين الكريمتين تكرار في اللفظ والمعنى، وهو قوله تعالى : "يحق الحق، ليتحقق الحق" ، وإنما جاء به هنا؛ لاختلاف المراد، وذلك أن الأول تميّز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم، وخذل أولئك إلا لهذا الغرض.

- ٢ - تكرار مفيد يوجد في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد، والمقصود به غرض واحد.

ومن شواهده قوله - صلى الله عليه وسلم - لبني هشام بن المغيرة حين استأذنوه أن ينكحوا علياً ابنتهـم: "فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهـم".

(١) لسان العرب : مادة (كرر) .٦٤/١٢ .

(٢) الحلي، صفي الدين: شرح الكافية البدعية في علوم البلاغة ومحاسن البدع، تحقيق نسيب شاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣م، ١٣٤.

(٣) شيخون، محمود السيد: أسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ١٦-٩.

* صحيح البخاري : (٤٨٢٩) كتاب النكاح.

فقوله : "لا آذن" تكرار في اللفظ والمعنى، وإنما جاء به لغرض واحد، هو تأكيد القول في منع على من التزويج بابنة أبي جهل بن هشام.

٣- تكرار غير مفيد، يوجد في اللفظ والمعنى، ومن شواهده قول أبي الطيب المتنبي:

لَمْ أَرْ مِثْلَ حِبْرَانِي وَمِثْلِي
لِمَّا تَرَى عِنْدَهُمْ مِثْلُهُمْ مَقَامٌ

فهو أراد أن يقول : لم أر مثل حبراني في سوء الجوار، ولا مثلي في مصابرتهم، ومقامي عندهم. وهذا المعنى لا يحتاج إلى مثل هذا التكرار، فضلاً عما فيه من الفحش والقبح.

٤- تكرار مفيد ، يوجد في المعنى دون اللفظ، يدل على معنيين مختلفين.

ويدخل في هذا النوع كل تكرير في المعنى، يدل على معنيين: أحدهما خاص، والأخر عام، كقوله تعالى: ﴿وَلَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٤٠).

فإن الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير؛ لأن الأمر بالمعروف خاص، والخير عام، فكل أمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمراً بالمعروف ، وذاك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف.

وفائدة التكرار في الآية الكريمة للتبيه على فضل الخاص.

٥- تكرار مفيد ، يوجد في المعنى دون اللفظ، يدل على معنى واحد فقط.

ومن شواهده قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَا إِنَّمَا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأُولَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا
وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن: ١٤).

فإنه إنما كرر العفو ، والصفح، والمغفرة، والجميع بمعنى واحد - متقارب - للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده، والزوج عن زوجته.

وقول أمير القيس:

فِي الَّاكَ مِنْ لَيلٍ كَانَ نَجْوَةٌ
بِكُلِّ مَغَارٍ الْفَتْلِ، شَدَّتْ بِيَذْبَلٍ

كَانَ الثُّرِيَّا عَلَقْتُ فِي مَصَامِها
بِأَمْرَاسٍ كَتَانٍ إِلَى صَمَ جَنْدَلٍ

فالبيت الأول يعني عن الثاني، والثاني يعني عن الأول، ومعناهما واحد؛ لأن النجوم تشتمل على الثريا، كما أن يذبل يشتمل على صم الجندي، وقوله : (شدت بكل مغار الفتيل) مثل قوله: (علقت بأمراس كتان).

٦- تكرار غير مفيد ، يوجد في المعنى دون اللفظ.

ومن شواهده قوله أبي تمام:

فَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعُهَا بَيْنَ الصَّبَّا

وَقُبُولُهَا، وَدُبُورُهَا أَثْلَاثًا
فَإِنَّ الصَّبَّا هِيَ الْقَبُولُ، وَلَيْسَ فِي هَذَا التَّكْرَارِ فَائِدَةٌ تَرْجِعُ إِلَى الْمَعْنَىِ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ تَرْخِرُ آيَاتِه بِأَسْلُوبِ التَّكْرَارِ الَّذِي وَرَدَ لِمَعْنَىِ جَزْلَةٍ، وَاشْتَمِلَ عَلَىِ
أَسْرَارٍ وَرَمْوزٍ مِنْ أَحَاطَتْ بِهَا فَقْدٌ أُوتِيَ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَفَاتِيحَ الْكَنُوزِ.

وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ مِنْ ضَعْفَتْ بِصِيرَتِهِ، وَقَوْيَ حَقْدَهُ أَنَّ التَّكْرَارَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَالٍ
عَنِ الْفَائِدَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ إِلَّا مَجْرِدَ التَّكْرَارِ، وَأَحَالُوهُ إِلَىِ النَّفْسِ وَالْوَهْنِ.

وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ الْبَيَانِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ إِلَىِ القَوْلِ بِالتَّكْرَارِ فِي الْبَيَانِ الْقَرَآنِيِّ، وَاعْتَبَرُوهُ
تَكْرَارًا حَكِيمًا مَقْصُودًا، وَأَسْلُوبًا بِلَاغِيًّا رَفِيعًا، كَمَا اعْتَبَرُوهُ تَكْرَارًا "مُضِيفًا"، يُضَيِّفُ الْقُرْآنَ
فِيهِ فِي كُلِّ مَرَةِ جَزْءًا مِنَ الْمَعْنَىِ، أَوْ لَفْظًا جَدِيدًا، وَيَفْعُلُ ذَلِكَ لِهَدْفٍ بِلَاغِيٍّ وَحِكْمَةً مَرَادَةً.

وَذَكَرَ الدَّكْتُورُ صَلَاحُ الْخَالِدِيُّ فِي كِتَابِهِ "إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْبَيَانِيِّ وَدَلَائِلُ مَصْدِرِهِ
الْبَيَانِيِّ"^(١) وَجْهَ التَّكْرَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا:

١- قَدْ يَكُونُ الْمَكَرَرُ لَفْظًا يُؤْدِي مَعْنَى فِي الْجَمْلَةِ، وَيَكُونُ لِحِكْمَةِ مَقْصُودَةِ.

٢- قَدْ يَكُونُ الْمَكَرَرُ قَصَةً، تَذَكَّرُ فِي عَدَدِ مَوَاضِعٍ، مَعَ إِضَافَةٍ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، مُتَنَاسِقةٌ مَعَ
السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ.

٣- قَدْ يَكُونُ الْمَكَرَرُ آيَةً تَتَكَرَّرُ فِي السُّورَةِ لِحِكْمَةِ مَقْصُودَةِ.

٤- قَدْ يَكُونُ الْمَكَرَرُ أَمْرًا أَوْ نَهِيًّا أَوْ إِرْشَادًا أَوْ نَصْحَةً، أَوْ حَثًّا عَلَىِ فَضْلِيَّةٍ، أَوْ تَرْغِيَّبًا فِي
خَيْرٍ، أَوْ تَنْفِيرًا مِنْ شَرٍّ.

وَسِيَاحُ الْبَاحِثِ فِي الصَّفَحَاتِ التَّالِيَّةِ تَبَيَّنُ إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْبَيَانِيِّ فِي اسْتِعْمَالِ أَسْلُوبِ
الْتَّكْرَارِ، الَّذِي يَحْمِلُ أَسْرَارًا وَأَغْرِاصًا بِلَاغِيَّة، مِنْهَا: الْحَثُّ عَلَىِ الْعَظَةِ وَالْاعْتِبَارِ وَالْتَّأْمِلِ،
وَالْمَوَاظِبَةِ وَالْتَّقْرِيرِ، وَالتَّخْصِيصِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالْإِيحَاءِ بِالرَّهْبَةِ وَالْخُوفِ...

(١) إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْبَيَانِيِّ وَدَلَائِلُ مَصْدِرِهِ الرَّبَانِيِّ: ٣١١

تكرار الكلمات

ومن الأمثلة على تكرار بعض الألفاظ في آية واحدة قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَعْجَبْ فَعَجَبْ قُولُمْ إِذَا كَفَرَ بِاَيَّاً لَهُ فِي خَلْقِ جَدِيدٍ اُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الرعد:٥).

"أقام الله تعالى في الآيات السابقة الأدلة السماوية والأرضية على قدرته، ليثبت للناس أن من كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة، كيف لا تكون وافية بإعادة الإنسان من موته... ثم حكى هنا إنكار المشركين للبعث والقيمة"^(١).

وبعدما دعت الآية الكريمة إلى التعجب من إنكارهم للبعث أخبرت عنهم ثلاثة أخبار: كفروا بربهم، والأغلال في عنقهم ، وهم أصحاب النار خالدون فيها.

والشاهد في الآية الكريمة تكرار اسم الإشارة "أولئك" ثلاثة مرات، حيث ورد مع كل جملة قدمت خبراً من الأخبار الثلاثة... والمعترضون على الآية - الذين يرون التكرار ركيكاً ردئاً - يقترحون أن يكون التعبير هكذا: ... أولئك الذين كفروا بربهم، والأغلال في عنقهم، وهم أصحاب النار هم فيها خالدون !^(٢).

وفي رأيهم السابق يكون التعبير ضعيفاً ، وقد يقود إلى لبس في المعنى، والوقوع في أخطاء نحوية- كما أوضح الدكتور صلاح الخالدي في كتابه : "إعجاز القرآن البشري": الجملة الأولى : اسمية مكونة من مبدأ وخبر : "أولئك الذين كفروا" ، والتقدير: منكرو البعث كفار بربهم.

والجملة الثانية: عند حذف اسم الإشارة "أولئك" ، قد تفهم الواو فيها على أنها واو الحال، فتكون الجملة حالية، ويكون المعنى: منكرو البعث كفار حالة كون الأغلال في عنقهم. وليس هذا المقصود.

والجملة الثالثة: عند حذف اسم الإشارة "أولئك" تكون الواو حرف عطف، عطفت قوله: " أصحاب النار هم فيها خالدون" على قوله : "أولئك الذين كفروا بربهم" ، وليس العطف مقصود الآية.

(١) الزحيلي، وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر- بيروت، ودار الفكر - دمشق، ط٢، ١٩٩٨م، ١٣/١١١.

(٢) إعجاز القرآن البشري ودلائل مصدره الرباني: ٣١٢

فتكرار اسم الإشارة "أولئك" في الآية حكيمٌ ومقصودٌ ، لتحقيق هدف معنوي وتناسق بلاغي.

الواو في الجملتين (الثانية والثالثة) واو استثنافية، وليسوا واو الحال أو واو العطف، والذي حدد ذلك تكرار "أولئك" ، فأصبحت كل جملة تحمل خبراً مستقلاً مرتبطاً مع ما قبله. وقد عبر الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي عن حكمه سبحانه وتعالى عليهم بأحكام ثلاثة، تمثل فيها كل جملة مرحلة من مراحل حياة الكفار، بقوله : "أولئك هم الكافرون الذين جحدوا بربهم، وكذبوا برسوله، وتمادوا في عنادهم وضلالهم؛ لأن إنكار قدرة الله تعالى إنكار له، وهذا يدل على أن كل من أنكر البعث والقيمة، فهو كافر، وأولئك المقيدون بالسلسل والأغلال يسحبون بها... وأولئك أهل النار الملازمون لها، المستحقون دخولها، الماكثون فيها أبداً... وهذا يدل على أن العذاب المخلد ليس إلا للكفار بهذه الآية" ^(١).

ونظراً للمعنى المستقل لكل خبر من الأخبار الثلاثة، ولاستثنافية الكلام في كل جملة من الجمل الثلاث، ول الحديث كل جملة، عن مرحلة من مراحل حياتهم الثلاثة، حسن ذكر اسم الإشارة "أولئك" مع كل جملة، وتكراره ثلاث مرات.

فهذا التكرار للفظ "أولئك" حكيمٌ ومقصودٌ ، وجيء به كل مرة لتفوية الصياغة، وتأكيد المعنى، وتقدير الحقيقة، ولا يتحقق ذلك لو حُذف في المرة الثانية والثالثة! ^(٢) .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)، المقصود من الآية الكريمة تبرئة مريم مما رمتها به اليهود، وإظهار استحالة أن يكون عيسى عليه السلام إليها.

ومتأمل للآية الكريمة السابقة يلحظ أن الفعل (اصطفاك) تكرر مرتين، والذين يرون التكرار ركاكةً وضعفاً في التعبير، يقترحون أن التعبير هكذا : ... إن الله طهرك واصطفاك على نساء العالمين.

ولبيان فساد رأيهم ومعنى ما يقترحون، يرى الباحث أهمية ذكر الآراء التي تعلل بتكرار الفعل (اصطفاك).

" قيل: كرر على سبيل التوكيد والمبالغة، وقيل : لا توكيده إذ المراد بالاصطفاء الأول اصطفاء الولاية، وبالثاني: اصطفاء ولادة عيسى لأنها بولادته حصل لها زيادة اصطفاء وعلو منزلة على الأκفاء... " ^(٣) .

(١) التفسير المنير: ١١٣/١٣.

(٢) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ٣١٤.

(٣) تفسير البحر المحيط: ٤٧٦/٢.

وقال الزمخشري: "اصطفاك أولاً حين تقبلك من أمك وربك واختصك بالكرامة وطهرك مما يستقرن من الأفعال، وما قدفك به اليهود، واصطفاك على نساء العالمين لأن وهب لك عيسى من غير أب؛ ولم يكن ذلك لأحد من النساء" ^(١).

وقد قال محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره "محاسن التأويل" بما قاله الإمام الزمخشري، يقول القاسمي: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَكَ بِالثُّرِيبِ وَالْمُحْبَةِ، (وطهرك) عن الرذائل ليذوم انجدابك إليه، (واصطفاك على نساء العالمين) بالتفضيل وبما أظهره من قدرته العظيمة حيث خلق منك ولدًا من غير أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء" ^(٢).

إن المتأمل لأقوال المفسرين في تكرار الفعل (اصطفاك) يدرك بوضوح، أن التكرار مقصود، وأن السياق يقتضي هذا التكرار؛ ليستقيم المعنى وتبيين مكانة مريم وطهرها.

ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ رَمَّا حَسَّ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزِنَّاهَا أَلَمْ يَأْكُمْ رَسُولُنَا مِنْكُمْ بِلَوْنٍ عَلَيْكُمْ آيَاتٌ رِّبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا إِلَىٰ لَكُمْ حَتَّىٰ كَلْمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾ (ال Zimmerman: ٧١).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيِّقَ الَّذِينَ أَتَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَحَنَّمَ رَمَّا حَسَّ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزِنَّاهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبِّمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (ال Zimmerman: ٧٣).

والمتأمل لهاتين الآيتين يلحظ ذكر الفعل المبني للمجهول (سيق) مررتين فيهما، وفي السورة نفسها، إذ عبر الله سبحانه وتعالى بلفظ واحد (سيق) عن حالين، فقد دل اللفظ في الحال الأولى على الهوان والذلة والعذاب، بينما دل في الحال الثانية على الإكرام وحسن الاستقبال والحفاوة.

ومما يدل على أن (سيق) في الحال الأولى اختص بسوق الذين كفروا إلى جهنم بالعنف والدفع قوله تعالى: ﴿لَيَوْمٍ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَّاً﴾ (الطور: ١٣)، أي يدفعون دفعاً، وقوله تعالى: ﴿وَسُوقَ الْمُجْرِمُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَدًا﴾ (مريم: ٨٦)، وقوله تعالى: ﴿كَانُوا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (الأناضول: ٦).

وفي سوق الذين كفروا إلى جهنم - التي كانت مغلقة، فلما جاءوها فتحت أبوابها في وجوههم فجأة - تهويلاً ورعباً.

(١) تفسير الكشاف: ٣٥٥/١.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحطيبي، علق عليه وخرج أحدياته محمد فؤاد عبد الباقي، ٨٤١/٣.

ومما يدل على مظاهر الهوان والذل لأولئك الذين كفروا الاستفهام الموجه إليهم "ألم يأتكم رسل منكم" فهو استفهام تقريري يستعمل في الضرر والتوجيه، وجوابهم بالحرف "بلى" إقرار منهم بإبطال المنفي في الاستفهام التقريري، وهو يحمل معانى الذل والهوان.

أما (سيق) في الحال الثانية، فهو على طريقة المشاكلة لـ (سيق) الأول ، والمشكلة من المحسنات، وهي "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا"^(١).

" وهي عند التحقيق من قبيل الاستعارة التي لا علاقة لها إلا المشابهة الجميلة التي تحمل عليها مجانية النظر"^(٢).

وفي الحال الثانية جعل الله سبحانه وتعالى الذين انتقدوا ربهم زمراً بحسب مراتب النقوى، وفي هذه الآية ذكر سبحانه وتعالى الواو، في جملة "فتحت أبوابها" وهي الواو الحال، فعندما جاءوها وجدوا أبوابها مفتوحة، وقد قال عز وجل في موضع آخر من كتابه العزيز:

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفَسَّحَةً لِهِمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥٠) على عكس ما ورد في الآية السابقة التي حملت معانى المفاجأة والذل للذين كفروا.

ومما يدل على مظاهر الإكرام والحفاوة وحسن الاستقبال لأولئك الذين انتقدوا ربهم، ما استقبلوا به من الملائكة بالسلام، والدعاء لهم، ففي قوله تعالى : "طبتم" دعاء لهم بالطيب، وهي جملة إنسانية تحمل معانى الدعاء والتكرير لأولئك المتقين.

وقد قرأ الجمهور "فتحت" بتشديد التاء للمبالغة في الفتح، وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف التاء على أصل الفعل^(٣).

وفرق الإمام الزمخشري بين "السوقين" بقوله : "فإن قلت : كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ السوق؟ قلت : المراد بسوق أهل النار : طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة : سوق مراكبيهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحيثما إسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين"^(٤).

(١) - الفزويني ، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ٣٢٧ .
- المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط٥، ١٩٩٢، ٣٠٢ .

(٢) تفسير التحرير والتوضير: المجلد الحادي عشر، ٧١/٢٤ .

(٣) تفسير التحرير والتوضير: المجلد الحادي عشر، ٦٩/٢٤ .

(٤) تفسير الكشاف : ١٤٢/٤ .

وبعد، أليس هذا قمة الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للألفاظ المتشابهة في معانٍ مختلفة؟!.

ومنه قوله تعالى : « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ ۝ » (النور: ٤٣، ٤٤)

فقد ذكر لفظ "الأبصار" مرتين في الآيتين الكريمتين، ويبدو للوهلة الأولى أنهما متقلبان لفظاً ومعنى.

إلا أن المتأمل والمتدبر لا بد وأن يلحظ اختلافهما في المعنى، ولبيان ذلك يرى الراغب الأصفهاني أن "البصر يقال للجارية الناظرة نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّنِّيْحُ الْبَصَر﴾" (النحل: ٧٧، القمر: ٥٠)، « ﴿وَإِذْ رَأَغَتِ الْأَبْصَار﴾» (الأحزاب: ١٠)، وللقوة التي فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر نحو قوله تعالى : « ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾» (آل عمران: ٢٢) وقال : « ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾» (النجم: ١٧)، وجمع البصر أبصار ، وجمع بصيرة بصار...»^(١).

فالبصر - عند الراغب الأصفهاني - قد يحمل معنى الجارية الناظرة، وقد يحمل معنى قوة القلب المدركة.

وبالرجوع إلى كتب التفاسير، والبحث عن دلالة اللفظ "الأبصار" الذي ورد مرتين في الآيتين الكريمتين من سورة النور "إن في ذلك إشارة إلى ما تقدم من الدلائل الدالة على وحدانيته من تسبيح ، من ذكر ، وتسخير السحاب ، وما يحدثه تعالى فيه من أفعاله حتى ينزل المطر فيقسم رحمته بين خلقه، وإرائهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف الأبصار، ويقلب الليل والنهار (عبرة) أي : اتعاظاً، وخصّ أولو الأبصار بالاتعاظ، لأن البصر وال بصيرة إذا استعملما وصلا إلى إدراك الحق، كقوله : " ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَاب﴾" (الرعد: ١٩)^(٢).

فلفظ "الأبصار" في الآية الأولى يدل على الجارية الناظرة، و "الأبصار" في الآية الثانية لا يختص بالجارية، وإنما يحمل معنى العبرة والاتعاظ، فهو عبرة وعظة لمن نظر وفك وتبصر وتدبر. وذكر اللفظين المتضادين لفظاً والمختلفين معنى يعرف عند البلاغيين بالجناس أو التجنيس، والجناس بين اللفظين "هو تشابههما في اللفظ ، والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهباتها وترتيبها، فإن كانا من نوع واحد كاسمين سمي مماثلاً"^(٣).

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ٥٩.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٤٢٧/٦.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٥٤.

ويرى الأستاذ الدكتور محمد علوان أن الإعجاز البياني في استعمال الجناس يمكن في الوظيفة التعبيرية، أو ما يسمى بحسن الإفادة، مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة، ويكون كذلك في إبراز الأثر النفسي المتمثل في السامع أو القارئ حين سماعه للكلمة الثانية وتوهمه بأنها هي ذاتها الأولى^(١).

وقد أبرز الإمام عبد القاهر الجرجاني الأثر النفسي للجناس في ذهن السامع أو القارئ، يقول الإمام عبد القاهر: "أما التجنيس فإنه لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنיהם من العقل موقعاً حميداً، ولم يسكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً... قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أطاعها، ويوجهك كأنه لم يزدك، وقد أحسن الزيادة ووفاها، ف بهذه السريرة صار التجنيس - وخصوصاً المستوفى منه المتفق في الصورة - من طلي الشعر ومذكوراً في أقسام البديع"^(٢).

فالإمام عبد القاهر وضح الأثر النفسي للجناس في ذهن السامع أو القارئ، ويرى أن الجناس التام سواء أكان مماثلاً أم مستوفى، وهو ما كان الجناس فيه بين نوعين كاسم و فعل ، إلا أن عبد القاهر يفضل المماثل وهو ما كان اللفظان فيه من نوع واحد، كما في لفظ "الأبصار" الذي ورد مرتين في الآيتين الكريمتين من سورة النور.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ قُسِّمُ الْجَنَاحِ مَنْ مَا يَشَاءُ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَأَوْا يُؤْفَكُونَ﴾ (الروم:٥٥). فقد ذكر الله سبحانه وتعالى لفظ "الساعة" مرتين في الآية الكريمة، وبين اللفظين جناس تام، والجناس " وهو على تنوّعه عبارة عن اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معنיהם، وهو عظيم الموضع في البلاغة، جليل القدر في الفصاحة، ولو لا ذلك لما نزل الله كتابه المجيد على هذا الأسلوب... والكامل هو أن تتفق الكلمتان في الوزن والحركات والسكنات، ويقع الاختلاف في المعاني"^(٣).

ولفظ الساعة الأول المراد به يوم القيمة، وسميت القيمة ساعة؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا.

ولفظ الساعة الثاني المراد به الساعة الزمنية، فعند قيام الساعة (القيمة) يحلف المجرمون ما لبثوا في الدنيا أو في قبورهم غير ساعة، فكأنهم استقلوا مدة لبthem ، واستقر ذلك في أذهانهم ، فأقسموا بذلك ، وهم يظنون أن قسمهم مطابق للواقع.

(١) الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والتشابهات: ٤٦.

(٢) أسرار البلاغة: ٢٦.

(٣) العلوى ، الإمام يحيى بن حمزة: الطراز ، راجعه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ٥٦٢.

فاللفظان "الساعة" و "ساعة" بينهما جناس تام، فهما متفقان لفظاً ، ولكنهما يختلفان من حيث المعنى.

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالسَّيَّاءُ رَفَعَاهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ أَلَا كَطْفُوا فِي الْمِيزَانِ ۚ وَأَقْبَلُوا الْوَزْنَ بِالْقُسْطِ ۖ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۚ﴾ (الرحمن: ٩-٧)

يرى بعض المفسرين أن لفظ الميزان في الآيات الكريمة من سورة الرحمن مراد به العدل.

و قبل الشروع في بيان اختلاف المراد من لفظ الميزان في الآيات الكريمة يجمل ذكر أن الميزان أصله اسم آلة الوزن، والوزن تقدير تعادل الأشياء وضبط مقادير تقابها، وهو مفعال من الوزن، وشاع إطلاق الميزان على العدل باستعارة لفظ الميزان على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس.

وسورة الرحمن من سور القرآن الكريم التي ذكر الله فيها نعمه وألاءه على عباده، ومن هذه النعم أنه سبحانه وتعالى ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۚ﴾ (الرحمن: ٧) ، كما أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَالْأَرْضَ وَصَعَّبَ لِلَّاتِمِ ۚ﴾ (الرحمن: ١٠) ، ويبدو - في ظن الباحث والله أعلم - أن اقتران الميزان والأرض بالفعل "وضع" يحمل معاني الشركة بين الميزان والأرض، وعلى هذا يكون المقصود بالميزان هو التوازن الذي خلقه الله سبحانه وتعالى بين مخلوقاته كما وكيفاً، وقدر كل شيء تقديرأً فقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ قَدْرِهِ ۚ﴾ (الفرقان: الآية ٢).

هذا التقدير هو "الميزان" الذي وضعه الله ووضع الأرض، فالميزان مرتبط بالإنسان الذي يسكن الأرض، وهنا يرد على الخاطر ما يعرف باسم "توازن البيئة" الذي لو اخلل هذا التوازن لفسدت الأرض.

ويجب تذكر ما يجري الآن في أستراليا من مطاردة ملايين الأرانب بعد السماح لها بالتكاثر وتحولها إلى خطر يتهدد اقتصادها القومي، وما يحدث من انقراض بعض الطيور بسبب الإسراف في استعمال المبيدات والأسمدة الكيماوية، وكذلك ما حدث من تقب لطبقة الأوزون في الغلاف الجوي بسبب المبالغة في استعمال بعض الغازات، وقد ذكر ذلك بالتفصيل الدكتور تمام حسان في كتابه "البيان في روائع القرآن" (١).

من هنا فإن الله تعالى ينبه عباده بقوله : ﴿ أَلَا كَطْفُوا فِي الْمِيزَانِ ۚ﴾ (الرحمن: ٨) .

أما قوله عز وجل بعد ذلك ﴿ وَأَقْبَلُوا الْوَزْنَ بِالْقُسْطِ ۖ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۚ﴾ (الرحمن: ٩) فيفهم على قصد المشاكلة، والمشاكلة من المحسنات وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته

(١) حسان، تمام: البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة، ط٢ ، ٢٠٠٠م ، ٣٤٤/٢.

تحقيقاً أو تقديرأ ، شأنه في ذلك شأن قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ قُومُ السَّاعَةِ يُقْسِمُ الْجُرُمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةً كَذِلِكَ كَاتُوا وَفَكُونَ﴾ (الروم: ٥٥) ، اذ انفق اللفظ واختلف المعنى.

ومعنى ذلك أن الإنسان مطالب بالمحافظة على توازن البيئة لئلا تفسد حياته على الأرض فقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا هُوَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا يَأْفَسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١) فلا شك إذاً أن توازن البيئة من آلاء الرحمن ونعمته^(١).

وللإمام الطاهر بن عاشور رأي جميل في بيان إعجاز القرآن الكريم في الآيات الكريمة من سورة الرحمن والتي ورد فيها ذكر لفظ "الميزان" ، يقول : "ولفظ الميزان يسمح بإرادة المعنيين على طريقة استعمال المشترك في معنبيه. وفي لفظ الميزان وما قارنه من فعل "وضع" و"فُعلٌ" لا تطغوا" و "أقيموا" وحرف الباء في قوله "بالقسط" وحرف (في) من قوله "في الميزان" ولفظ "القسط" ، كل هذه ظاهرات على إفاده هذه المعانى وهذا من إعجاز القرآن"^(٢).

من العرض السابق يتضح الإعجاز البصري للقرآن الكريم في استخدامه لفظ "الميزان" بمعنيين مختلفين .

وقال تعالى : ﴿مَثُلُّ الذِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمَثُلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذُتْ بَيْتاً وَلَمَّا أُوْهِنَّ الْبُيُوتَ لَيْسَتُ الْعُنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١)

ورد الفعل "اتخذ" مررتين في الآية الكريمة، فالاتخاذ واقع من المشركيين في قوله تعالى: "مثل الذين اتخذوا" ، وواقع من العنكبوت "كمثال العنكبوت اتخذت بيته" فهل الفعلان في هذه الآية يحملان المعنى نفسه؟ أم أنهما يختلفان؟

فالاتخاذ " مصدر من باب الافتعال . وقد اختلف في أصله، فقيل: من تَخَذَ يَتَخَذُ تَخْذًا" اجتمع فيه الناء الأصلي، وناء الافتعال، فأدغما ... لكن الأكثرين على أن أصله من الأخذ، وأن الكلمة مهملة، ولا يخلو هذا من خلل، لأنه لو كان كذلك لقالوا في ماضيه: اتَّخَذَ بهمزتين على قياس اتَّئْمَرَ ، واتَّئْمَنَ... ومعنى الأخذ والتَّخْذُ واحد . وهو حوز الشيء وتحصيله ...^(٣).

وقد ورد الاتخاذ في القرآن الكريم على ثلاثة عشر وجهاً ذكرها الفيروز أبيادي في بصائره .

(١) البيان في روايَة القرآن : ٣٤٤/٢ .

(٢) تفسير التحرير والتتوير: المجلد الثالث عشر ، ٢٣٩/٢٧ .

(٣) بصائر ذوي التمييز : ٥٧/٢ .

الأول: بمعنى الاختيار، فقال تعالى: ﴿وَاتَّحَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥)
 الثاني : بمعنى الإكرام، فقال تعالى: ﴿وَسَيَخْذِنُكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: ٤٠) أي يكرهم بالشهادة.

الثالث : بمعنى الصياغة، فقال تعالى: ﴿وَاتَّحَدَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلِيلِهِمْ عِجْلًا﴾ (الأعراف: ١٤٨) أي صاغوه .

الرابع: بمعنى سلوك السبيل، فقال تعالى: ﴿فَاتَّحَدَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَّا﴾ (الكهف: ٦١) أي سلك .

الخامس : بمعنى التسمية، فقال تعالى : ﴿أَتَخْدُلُ أَهْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبه: ٣١) ، أي سموهم.

السادس : بمعنى النسج، فقال تعالى : ﴿كَتَلَ الْعَنْكَبُوتُ أَحْدَثَتْ بَيْتًا﴾ (العنكبوت: ٤١) أي نسجت.

السابع : بمعنى العبادة ، فقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ أَتَحْدُوا مِنْ دُونِهِ أُولَاءِ﴾ (الشورى: ٦) ولهذا نظائر كثيرة.

الثامن: بمعنى الجعل، فقال تعالى: ﴿أَتَحْدُوا أَيْمَانَهُمْ جَنَّةً﴾ (المنافقون: ٢) أي جعلوها.

الحادي عشر: بمعنى البناء، فقال تعالى: ﴿أَتَحْدُوا مَسْجِدًا خِرَارًا﴾ (التوبه: ١٠٧) أي بناها.

العاشر : بمعنى الرضا ، فقال تعالى : ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (المزمول: ٩) أي ارض به.

الحادي عشر: بمعنى العصر، فقال تعالى : ﴿تَخِدُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (النحل: ٦٧) أي تعصرن.

الثاني عشر: بمعنى إرخاء السرير، فقال تعالى: ﴿فَاتَّحَدَتْ مِنْ دُونِهِ حِجَابًا﴾ (مريم: ١٧) أي أرخت ستراً.

الثالث عشر: بمعنى عقد العهد، فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّحَدَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم: ٨٧) أي عقد.

وعلى هذا يمكن القول أن الفعل (اتخذوا) في قوله تعالى: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ أَتَحْدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَاءِ﴾ (العنكبوت: ٤١) بمعنى عبدوا، فالاتخاذ بمعنى العبادة، وضمير (اتخذوا) عائد إلى معلوم من سياق الكلام، وهم مشركون قريش، الذين اتخذوا الأصنام من دون الله.

والاتخاذ هنا أمر عقلي أو معنوي يدرك عن طريق العقل والوجдан، وهو ليس حسياً، والفعل (اتخذت) في جملة "اتخذت بيته" بمعنى نسبت، فالاتخاذ بمعنى النسج، وهو أمر حسي يدرك عن طريق الحواس، وهو ليس عقلياً.

وَهُذَا التَّشْبِيهُ مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ الْعُقْلَى بِالْحَسْنِي، وَهُوَ يُوضَّحُ صُورَةً المُشَبَّهِ خَاصَّةً وَأَنَّهُ أَمْرٌ عُقْلَى؛ لِيُحَقِّقَ الْمَوْعِظَةَ لِلسَّامِعِ أَوِ الْقَارِئِ.

كما ورد في القرآن الكريم ذكر ألفاظ متشابهة، حيث يكون التشابه واقعاً بصور مماثلة بين اللفظين، وقد يتفق اللفظان في أنهما مشتقان من أصل واحد، وهو صورة من صور البيان، وهو المجاز المرسل، وقد عرّقه البلاغيون: "هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة ومناسبة غير المتشابهة"^(٢).

و علاقات هذا المجاز كثيرة من أشهرها السبيبة ، وهي كون الشيء المنقول عنه سبباً و متأثراً في شيء آخر ، نحو رعى جوادي المطر ، أي الكلام الحادث بالغيث.

ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم، والتي تظهر وجوه الإعجاز في استعمال المتشابهات ، قوله تعالى : ﴿ وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ مِّلْهَا فَمَنْ عَنَّا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى: ٤٠).

في الآية الكريمة ذُكر لفظ "السيئة" مرتين، إلا أنهما يختلفان في معنويهما، فاللفظ الأول يحمل المعنى الحقيقى، وهو الإثم أو الذنب أو الخطيئة، واللفظ الثانى يحمل معنى العقوبة المترتبة عن اللفظ الأول "السيئة" ، وتسمية العقوبة أو الجزاء سيئة إما لكونها تسوء من وقعت عليه، أو على طريق المشاكلة لتشابههما في الصورة^(٣).

(١) تفسير التحرير والتتوير: المجلد العاشر، ٢٥٢/٢٠

(٢) علوم البلاغة: ٢٣٠ .

(٣) فتح القدیر : ٤/٦٧٧

والعلاقة بين اللفظين "سيئة.. وسيئة" علاقة سبب وسبب، فاللفظ الثاني ذكر باسم الاتم أو الذنب الذي هو سبب، والمعنى المقصود هو العقوبة التي تقدر بقدر الإثم أو الذنب، وهي المسيبة فالعلاقة سبية، وهي أن يطلق السبب ويراد المسبب.

وبمعنى آخر تجوز بلفظ السيئة عن الاقتراض؛ لأنه مسبب عنها، كما أن "سيئة" صفة لمذوق، أي فعلة تسوء من عومل بها. وزن (سيئة) فيعلة مبالغة في الوصف.

إن تسميتها -عز وجل- للجزاء سيئة يحمل عزيتين: الأولى: ترغيب في العفو ودعوة إلى التسامح، والثانية: بيان أن الجزاء من جنس العمل، وما يدل على المعانى السابقة السياق القرآنى في قوله : ﴿فَمَنْ عَنَّا وَأَصْلَحَ فَاجْرَهُ عَلَى اللَّهِ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠).

ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آتَنَا وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا هُنْ مُسْهَرُونَ﴾ (البقرة: ١٥، ١٤) (الشورى: ٤٠)

فقد سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى: ﴿وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلَهَا﴾ (الشورى: ٤٠) ولكن ما معنى استهزائه بهم؟ قلت معناه إزالة الهوان والحقارة بهم، لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به، وإدخال الهوان والحقارة عليه، والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك. وقد كثر التهم في كلام الله تعالى بالكفرة. والمراد به تحبير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون^(١).

أما القاضي أبو السعود فإنه يرى أن الله "يجازيهم على استهزائهم، سمي جرأوه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما للمشاكلة في اللفظ، أو المقارنة في الوجود، أو يرجع وبالاستهزاء عليهم، فيكون كالمستهزئ بهم، أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم. أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم... وأما في الآخرة فيما يروى أنه يفتح لهم باب الجنة فيسر عن نحوه فإذا صاروا إليه سداً عليهم الباب..."^(٢).

فقد عبر القرآن عن انتقام الله سبحانه وتعالى منهم بالاستهزاء بسبب جرائمهم على الله سبحانه وتعالى ورسوله والمؤمنين، فكان جرأتهم من جنس عملهم.

(١) تفسير الكشاف: ٧٤/١.

(٢) تفسير أبي السعود: ٦٦/١.

ومنه قوله تعالى : ﴿فَنَعْذِنَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَعْذُنَا عَلَيْهِ بِمِمْ لِمَا نَعْذِنَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤) ويراد بالعدوان الذي هو الظلم الجزاء، سماه عدواً من حيث هو جزاء عداون، والعقوبة تسمى باسم الذنب، كقوله تعالى : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠) والمعنى : "اعذوا عليه بعقوبة مثل جنائية اعتدائه، وقيل "الباء" زائدة، أي مثل اعتدائه، وهو نعت لمصدر محذوف، أي اعتداءً مماثلاً لاعتده" (١).

ومنه قوله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩٩)، ورد الفعل "يخدعون" مرتين في الآية الكريمة، وقد أورد الإمام الطاهر بن عاشور في تفسيره قوله : "وما يخدعون قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وخلف يخدعون بألف بعد الخاء، وقرأه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب "يخدعون" بفتح التحتية وسكون الخاء" (٢).

فسياق الآية الكريمة تتحدث عن المنافقين الذين كانوا يخدعون الله ورسوله والمؤمنين، والخدع: أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكر وهم، ولكن كيف تكون مخدعة الله والمؤمنين؟

يرى الإمام الزمخشري "أن العالم الذي لا تخفي عليه خافية لا يخدع، والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع، والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا" (٣).

وعلى هذا لا يكون خداع الله حقيقة، ويبقى رسول الله مخدوعاً منهم ومخدعاً لهم، وتوجيه مخداعة الرسول والمؤمنين للمنافقين لأنها جزاء لهم على خداعهم.

وجملة "وما يخدعون إلا أنفسهم" حال من الضمير في "يخدعون" الأول ، أي يخدعون في حال كونهم لا يخدعون إلا أنفسهم، أي خداعهم مقصور عن ذواتهم لا يرجع شيء منه إلى الله والذين آمنوا. وهكذا يفهم أن الفعل "وما يخدعون" الثاني سبب في الفعل الأول "يخدعون" . وقد أطلق السبب، وأريد المسبب.

ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤) ومكر الله مجازاتهم على مكرهم، سمي ذلك مكرًا لأن المجازاة لهم ناشئة عن المكر كقوله : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ مِثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠)، وكثيراً ما تسمى العقوبة باسم الذنب وإن لم تكن في معناه.

(١) تفسير البحر المحيط: ٧٨/٢.

(٢) تفسير التحرير والتتوير: المجلد الأول، ١/٢٧٦.

(٣) تفسير الكشاف: ١/٦٥.

ومكر الله بهم إعلاء دينه وقهرهم، ومكرهم لزومهم إبطال دينه، والضمير في "مكروا" عائد على من عاد عليه الضمير في قوله: ﴿فَلَمَّا أَخْسَى عِيسَى مِنْهُمُ الْحُكْمَ﴾ (آل عمران: ٥٢) وهم بنو إسرائيل، ومكرهم هو احتيالهم في قتل عيسى بأن وكلوا به من يقتله غيلة^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَسْكُنُونَ وَيَمْكُرُونَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَاكِرِينَ﴾ (الأفال: ٣٠)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِنْ تُرْضُونَ مِنَ الشَّهِيدَاءِ أَنْ تَضْلِلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (البقرة: ٢٨٢)

ورد لفظ "إداهما" مرتين في الآية الكريمة، فما وجه الإعجاز البياني في تكرار هذا اللفظ في آية الدين من سورة البقرة؟

ففي قوله تعالى: "فتذكر إداهما الأخرى" إظهار في مقام الإضمار لأنَّ مقتضى الظاهر أن يقول فتذكرها الأخرى، وذلك أن الإحدى والأخرى وصفان مبهمان لا يتعين شخص المقصود بهما، فكيفما وضعتهما في موضع الفاعل والمفعول كان المعنى واحداً^(٢). وكأن كل واحدة من المرأتين يجوز عليها ما يجوز على صاحبتهما من الضلال والتذكير، فدخل الكلام معنى العموم.

ويرى القاضي أبو السعود الرأي السابق، فيقول: "ولعل إيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال: أن تضل إداهما فتذكرها الأخرى لتأكيد الإبهام والبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال بإداهما بعينها، والتذكير بالأخرى"^(٣).

وفي هذا الاستعمال عدول عن الظاهر وهو أن يقال: أن تذكر إداهما الأخرى عند نسيانها.

"والذي أراه أن سبب العدول في مثله أن العلة تارة تكون بسيطة كقولك: فعلت كذا إكراماً لك ، وتارة تكون مركبة من دفع ضرُّ وجلب نفع بدفعه. فهناك يأتي المتكلم في تعليمه، بما يدل على الأمرين في صورة علة واحدة إيجازاً في الكلام كما في الآية"^(٤). ولما أبهم الفاعل في "أن تضل" بقوله إداهما أبهم الفاعل في (فتذكر) بقوله (إداهما) إذ كل منها يجوز عليها الضلال والإذكار، فلم يرد بإداهما معينة، فدخل الكلام معنى العموم -كما سبق قوله - وكأنه قيل: من ضلَّ منها ذكرتها الأخرى.

(١) تفسير البحر المحيط: ٤٩٥/٢.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: المجلد الثالث، ١١٠/٣.

(٣) تفسير أبي السعود: ٣٢١/١.

(٤) تفسير التحرير والتنوير: المجلد الثالث، ١١٠/٣.

وقد ورد لفظ "الناس" خمس مراتٍ في سورة الناس يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ مِلِكِ النَّاسِ ﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (الناس: ٦-١)

فلماذا تكرر لفظ "الناس" في الآيات الكريمة السابقة؟!
لفظ الناس: اسم جمع للبشر جميعهم أو طائفة منهم، ولا يطلق على غيرهم على التحقيق.

وبتتبع معاني النحو في الآية الكريمة ، يفهم أن "ملك الناس" عطف بيان من "رب الناس" وكذلك "إله الناس" فتكرير لفظ "الناس" دون اكتفاء بضميره؛ لأن عطف البيان يقتضي الإظهار؛ ليكون الاسم المبين (بكسر الياء) مستقلاً بنفسه؛ لأن عطف البيان بمنزلة علم للاسم المبين (فتح الياء).

وتكرير كلمة "الناس" في هذه الآيات في المرتين الأوليين باعتبار معنى واحد: إظهار في مقام الإضمار؛ لقصد تأكيد ربوبية الله تعالى وملكه وإلهيته للناس كلهم، كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ فَرِيقًا يَلُوْنَ أَسْتِهْنَهُمْ بِالْكِتَابِ لَتَحْسِبُوهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨)

وأما تكريره المرة الثالثة بقوله "في صدور الناس" فهو إظهار لأجل بعد المعاد. وأما تكريره في المرة الرابعة بقوله "من الجنة والناس" فلأنه بيان لأحد صنفي الذي يوسموس في صدور الناس، وذلك غير ما صدق كلمة "الناس" في المرات السابقة^(١).

وعلى هذا يمكن القول أن تكرار لفظ الناس لم يكن اعتبراطياً كما سبق توضيحه ، والله تعالى أعلم بمراده، كفانا الله وإياكم شر الفريقين "الجنة والناس" ، ونفعنا وإياكم بصالح التقليين.

(١) تفسير التحرير والتووير : المجلد الخامس عشر ، ٦٣٦/٣٠ .

التشابه والاختلاف

في كتاب الله عز وجل آيات تتشابه مع آيات أخرى، ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة. والمتأمل لهذا التشابة والاختلاف يجده مقصوداً، فهو قائم على أعلى درجات البلاغة والإعجاز.

من ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ أُولَئِنَّوْتِرِ وَضَعَ اللَّهُ أَنَّذِي بِكَلَمَاتِكَارِكَا وَهُدَى لِلْعَالَمِينَ﴾ فِيهَا يَاتِيَنَّاتٌ مَقَامٌ بِرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلَلَّهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْيَتِيمِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَيِّلَوْمَ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧).

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَى بِأَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ يَبْلُغُ مَكَانَةً مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ سَيِّدُ الْعَالَمِينَ﴾ (الفتح: ٤)

فقد ذكر الله جل وعلا "بكة" في سورة آل عمران، بينما قال في سورة الفتح "مكة".

فلماذا أوردها بالباء في آل عمران، وبالمم في الفتح؟!.

جاء في لسان العرب في مادة (بكة) : "البَكُّ": دق العنق... وتبَكُّ القوم: تراهموا... وبِكَة: مكة سميت بذلك لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألدوا فيها بظلم، وقيل : لأن الناس يتباكون فيها من كل وجه أى يتراهمون... بكَ الناس بعضهم بعضاً في الطواف أي دفع بعضهم بعضاً ، وقيل بكة اسم بطن مكة سميت بذلك لازدحام الناس...^(١).

فالبَكُّ يحمل معاني الازدحام، ولأن الآية الكريمة من سورة آل عمران في سياق الحج جاء بالاسم (بكة) الذي يدل على الازدحام؛ لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً.

أما السياق في الآية الكريمة من سورة الفتح فإنه يختلف عن سياق الحج في آل عمران، إذ ذكر أنه "لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التعمير يريدون غرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فدعوا عليهم فأخذوا.

قال عفان: فعفا عنهم ونزلت هذه الآية ^(٢).

ولاختلاف السياق في الآيتين الكريمتين فقد وضع كل لفظ في السياق الذي يناسبه، والله أعلم بمراده، هو المستعان.

ومن ذلك استعمال القرآن لاسمي الموصول "اللائي، واللاتي" ، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبِيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي نُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتُكُمْ﴾ (الأحزاب: ٤)

(١) لسان العرب: مادة (بكة) ٤٧٣/١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٧.

وقوله تعالى : « الَّذِينَ يُظْهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ سَائِلِهِمْ مَا هُنَّ أَمْهَلُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَكَمْ مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُورًا » (المجادلة: ٤)

وقوله تعالى : « وَاللَّائِي يَسْئِنُ مِنَ الْمَحِيطِ مِنْ سَائِلِكُمْ إِنْ أَرْبَبُمْ قَدْعَهُنَّ تِلْكَةً أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ وَأَوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَصْنَعَ حَمَلَهُنَّ » (الطلاق: ٤)

فقد قال عز وجل في كل ذلك : (اللائي) بالهمز، وما يجدر ذكره أن (اللائي) بالهمز لم يرد في كتاب الله عز وجل إلا أربع مرات وهي المذكورة في الآيات الكريمة السابقة. في حين أن لفظ (اللائي) ورد في القرآن الكريم عشر مرات، منها قوله تعالى : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَنْهَاكُمْ وَبَنَانِكُمْ وَأَخْوَانِكُمْ وَعَمَّا نَكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتِ الْأُخْرَى وَبَنَاتِ الْأُخْتِ وَأَنْهَاكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْتُكُمْ وَأَخْوَانِكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأَنْهَاكُمْ وَبَنَانِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ سَائِلِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُهُنَّ فَلَمْ تَكُنُوا دَخَلْتُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ » (النساء: ٢٣)

وقوله تعالى : « وَاللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ سَائِلِكُمْ فَاسْتَشِهُدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ » (النساء: ١٥)

وقوله تعالى : « وَاللَّائِي تَحَافُونَ شَوْرَهُنَّ فَيَظْهُرُهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الصَّاصِحِ » (النساء: ٣٤)

وقوله تعالى : « وَيَسْقُتوهُكَ فِي النِّسَاءِ قُلَّ اللَّهُمَّ يُشِكُّمُ فِيهِنَّ وَمَا يَلْتَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّائِي لَا يُؤْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتُرْغَبُهُنَّ أَنْ تُنْكِحُوهُنَّ » (النساء: ١٢٧)

وقوله تعالى : « ارْجِعْ إِلَى رِبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بِالنِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَعْتَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ » (يوسف: ٥٠)

وقوله تعالى : « وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّائِي لَا يَرْجُونَ نَكَاحًا » (النور: ٦٠)

وقوله تعالى : « إِنَّمَا الَّذِي يُنَاهِي إِنَّمَا أَحْلَلَنَاكَ أَرْوَاحَكَ اللَّائِي أَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّا تَكَبَّ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِاتِكَ اللَّائِي هَاجَرْنَ بَعْكَ » (الأحزاب: ٥٠)

والمتأمل للآيات القرآنية الكريمة السابقة، والتي استعمل فيها اللفظان (اللائي واللائي) يلاحظ أنه تم استعمال (اللائي) بالهمز في حالتي الظهور والطلاق، ولم يستعملها في غيرها وكان ذلك لنقل الهمزة، فاستعمل الهمزة لنقلها للحالات التالية النادرة، وهي حالات المفارقة^(١).

(١) السامراني، فاضل صالح: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط٢٠٠١م، ٥٧.

ومن الطريف أن بناء (اللائي) وجرسها يوحى بذلك فكانها مشتقة من الأبي، وهو : "الإبطاء والاحتباس... يقولون : لأنّا عرفتُ وبعْدَ لأنّي فعلتُ أي بعد جهد ومشقة. ويقال ما كدتُ أحمله إلا لأنّي، وفعلتُ كذا بعد لأنّي أي بعد شدة وإبطاء... واللائي المشقة والجهد.. والشدة في العيش.. واللائي : بمعنى اللواتي يوزن القاضي والداعي"^(١). وكما هو معلوم فإن المظاهر والمطلق محتبس عن امرأته مبطئ عنها، وفي ذلك جهد ومشقة وشدة للطرفين.

فما أجمل وأروع حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال القرآني ، بينما استعمل (اللائي) في مواضع متعددة- كما سبق ذكرها- ليس منها ما يتعلق بحالتي الظهار والطلاق.

ومن ذلك أيضاً استعمال لفظي (بصطة) ، (بسطة) والفعلين (يبصط) ، (يبسط) وذلك في قوله تعالى : ﴿أَوَعَجِيزُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذَكْرٌ مِّنْ رِبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُذْرِكُمْ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْكُمْ حُلُّكُمْ مِّنْ بَعْدِ قَوْمٍ
بِحَوْزَتِكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا أَلَا إِلَهَ لَكُمْ لَكُمْ تَلْهُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩)

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَرَأَدَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْحُسْنِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٤٧)

والمتأمل للأيتين الكريمتين يعلم أن الآية الأولى التي ورد فيها لفظ (بصطة) بالصاد تصف قبيلة عاد قوم هود، بينما كانت الآية الثانية التي ورد فيها لفظ (بسطة) بالسين، تصف (طالوت) ، وطالوت إنما هو شخص واحد، وأما عاد فهو قبيلة.

وفي اللغة العربية وعند علماء الأصوات فإن الصاد أقوى من السين وأظهر^(٢). فكان الصاد الذي هو أقوى وأظهر أليق بالقبيلة، والسين الذي هو أضعف أليق بالشخص الواحد. أما لفظ (يبصط) بالصاد فقد ورد في قوله تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيَضَعِفَهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَسْطُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٤٥)

ولم يرد لفظ (الفعل يبصط) في كتاب الله تعالى إلا مرة واحدة في الآية السابقة من سورة البقرة.

أما الفعل (يبصط) بالسين فقد ورد في القرآن الكريم ست عشرة مرة، منها قوله تعالى:

﴿اللَّهُ يُسْطُطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد: ٢٦)

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ يُسْطُطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (العنكبوت: ٦٢)

وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يُسْطُطُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الروم: ٣٧)

(١) لسان العرب: مادة (أبي) . ٢١٣/١٢

(٢) الخصائص: ٢ . ١٦١/٢

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرِسِّلُ الرِّبَاحَ فَتَرْسَحَا بِقَيْسَطَةِ السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (الروم: ٤٨)

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُهُ﴾ (سباء: ٣٩)

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا يَسْطُطْهَا كُلُّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء: ٢٩)

ويرى الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أن "البسط في آية البقرة مطلق عام لا يخص شيئاً دون شيء، وفي غيرها مقيد، ولا شك أن البسط المطلق أقوى من المقيد، فهو يحمل البسط في الرزق وفي الأنفس وفي الملك وغيرها، ف جاء في الأقوى بالصاد وفي المقيد بالسين^(١).

وكان الإمام الزركشي قد عقد فصلاً في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى "... فالسين السعة الجزئية كذلك علة التقيد، وبالصاد السعة الكلية بدليل علو معنى الإطلاق، وعلو الصاد مع الجهارة، والإبطاق^(٢).

وقد جاء في "فتح القدير" في قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعِيشُ وَيَسْطُطُ﴾ (البقرة: ٢٤٥) : "هذا عام في كل شيء، فهو القابض والباضط، والقبض: التقير، والبسط: التوسيع"^(٣).

وجاء في البحر المحيط في قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعِيشُ وَيَسْطُطُ﴾ (البقرة: ٢٤٥) : "أي يساب قوماً ويعطي قوماً... أو يقبض أي يميت... ويحطط أي يحببه... أو يقبض بالحظر ويحطط بالإباحة... أو يقبض الصدقة.. ويحطط الثواب .."^(٤).

يبدو جلياً مقدار الإطلاق في القبض والبسط في آية البقرة، بخلاف ما ورد في الآيات الأخرى، فالبسط مقيد بالرزق ، ومقيد بغيره، ف جاء (البسط) للمطلق بالصاد؛ لأنه أقوى وأعم، وللمقيد بالسين.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْهَىٰ أَمْ لِعْبَرَةٍ سَيَقِيمُكُمْ مَا فِي بُطُونِهِ مِنْ فِرْثَةٍ وَدَمَ لَنَا خَالِصًا سَائِقًا لِلشَّارِينَ﴾ (النحل: ٦٦)

وقوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامَ لِعْبَرَةٍ سَيَقِيمُكُمْ مَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا أَنْكُونُ﴾ (المؤمنون: ٢١)

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٥٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤٣٠/١.

(٣) فتح القدير: ٣٣٢/١.

(٤) تفسير البحر المحيط: ٢٦٢/٢.

موضوع الآيتين الكريمتين واحد، وهو ذكر نعمة الله على الناس، والاعتبار بهذه النعم، بما يسقىهم مما يخرج من الأنعام وما ينتفعون به منها، فلماذا ذكر الله عز وجل في الآية الأولى "بطونه" ، وفي الآية الثانية "بطونها" ؟

والهاء الضمير المتصل في "بطونه" ضمير للمذكر، ويراد به القلة، و "ها" الضمير المتصل في "بطونها" ضمير للمؤنث ، ويراد به الكثرة.

إذا كان الجمع قليلاً جيء بهاء المذكر، وإذا كان الجمع كثيراً جيء بهاء المؤنث، ومثل هذا ورد في القرآن الكريم، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نَسُودُهُ فِي الْمَدِينَةِ أُمَّرَاتٌ عَزِيزٌ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ شَيْءٍ﴾ (يوسف: ٣٠) بذكر الفعل (قال) للدلالة على أن النسوة قلة، وقوله تعالى : ﴿فَأَلَّا يَأْرَبَ أَمْنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُلُّوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ٤) بتأنيث الفعل (قال) للدلالة على أن الأعراب كثرة.

ولأن الكلام في آية النحل يدور حول إسقاء اللbin من بطون الأنعام، وكما هو معلوم فاللbin لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من قسم من الإناث ، والله سبحانه وتعالى أطلق لفظ جمعها وأراد به بعضها؛ لذلك عبر عن المعنى السابق بالضمير المذكر الدال على جمع القلة.

أما الكلام في آية "المؤمنون" فإنه يدور حول منافع الأنعام الكثيرة، واللbin جزء من هذه المنافع، والمنافع الكثيرة في الأنعام كلها ، صغارها وكبارها، وذكورها وإناثها، فكلها يستفاد منها في الركوب والصوف والأكل والرووث، وغير ذلك من المنافع، ولأن المنافع كثيرة ومتنوعة، عبر عن ذلك بعموم الأنعام مستعملًا الضمير المؤنث الدال على الكثرة.

كما أن عطف جملة "ولكم فيها منافع كثيرة" وما بعدها على جملة "تسقىكم مما في بطونها" فيه بيان العبرة، وهذه المنافع هي الأصوات والأوبار والأسعار والنتائج^(١).

والأكل كذلك نعمة ظاهرة ، وعبرة إذ أعدّها الله صالحة لتغذية البشر بلحومها اللذيذة.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ شَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُمْنَوْنَ﴾

(الروم: ٣٧)

وقوله تعالى : ﴿أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ شَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُمْنَوْنَ﴾

(الزمر: ٥٢)

فقد ذكر في آية الروم : "أولم يروا" وفي آية الزمر "أولم يعلموا" ، ويرى ناج القراء الكرمانى "أن بسط الرزق مما يشاهد ويرى فجاء في هذه السورة "الروم" على ما يقتضيه

(١) تفسير التحرير والتווير: المجلد التاسع، ٣٩/١٨

اللفظ والمعنى، وفي الزمر اتصل بقوله : " أُوتِئَةُ عَلَى عِلْمٍ بِلِّهِي فِتْنَةٌ وَكَنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (الزمر: ٤٩) ^(١).

والمتأمل والمتبوع لألفاظ النظر والرؤية في سورة الروم يجد أنها أكثر مما في سورة الزمر، فقد وردت ألفاظ الرؤية والنظر في الروم سبع مرات، وذلك في قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " (الروم: ٩)

وقوله تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا " (الروم: ٢٤)

وقوله تعالى : " أَوَلَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطِعُ الرِّزْقَ " (الروم: ٣٧)

وقوله تعالى : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " (الروم: ٤٢)

وقوله تعالى : " فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَاهِ " (الروم: ٤٨)

وقوله تعالى : " فَأَظْرَأْتَ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ " (الروم: ٥٠)

وقوله تعالى : " وَلَنْ أَرْسِلَنَا رِبْحَانَ فَرَّأَهُ مُصْفَرًا لَظَلَّوْا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ " (الروم: ٥١)

بينما وردت ألفاظ الرؤية والنظر في سورة الزمر ست مرات.

وذلك في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً " (الزمر: ٢١)

وقوله تعالى : " قُلْ أَفَرَأَيْمَا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " (الزمر: ٣٨)

وقوله تعالى : " أَوْ قُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ أَوْ أَنْذَلَ كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ " (الزمر: ٥٨)

وقوله تعالى : " وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسَوَّدةٌ " (الزمر: ٦٠)

وقوله تعالى : " لَمْ يَنْفَعْ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظَرُونَ " (الزمر: ٦٨)

وقوله تعالى : " وَرَئَى الْمَلَائِكَةَ حَافِنِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ سُبْحَانَ رَبِّهِمْ " (الزمر: ٧٥)

وقد وردت ألفاظ العلم في سورة الزمر إحدى عشرة مرة، وذلك في قوله تعالى:

ـ " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " (الزمر: ٩)

وقوله تعالى : " ثُمَّ إِلَيْ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيَنْبَسُكُمْ سَاءَ كُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ " (الزمر: ٧)

وقوله تعالى : " وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (الزمر: ٢٦)

(١) الكرماني، تاج القراء محمود: أسرار التكرار في القرآن، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ١٦٩.

وقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بِلَأْكْرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر : ٢٩)

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الزمر : ٣٩)

وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَهُمْ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الزمر : ٤٦)

وقوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيهَا عَلَى عِلْمٍ بِلَهِ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر : ٤٩)

وقوله تعالى : ﴿أَوَكَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ﴾ (الزمر : ٥٢)

وقوله تعالى : ﴿وَوَقِيتَ كُلَّ قَسْنِ مَا عَمِلْتُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر : ٧٠)

بينما وردت ألفاظ العلم في سورة الروم عشر مرات، وذلك في قوله تعالى :

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلُفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم : ٦)

وقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم : ٧)

وقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافُ الْأَسِنَتُكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم : ٢٢)

وقوله تعالى : ﴿بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بَغْيَرِ عِلْمٍ﴾ (الروم : ٢٩)

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم : ٣٠)

وقوله تعالى : ﴿لَا يَكْفُرُوا بِمَا أَتَيْنَاهُمْ فَسَعَوْفَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (الروم : ٣٤)

وقوله تعالى : ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلِيمُ الْتَّدِيرِ﴾ (الروم : ٥٤)

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْأُمَانَ لَقَدْ لَيْسُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَيَّ يَوْمُ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُلُّمُ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الروم : ٥٦)

وقوله تعالى : ﴿كَذِكَ يَطْبِعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم : ٥٩)

ويرى الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي طريقة أخرى في التعبير القرآني، يقول : "ثم انظر إلى طريقة أخرى في التعبير فقد جاء بفأيدي البصر في سورة الروم، فقال : "وما أنت بهادِ العُمُّي عن ضلالتهم" (الروم : ٥٣) ، وجاء بفأيدي العلم في آية الزمر فقال : ﴿قُلْ أَفَغَيْرُ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أُثْرَاهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر : ٦٤)^(١).

ومنه قوله تعالى: «وَأَقْلُوْهُمْ حِيْثُ تَقْسِمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفَتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ»^(١)
 (البقرة: ١٩١)

وقوله تعالى : «سَأَلَوكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَالَ فِيهِ قُلْ قَاتَلَ فِيهِ كَيْرٌ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَرِيهٌ وَالْمُسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ»^(٢) (البقرة: ٢١٧)

فقد ذكر في الآية الكريمة الأولى (أشد) وفي الآية الثانية (أكبر)؛ وذلك لأن السياق في الآية الثانية يدور على كبيرات الأمور.

يرى الطاهر بن عاشور أن في قوله "الفتنة أكبر من القتل" تذليل مسوق مسوق للتعليل، لقوله " وإخراج أهله منه" ؛ وإذا قد كان إخراج أهل الحرم منه أكبر من القتل ؛ كان ما ذكر قبله من الصد عن الدين والكفر بالله والصد عن المسجد الحرام أكبر بدلالة الفحوى؛ لأن تلك أعظم جرماً من جريمة إخراج المسلمين من مكة.

والفتنة أريد بها ما لقيه المسلمون من المشركين من المصائب في الدين بالتعرض لهم بالأذى بالقول والفعل، ومنعهم من إظهار عبادتهم، وقطيعتهم في المعاملة والسخرية بهم، والضرب المدمي والتكمالي على قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم -، والإخراج من مكة ومنع أموالهم ونسائهم وصدتهم عن البيت، ولا يخفى أن مجموع ذلك أكبر من قتل المسلمين واحداً من رجال المشركين، وهو عمرو الحضرمي وأسر رجلين منهم، وأكبر أي أشد كبراً أي قسوة في المحارم، أي أكبر من القتل الذي هو في الشهر الحرام كبير^(١).

أما السياق في الآية الأولى ليس كذلك، فهو سياق الشدة على الكافرين، وفيها أمر بقتل من يعثر عليه من المشركين وإن لم يكن في ساحة القتال، وفي قوله تعالى : "وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ" أي يحل لكم حينئذ أن تخرجواهم من مكة التي أخرجوكم منها، وفي هذا تهديد للكفار ووعد بفتح مكة.

" وهذه شدة ظاهرة، فناسب ذكر (أشد) فيها بخلاف الآية الثانية"^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى : «قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ عَلَيْهِمْ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ سِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ»^(٣) قالوا أَرْجِهُ وَأَخْأُوْهُ وَأَبْعَثُ فِي الْمَدَائِنِ حَاطِشِينَ يَا نُوكِي كُلَّ سَحَارٍ عَلَيْهِمْ»^(٤) (الشعراء: ٣٤-٣٦)

فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في أول الآيات "ساحر عليم" ، ثم عدل في الآية الأخيرة إلى "سحّار عليم".

"ساحر" : اسم مشتق من الفعل "سحر" ، وهو اسم فاعل.

(١) تفسير التحرير والتتوير: المجلد الثاني، ٣٣١/٢.

(٢) التعبير القرآني: ١٧٦.

"سَحَّارٌ" : صيغة مبالغة مشتقة من الفعل "سحر" وهو على وزن فعال .
والسَّحَّارُ أبلغ من الساحر ، وأكثر تفوقاً وعلماً بالسحر من الساحر ، فكل سَحَّار ساحر ،
وليس كل ساحر سَحَّاراً .

وقد وصف كل من الساحر والسَّحَّار في الآيات الكريمة السابقة بأنه " عليم" ، وعليه
صيغة مبالغة مشتقة من الفعل "علم" ، على وزن فعيل ، والعليم أكثر تمكناً في العلم من العالم .
فلمَّا عَدَ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مِنْ "سَاحِرٍ" إِلَى "سَحَّارٍ" ؟

لقد أخبر فرعون في أول الآيات عن سيدنا موسى عليه السلام بأنه "ساحر عليم"
مستخدماً اسم الفاعل "ساحر" موصوفاً بصيغة المبالغة " عليم" ، هذا الساحر يريد أن يخرج قوم
فرعون من أرضهم ، فأشار عليه مستشاروه أن يؤخر المجادلة مع سيدنا موسى عليه السلام
إلى حين إحضار السحرة ، حيث ستقوم شرطة فرعون بإحضار كل "ساحر عليم" مستخدماً
صيغة المبالغة "سَحَّارٌ" موصوفة بصيغة مبالغة أخرى " عليم" ؛ للدلالة على تفوق كل واحد منهم
على سيدنا موسى عليه السلام .

وعند حدوث المباراة والتحدي اتهم فرعون السحرة المؤمنين بأنهم تلاميذ عند موسى
عليه السلام ، وأن موسى هو الذي علمهم السحر .

لقد تناسى فرعون أن الذين يتهمهم بتصغار التلاميذ "سَحَّارُونَ عَلَيْهِمُونَ" ، وأن جنوده
هم الذين اختاروهم من بين السحرة الكثيرين للمباراة والتحدي ، ومن ثم كان تهديد فرعون لهم
بعد سجودهم وإيمانهم بالله ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَمْنِمْ لَهُمْ قَبْلَ أَذْنِكُمْ كَيْرَكُمُ الَّذِي عَلَمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسْوَنَ
تَعْلَمُونَ لَا قَطَعْنَ أَيْدِيْكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافٍ وَأَصْلَبَتْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء: ٤٩)
ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَصَرَّيْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَةَ وَالْمُسْكَنَةَ وَبَاءُوا بِعَصْبَىٰ مِنَ اللَّهِ ذِلْكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذِلْكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْدُونَ ﴾ (آل عمران: ٦١)

وقوله تعالى : ﴿ صَرَّيْتَ عَلَيْهِمُ الدِّلَةَ أَنَّمَا تَقْتُلُوا إِلَّا حَبْلٌ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعَصْبَىٰ مِنَ اللَّهِ
وَصَرَّيْتَ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةَ ذِلْكَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَيْمَانَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذِلْكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْدُونَ ﴾
(آل عمران: ١١٢)

فذكر في الآية الأولى (الحق) معرفة بأـلـ، وفي الآية الثانية (حق) نكرة؛ وذلك لأنـ ما
في البقرة إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَا تَشْلُوْلَ النَّفْسَ إِلَّا

حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ (آل الأنعام: ١٥١) فكان الأولى أن يذكر معرفاً، لأنه من الله تعالى، وما في آل عمران نكرة، أي بغير حق في معتقدهم ودينهم فكان هذا بالتكير أولى^(١).

فكلمة (الحق) المعرفة تدل على أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق الذي يدعوا إلى القتل، وأما كلمة (حق) النكرة فمعناها أنهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق أصلاً لا حق يدعوه إلى قتل ولا غيره.

والقصد من التكير الزيادة في ذمهم وتبسيط فعلهم أكثر مما في التعريف... فمقام التشنيع والذم هنا أكبر منه، ثم وكلاهما شنيع وذميم^(٢).

ومما يدل على أن الذم والتشنيع عليهم في آل عمران أكبر منه في آية البقرة، أنه في سورة البقرة جمع الذلة والمسكنة، كما أنه ذكر الجمع بصورة الكلمة "ويقتلون النبيين"، بينما في آل عمران أكد وكرر وعم ، فقال (أينما تقروا) ، وأعاد الفعل (ضررت) وحرف الجر (عليهم) للزيادة في التوكيد، كما أنه ذكر الجمع بصورة الكثرة "ويقتلون الأنبياء" أي أنهم يقتلون العدد الكبير من الأنبياء بغير حق.

لهذا استحق هؤلاء أن تضرب عليهم الذلة والمسكنة، فهي محطة بهم من جميع جوانبهم، واليهود في غالب الحال مساكين تحت أيدي المسلمين. مما سبق يبدو أن التعريف في سورة البقرة أليق ، والتكير في سورة آل عمران أليق، والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَأَخَذْتُهُمُ الصِّحَّةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَنَاءَ فَبَعْدًا لِلنَّاسِ الظَّالِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٤١)

وقوله تعالى : ﴿لَمْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا تُرَاكُلَّ مَا جَاءَ أَمَةَ رَسُولِهِ كَذِبَهُ فَأَتَبْعَثْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ٤)

فقد ذكر في الآية الأولى لفظ (القوم) بالتعريف، وفي الآية الثانية ذكر لفظ (قبو) بتتكيه.

وذلك لأن لفظ (القبو) في الآية الأولى يختص في قوب معينين وهم قوب صالح، فعرفتهم بدليل قوله تعالى : "فأخذتهم الصيحة بالحق" ، والمراد بالقبو الظالمين الكافرون، واختير هذا الوصف؛ لأن هؤلاء ظلموا أنفسهم بالإشراك.

والتعريف في "الظالمين" للاستغراب فشلهم؛ ولذلك تكون الجملة بمنزلة التذليل.

(١) أسرار التكرار في القرآن: ٢٨.

(٢) التعبير القرآني: ١٨٨.

أما في الآية الثانية فلظف (قوم) فيها لم يكن في قوم معينين، والقول في "بعداً لقوم لا يؤمنون" مثل الكلام على "بعداً للقوم الظالمين"؛ إلا أن الدعاء نيط هنا بوصف أنهم لا يؤمنون ليحصل من مجموع الدعويتين التنبية على مذمة الكفر، وعلى مذمة عدم الإيمان بالرسل تعرضاً بمشركي قريش، على أنه يشمل كل قوم لا يؤمنون برسول الله؛ لأن النكرة في سياق الدعاء تعم^(١).

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَأَوَى مِنَ الصَّدَقِينَ قَالَ أَفْخُوا حَسَنًا إِذَا جَعَلْتَهُ تَارًا
قَالَ أَتُونِي أُفْرِغُ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهِرُوهُ وَمَا اسْطَاعُوا لَهُ ثُبَّا﴾ (الكهف: ٩٧-٩٦).

هذه الآية قالها الله عز وجل في السد الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس الم世人 للوقوف أمام هجمات يأجوج ومأجوج، قال الله تعالى الآيتين السابقتين على لسان ذي القرنين.

فунدما شاهد يأجوج ومأجوج السد حاولوا تسلقه فلم يستطعوا؛ لأنه أملس ولا يوجد به مقابض، وحاولوا نقضه بالحفر فعجزوا عن ذلك.

ومعنى (يظهروه): يتسلقوه ويصعدوا عليه، ومعنى (ثبباً): نقضه بالحفر.

لقد ذكر (استطاعوا) بدون التاء في المرة الأولى، ثم عدل عن ذلك مستعملاً (استطاعوا) بالتاء في المرة الثانية. فما الحكم من وراء ذلك؟!

يرى الكرمانى باختيار التخفيف في الأول (استطاعوا) لأن مفعوله حرف و فعل وفاعل ومفعول به (أن يظهروه) فاختار فيه الحذف، والثانى (استطاعوا) مفعوله اسم واحد، وهو (ثبباً)^(٢). وكما سبق قوله فإن السد أملس ، وهو خالٍ من المقابض والنتوءات للإمساك بها، ولذلك لا يمكن تسلقه والصعود عليه. وعملية التسلق والصعود تحتاج إلى خفة ومهارة ورشاقة، لذلك حذفت التاء من الفعل (استطاعوا)، ليتناسب ذلك مع خفة التسلق والصعود.

أما الفعل الثاني (استطاعوا) بالتاء فيتناسب ذلك مع المعنى ، حيث عجز يأجوج ومأجوج عن نقض السد ونقبه الذي يحتاج إلى جهد وتعب ومثابرة ومشقة، ويستخدم لهذا الغرض بعض الأدوات المادية الثقيلة. لهذه الأفعال والأعباء المادية والنفسية جاء بالفعل (استطاعوا) بالتاء.

"إذن حذف التاء من فعل (استطاعوا) للتخفيف المتناسق، تخفيف حروف الفعل وتخفيف تسلق الجدار. وإثبات التاء في فعل (استطاعوا) للتنقيل المتناسق، تنقيل حروف الفعل بتتنقيل نقب ونقض الجدار"^(٣) .

(١) تفسير التحرير والتورير: المجلد التاسع، ٦٣/١٨.

(٢) أسرار التكرار في القرآن: ١٣٤.

(٣) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ٢٤٥.

تكرار المقاطع:

في سورة "الرحمن" تكرر قوله تعالى : ﴿فَيَأْتِيَ الْأَءِرِبُكُمَا تَكَبَّان﴾ إحدى وثلاثين مرة، وكان هذا المقطع آية مستقلة من بين آيات السورة التي تبلغ ثمانية وسبعين آية. فقد جاء التكرار في هذه السورة على ما ألفه العرب، وما جرت به الأساليب البيانية في اللغة.

يقول المرتضى (ت ٤٣٦هـ) - في أمالية^(١) - في معرض حديثه عن التكرار في سورة الرحمن : "وَأَمَا التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المعددة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها فرر عليها، ووبخ على التكذيب بها... كما يقول الرجل لغيره: ألم أحسن إليك بأن خولتك الأموال؟ ألم أحسن إليك بأن خلصتك من المكاره؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا؟ فيحسن منه التكرار، لاختلف ما يقرره به... وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم... قال مهلهل بن ربيعة يربى كلباً:

إذا طرد البيئم عن الجذور	على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا ما ضيَّمَ جيرانُ المجيرِ	على أن ليس عدلاً من كليبٍ
إذا رجفَ العضاه من الدبورِ	على أن ليس عدلاً من كليبٍ

وقد تكرر هذا اللفظ ثمانى مرات فى ثمانية أبيات.

وللإمام الزمخشري رأي في تعدد النعم التي أنعم الله بها: "عَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلْاءَهُ، فَإِنَّمَا يَقُولُ أَوْلُ شَيْءٍ مَا هُوَ أَسْبَقَ قَدْمًا مِنْ ضَرُوبِ الْآتَاهُ وَأَصْنَافِ نِعَمَهُ، وَهِيَ نِعْمَةُ الدِّينِ، فَقَدْمُ نِعْمَةِ الدِّينِ مَا هُوَ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِهَا وَأَقْصَى مَرَاقِيبِهَا: وَهُوَ إِنْعَامُهُ بِالْقُرْآنِ وَتَزْكِيَّهُ وَتَعْلِيمُهُ، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ وَحْيَ اللَّهِ رَبِّهِ، وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةً، وَأَحْسَنَهُ فِي أَبْوَابِ الدِّينِ أَثْرًا، وَهُوَ سَنَامُ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ وَمَصَدَّاقَهَا وَالْعِيَارِ عَلَيْهَا، وَأَخْرُ ذِكْرِ خَلْقِ الإِنْسَانِ عَنْ ذِكْرِهِ، ثُمَّ أَتَبَعَهُ إِيَّاهُ: لِيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَ لِلَّهِ دِينًا، وَلِيُحِيطَ عَلَمًا بِوَحِيهِ وَكُتُبِهِ وَمَا خَلَقَ إِنْسَانًا مِنْ أَجْلِهِ، وَكَانَ الغَرْضُ فِي إِنْشَائِهِ كَانَ مَقْدَمًا عَلَيْهِ وَسَابِقًا لَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ سَائرِ الْحَيَّاتِ مِنْ البَيَانِ، وَهُوَ الْمَنْطَقُ الْفَصِيحُ الْمَعْرُوبُ عَمَّا فِي الضَّيْمِ" (٢).

وَكَمَا سُبِقَ فَيْلَ الْأَيَّةِ الْكَرِيمَةِ «فَيَأْتِيَ الْأَءِرِ تِكْمَا تِكْتَبَانِ» تكررت إحدى وثلاثين مرة في سورة "الرحمن"، ولو حاول الإنسان تردّي هذه الآية الكريمة من غير فاصل يفصل بينها، فإنه لن يحس تقللاً في السمع، ولن يجد اضطراباً في اللسان، وقد عبر عن هذا المعنى الأستاذ عبد

(١) المرتضى، الشريف: أمالی المرتضی غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م، ١٤٣١/١.

(٢) تفسير الكشاف : ٤٣٢ / ٤

الكريم الخطيب في كتابه "الإعجاز في دراسات السابقين" يقول : "إن كنت موسيقياً.. فليس لي معك حديث في هذا الأمر.. فأنت خبير به عليهم.. وما عليك إلا أن تذندن بالأية الكريمة، وتحرك لسانك بحروفها حرفاً حرفاً ، كما تحرك أصابعك على أوتار العود.. وسينتهي بك ذلك إلى أن تجد نفسك في نسخة نغم علوى سماوي لم يقع لأنفك من قبل! وإن لم تكن من أصحاب الموسيقى فرثل الآية الكريمة ترتيلًا قرآنياً .. مرة ومرة، ومرات.. وأملاً فمك بكلماتها، وفتح أذنيك لرنينها.. وسترى أنك تنطق بلحن موسيقي يفيض رحمة، وينبض جلاً وقوة.. يهتف بالنفوس الشاردة أن ترجع إلى ربها، وبالقلوب الضالة أن تفر إلى خالقها.. وإلا فالويل والثبور" ^(١).

ولعل فوائل سورة "الرحمن" وبنيتها من أولها إلى آخرها من شأنه أن يقيم الأذن على هذا النغم، فالفاصلة مبنية على التنون المسبوقة بالألف الممدودة، وهي الفاصلة نفسها التي بنيت عليها الآية المكررة (فبأي آلاء ربكم تكذبان) حيث وردت تلك الآية (المكررة) بعد اثنين عشرة فاصلة في اثنين عشرة آية، يقول جل وعلا: ﴿الْرَّحْمَنُ ﴿عَلَمَ الْقُرْآنَ ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ عَلَمَهُ الْبَيَانَ ﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَهُبُّانٌ ﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ سُجْدَانٌ ﴾ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ أَلَا أَلْهَعُوا فِي الْمِيزَانِ ﴾ وَأَقِيمُوا الْوَرْزِيزَ بِالْقُسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْبَيَانَ ﴾ وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّحْلُ دَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ وَالْحَبَّ ذُو الْعَصْفِ وَالرِّيحَانُ ﴾ فَيَأْتِيَ الَّذِي رَبَّكُمَا تَكَذِّبَانَ﴾ (الرحمن: ١٣-١) وهكذا الحال إلى آخر السورة.

يقول الكرماني في كتابه "أسرار التكرار في القرآن" : "قوله : (فبأي آلاء ربكم تكذبان) كرر الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعدد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ، ومبدأ الخلق ومعادهم. ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدتها على عدد أبواب جهنم. وحسن ذكر الآلاء عقبها لأن في صرفها ودفعها نعمًا توافي النعم المذكورة، أو لأنها حللت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعماء.

وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة. ثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة، والله تعالى أعلم" ^(٢).

قد يقول قائل : إن قوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ تَارِ وَيَحَاسٍ فَلَا شَصِرَانٌ﴾ (الرحمن: ٣٥) ليس نعمة تستوجب الشكر عليها أو الإقرار بها، وإنما هو وعد وتحذير من العقوبة على معصية الله.

(١) الخطيب، عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، ٣٩٦.

(٢) أسرار التكرار في القرآن : ١٩٨.

فيل: " إن نعم الله فيما أذر به وحذر من عقوباته على معاصيه ليحذروها فيرتدعوا عنها، نظير أنعمه على ما وعده، وبشر من ثوابه على طاعته، ليرغبوا فيها، ويحرصوا عليها؛ وإنما تتحقق معرفة الشيء بأن تعتبره بضده، والوعد والوعيد وإن تقابلًا في ذاتهما، فإنهما متقاربان في موضع النعم بالتوقيت على ملاك الأمر منها، وعلىه قول بعض حكماء الشعراة:

والحاديَّاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا^(١).
فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

خلاصة القول: إن تكرار قوله تعالى: (فبأي آلاء ربكم نكذبنا) التي خاطب الله تعالى بها التكذين من الإنس والجن؛ ناتج عن حكمة، وتعددت الآية، لأن كل واحدة منها متعلق بما قبلها، حيث عدد سبحانه وتعالي عليهم نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلاً من فصول النعم طلب إقرارهم وشكرهم، والله تعالى أعلم بمراده.

وفي سورة القمر أعاد قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَدُرُّ﴾ (القمر: ٣٠، ٢١، ١٨، ١٦)

وتسجل سورة القمر مكابرة المشركين في الآيات البينية، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالإعراض عن مكابرتهم، وإنذارهم باقتراب القيمة وبما يلقونه حينبعث من الشدائـد، وتنذيرهم بما لقيته الأمم أمثالهم من عذاب الدنيا لتكتذيبهم رسول الله وأنهم سيلقون مثـلـاً لـقـيـ أولئـكـ إـذـ لـيـسـواـ خـيـراـ مـنـ كـفـارـ الـأـمـمـ الـمـاضـيـةـ...ـ وـ فـيـ خـلـالـ ذـلـكـ تـكـرـيرـ التـوـيـهـ بـسـهـدـيـ الـقـرـآنـ وـ حـكـمـتـهـ^(٢).

وسورة القمر جاءت على نظم عجيب فريد .. توازن في الآيات، ووحدة في الفاصلة... وقد جاءت الفواصل كلها على صورة واحدة.. يقول تعالى في سورة القمر :

﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَأَشْقَى الْقَرْمَ﴾ (القمر: ١)

﴿وَإِنْ يَرَوْا إِلَيْهِ يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسِرٌ﴾ (القمر: ٢)

﴿وَكَذِبُوا وَأَبْيَأُوا هُوَأَعْهُمْ وَكُلُّ أُمْرٍ مُّسِرٌ﴾ (القمر: ٣)

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزَاجٌ﴾ (القمر: ٤)

﴿حِكْمَةٌ بِالْقَوْنَةِ فَمَا لَعْنَ الدُّرِّ﴾ (القمر: ٥)

﴿فَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَيْ شَيْءٍ نُكَرٍ﴾ (القمر: ٦)

﴿خُشِّعَا أَبْصَارُهُمْ يَحْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَاهِنُهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ﴾ (القمر: ٧)

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٨/٣ .

(٢) تفسير التحرير والتتوير: المجلد الثالث عشر ، ١٦٦/٢٧ .

﴿مُهُمْ طَعِينَ إِلَى الدَّاعِيْ بِقُولِ الْكَافِرُوْنَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ (القمر: ٨)
 ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ بِحَجَرٍ فَكَذَبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَأَزْدَجُرٌ﴾ (القمر: ٩)
 ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ﴾ (القمر: ١٠)
 ﴿فَسَخَّنَتْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ يَسِيرٌ مُتَهِّرٌ﴾ (القمر: ١١)
 ﴿وَقَجَرَكَا الْأَرْضَ عَيْنَوْنَا فَالْقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرِقَدْ قَدِيرٍ﴾ (القمر: ١٢)
 ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ (القمر: ١٣)
 ﴿يَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَرَاءً لِمَنْ كَانَ كُفُرٌ﴾ (القمر: ١٤)
 ﴿وَلَقَدْ تَرَكَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَجِّرٍ﴾ (القمر: ١٥)
 ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَيُدُرْ﴾ (القمر: ١٦)
 ﴿وَلَقَدْ يَسِرَّنَا الْقُرْآنُ لِذِكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَجِّرٍ﴾ (القمر: ١٧)
 ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَيُدُرْ﴾ (القمر: ١٨)

"فهذا التوازن بين الآيات... قد جعل النغم الموسيقي ممسكاً بها جميعها في لحن واحد متساوق الإيقاع، يجري قوياً متدفعاً كتدفق السيل، حتى يقع على "القرار" فيستقر عنده، ويسكن إليه! وانظر... أي قرار يحمل هذا البحر المتدفع ويحويه في صدره؟

إنه حرف واحد هو حرف "الراء"... وهو أقوى حرف في حروف اللغة العربية، وأشدها تمسكاً... فإذا وقف عليه بالسكون انبعج في رخامة، ولين، وصار أشبه بالوادي العميق الرحب، بين يدي جبل تهمر عيونه، وتتدفق سيوله!"^(١).

ويرى الكرماني أن تكرار ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَيُدُرْ﴾ (القمر: ١٨، ٢١)، فالأولى في الدنيا والثانية في العقبى، وقيل: الأولى لتحذيرهم قبل إهلاكمهم، والثانية لتحذير غيرهم بعد هلاكهم^(٢). وفي قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرٌ﴾ (القمر: ١٦) استفهام، و(كيف) للاستفهام عن حالة العذاب. وهو عذاب قوم نوح بالطوفان، والاستفهام مستعمل في التعجب من شدة هذا العذاب الموصوف، وحذف ياء المتكلم من "نذر" وأصله: نذري. وحذفها في الكلام في الوقف فصريح، وكثير في القرآن عند الفواصل.

(١) الإعجاز في دراسات السابقين: ٤٠٤.

(٢) أسرار التكرار في القرآن: ١٩٧.

وفي قوله : «كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٌ» (القمر : ١٨) "فالاستفهام مستعمل في التشويق للخبر الوارد بعده وهو مجاز مرسل لأن الاستفهام يستلزم طلب الجواب، والجواب يتوقف على صفة العذاب وهي لما تذكر فيحصل الشوق إلى معرفتها وهو أيضاً مكتن بـه عن تهويل ذلك العذاب. وفي هذا الاستفهام إجمال لحال العذاب وهو إجمال يزيد التشويق إلى ما يبينه بعده من قوله : «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرِّاصَةً فِي يَوْمٍ حَسِينٍ مُّسْتَرٍ» (القمر: ١٩) (١).

وتكرار قوله تعالى : «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٌ» (القمر : ٢١) استفهام مستعمل في التعجب، وهو تكرير لنظيره السابق عقب قصة قوم نوح؛ لأن مقام التهويل والتهديد يقتضي تكرير ما يفيدهما.

وعطف "ونذر" على "عذابي" بتقدير مضاف دل عليه المقام، والتقدير: وعاقبة نذري، أي إنذاراتي لهم، أي كيف كان تحقيق الوعيد الذي أنذرهم. وما يلحظ عند تدبر كلام الله في سورة "القمر" يلحظ المرء أن الآية المكررة هنا: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٌ» (القمر : ١٦) لم تدخل على السورة إلا بعد أن جاء منها خمس عشرة آية.

وتنصي السورة على هذا النغم إلى آخرها، "وسورة القمر هذه على ما جاءت عليه من هذا التوازن في الآيات، وهذا التوافق في الفواصل تعتبر مقدمة طبيعية لسورة الرحمن، وانتقالاً من نغم عاصف هادر إلى نغم ملطف موادع.. حيث تبدأ سورة القمر مزاجة مدمدة .. ثم تختتم هذا الختام الرضي اللودود.." (٢) وذلك في قوله تعالى : «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صِدِّيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ» (القمر: ٤٥-٥٥)

أما في سورة "المرسلات" فقد تكرر قوله تعالى : «وَلَلِلّٰهِ يَوْمُئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» (المرسلات: ١٥) عشر مرات ، وذلك لأن كل واحد منها ذكرت عقب آية غير الأولى، فلا يكون تكراراً مستهجنأً، ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض. وقيل : إن من عادة العرب التكرار والإطناب، كما في عادتهم الاقتصاد والإيجاز، وأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب أدعى إلى إدراك البغية من الإيجاز (٣).

ومن أسرار التكرار في القرآن الإيحاء بالرهبة والخوف، "وإذا نظرنا إلى هذه السورة وجدناها تتحدث عن وقوع اليوم الآخر، وتصفه، فلا جرم، كرر هذا الإنذار عقب كل وصف

(١) تفسير التحرير والتورير: المجلد الثالث عشر، ١٩١/٢٧.

(٢) الإعجاز في دراسات السابقين: ٤٠٥.

(٣) أسرار التكرار في القرآن: ٢١٣.

له، أو فعل يقع فيه ، أو عمل من الله، يدل على قدرة ، يحيى بها الناس بعد موتهم. وفي هذا التكرار ما يوحى بالرهبة، ويملا القلب رعباً من التكذيب بهذا اليوم الواقع بلا ريب^(١).

والمتأمل لسورة "المرسلات" يلحظ أن الآية الكريمة: «وَيُولِّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ» (المرسلات: ١٥) وردت أول مرة بعد أربع عشرة آية من سورة المرسلات، وتكرر الآية

الكريمة ، وذلك كما في قوله تعالى : «أَلَمْ يُكَلِّمِ الْأَوْلَئِنَ» (المرسلات: ١٦)

«لَمْ يَسْعِهِمُ الْآخِرِينَ» (المرسلات: ١٧)

«كَذِلِكَ تَعْلَمُ الْمُجْرِمِينَ» (المرسلات: ١٨)

«وَيُولِّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ» (المرسلات: ١٩)

«أَلَمْ يَحْكُمْ مِنْ مَاءِ مَهِنَ» (المرسلات: ٢٠)

«وَجَعَلْنَاهُ فِي قَارَبِ مَكِينٍ» (المرسلات: ٢١)

«إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ» (المرسلات: ٢٢)

«فَقَدَرْنَا فِتْنَمَ الْقَادِرُونَ» (المرسلات: ٢٣)

«وَوَلِّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ» (المرسلات: ٢٤)

«أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كَهَاناً» (المرسلات: ٢٥)

«أَحْيَاءً وَمَوْتَانًا» (المرسلات: ٢٦)

«وَحَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَانًا» (المرسلات: ٢٧)

«وَوَلِّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ» (المرسلات: ٢٨)

وهكذا تمضي الآية إلى آخر السورة على هذا النسق العجيب من النظم، فعلى رأس كل آيتين أو ثلاثة آيات، أو أربع، أو خمس.. تجيء الآية المكررة وكأنها خاتمة المقطع "السمفونية" الموسيقية..

ويعلق الأستاذ عبد الكريم الخطيب بقوله : وأنت ترى أن هذه السورة الكريمة لم تتحدد فيها فواصل الآيات كما رأينا ذلك في سورة "الرحمن" مما كان له أثره العظيم في تحاذب الآيات، وتعانق فواصلها.. ولكن الذي فات هذه السورة من اتحاد الفاصلة استعيض عنه بتقسيم السورة إلى مقاطع ، كل مقطع منها يمثل وحدة من النغم.. في توازن الآيات، وتماثل

الفوائل! فكان هذا العمل المحكم عاملاً حاسماً في إقرار الآية المكررة بين آيات السورة في وضع مطمئن مكين.

كما أن في قوله : "وَلَيَوْمَئِذٍ لِّلْمَكْذِبِينَ" التي ترد في مواقف الوعيد التي جاءت في سورة المرسلات، وما يطعن وراء كل موقف من صارخ يصرخ.. "وَلَيَوْمَئِذٍ لِّلْمَكْذِبِينَ" .. فإن امتداد هذا الصوت من أول السورة إلى آخرها دون أن يتغير وجه الصارخ، أو تختلف نبراته، فيه تمكين قوي لهذا الصوت أن يزلزل النفوس، ويملا القلوب فزعاً وهلعاً من هذه المواقف التي تعرضها الآيات، فيفر منها إلى أي وجه يبعد بينه وبينها^(١).

وكما هو معلوم فإن الويل أشد السوء والشر، وويل في الأصل مصدر منصوب ساد مسدٌ فعله، لكن عُدِلَ به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهالك ودوامه للمدعى عليه، ويومئذٍ ظرفه أو صفتة. فسبحان من هذا كلامه.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكُمَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿مَمَّا أَدْرَاكُمَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (الأنفال: ١٧-١٨)، يرى الكرمانى أن التكرار أفاد التعظيم، وقيل: أحدهما للمؤمن والثانى للكافر^(٢).

وقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكُمَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ : تركيب مركب من (ما) الاستفهامية وفعل الدراءة المعدى بالهمزة، فصار فاعله مفعولاً زائداً على مفعولي دري، وهو من قبيل: أعلم وأرى. فالكاف مفعوله الأول ، وقد علق على المفعولين الآخرين بـ (ما) الاستفهامية الثانية.

والاستفهام الأول مستعمل كناية عن تعظيم أمر اليوم وتهويله بحيث يسأل المتكلم من يسمعه عن الشيء الذي يحصل له الدراءة لكنه ذلك اليوم، والمقصود أنه لا تصل إلى كنهه دراءة دار.

والاستفهام الثاني حقيقي، أي سؤال سائل عن حقيقة يوم الدين كما تقول : علمت هل زيد قائم، أي علمت جواب هذا السؤال.

ويرى الإمام الطاهر بن عاشور أن تكرير الآية للتهليل، فهو من التوكيد اللفظي، وقرن هذا بحرف (ث) الذي شأنه إذا عطف جملة على أخرى أن يفيد الستراخي الرتبى، أي تباعد الرتبة في الغرض المسوق له الكلام، وهي في هذا المقام رتبة العظمة والتهليل^(٣).

ثم أجمل القول في وصفه فقال: ﴿يَوْمٌ لَا يَمْلِكُ قُسْطُسٌ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يُوْمَئِذَ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ١٩) أي لا تستطيع دفعاً عنها ولا نفعاً لها بوجه ولا أمر إلا الله وحده^(٤).

(١) الإعجاز في دراسات السابقين: ٤٠٢، ٤١٢.

(٢) أسرار التكرار في القرآن: ٢١٥.

(٣) تفسير التحرير والتتوير: المجلد الخامس عشر، ٣٠/١٨٤.

(٤) تفسير الكشاف: ٤/٤٧٠.

وكما هو معلوم فإن من فوائد التكرير التأكيد، والتكرير أبلغ من التأكيد، وعلى هذا يمكن القول: إن تكرير الآية الثانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنَّه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء، وفي (ثم) تبييه على أن الآية الثانية أبلغ من الأولى وأقدر على تصوير العظمة والتهويل التي يتصف بها يوم الدين.

يقول الله عز وجل في سورة التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر: ٣-٤) يرى الإمام الزمخشري أن الثانية تأسيس لا تأكيد؛ لأنَّه جعل الثانية أبلغ في الإنشاء فقال : وفي (ثم) تبييه على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول^(١). وذلك كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل ، والمعنى سوف تعلمون الخطاب فيما أنت عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى.

"وقال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- (كلا سوف تعلمون) في القبول (ثم كلا سوف تعلمون) في البعث غير بينهما بحسب التعاقق. وتبقى (ثم) على بابها من المهلة في الزمان"^(٢) ، وذهب إلى ذلك ابن عباس- رضي الله عنه-.

وقد ابتدأت الآية بحرف الزجر والإبطال بقوله "كلا سوف تعلمون" فأفاد (كلا) زجراً وإبطالاً لإنهاء التكاثر.

و "سوف" لتحقيق حصول العلم، وحذف مفهوم "تعلمون" لظهور أن المراد: تعلمون سوء مغبة لهوكم بالتكاثر عن قبول دعوة الإسلام.

وأكَّدَ الزجر والوعيد بقوله : "ثم كلا سوف تعلمون" فعطف عطفاً لفظياً بحرف التراخي أيضاً للإشارة إلى تراخي رتبة هذا الزجر والوعيد عن رتبة الزجر والوعيد الذي قبله، فهذا زجر ووعيد مماثل للأول لكن عطفه بحرف (ثم) اقتضى كونه أقوى من الأول؛ لأنَّه أفاد تحقيق الأول وتهويله^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَاقَةُ مَا الْحَاقَةُ ﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكُمَا الْحَاقَةُ ﴾ ﴿كَذَّبْتُ تَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ﴾ (الحاقة: ١-٤)، فالحاقَةُ صيغة فاعل من: حق الشيء إذا ثبت وقوعه، ولقب بذلك "يوم القيمة"؛ لأنَّه يومٌ محقق وقوعه.

وافتتاح السورة بلفظ "الحاقَةُ" ترويع للمشركين، و"الحاقَةُ" مبتدأ، و"ما" مبتدأ ثانٍ، و"الحاقَةُ" (الثانية) خبر المبتدأ الثاني، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الأول.

(١) البرهان في علوم القرآن : ١١/٣ .

(٢) تفسير البحر المحيط: ٥٠٦/٨ .

(٣) تفسير التحرير والتتوير: المجلد الخامس عشر، ٥٢١/٣٠ .

و (ما) اسم استفهام مستعمل في التهويل والتعظيم كأنه قيل : أتدرى ما الحافة؟ أي ما هي الحافة، أي شيء عظيم الحافة. وإعادة اسم المبتدأ في الجملة الواقعة خبراً عنه تقوم مقام ضميره في ربط الجملة المخبر بها. وهو من الإظهار في مقام الإضمار ولقصد ما في الاسم من التهويل.

ويرى الإمام الطاهر بن عاشور أن جملة "وما أدرك ما الحافة" يجوز أن تكون معرضة بين جملة "ما الحافة" وجملة "كذبت ثمود وعاد بالقارة" والواو اعترافية، ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة "ما الحافة"^(١).

ومهما يكن من معانٍ متعددة للنحو، فإن هذه السورة "الحافة" اشتملت على تهويل يوم القيمة، وتهديد المكذبين بوقوعه ... وكأنه -عز وجل- أراد أن يقول : الحافة أمر عظيم لا تدركون كنهه ، وفي قوله : ﴿كَذَّبُتُمْ نُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ (الحافة:٤) كان مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير "الحافة" ، فعدل إلى إظهار اسم "القارعة" ؛ لأن "القارعة" و "الحافة" اسمان ليوم القيمة، وجاء تكرار المقاطع في هذه السورة لتهليل.

ومثله قوله تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكُمَا الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ١-٣)

فافتتاح السورة بلفظ "القارعة" افتتاح مهول، وفيه تشويق إلى معرفة ما سيخبر به. وفي إعادة لفظ "القارعة" إظهار في مقام الإضمار عدل عن أن يقال: القارعة ما هي، لما في لفظ "القارعة" من التهويل والترويع. وفي قوله : "وما أدرك ما القارعة" زيادة تهليل أمر القارعة باستخدام (ما) الاستفهامية التي تفيد تعظيم حقيقتها - القيمة - فسبحان الذي من هذا كلامه !.

(١) تفسير التحرير والتغوير: المجلد الرابع عشر، ١١٣/٢٩.

تشابه الآيات

تشابه الآيات في القرآن الكريم، ولكن قد يقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً في الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان.

وسيسعى الباحث في تبيين السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، والحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى.

والالأمثلة على تشابه الآيات كثيرة في كتاب الله عز وجل، سيقوم الباحث بدراسة نماذج منها.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ابْنِهِ كُلُّ هَذَا بَلَدٌ أَمْنًا وَأَرْزُقُ أَهْلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ أَمْنٍ مِنْهُمْ يَأْتِيهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرِ﴾ (البقرة: ١٢٦)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ابْنِهِ جَعَلَ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْتَنَبَنِي وَبَيْنِي أَنْ مُبْدِدَ الْأَصْنَامِ﴾ (إبراهيم: ٣٥)

فالآيتان تتشابهان، والاختلاف في تكير (بلد) في الآية الأولى ، وفي تعريفها (البلد) في الآية الثانية.

وعن السر في ذلك التشابه، والاختلاف في التكير والتعريف يقول الكرمانى: " لأن (هذا) هنا إشارة إلى المذكور في قوله: ﴿وَإِذَا غَيَرْتِ زَرْعِ﴾ (إبراهيم: ٣٧) قبل بناء الكعبة، وفي سورة إبراهيم" إشارة إلى البلد بعد الكعبة، فيكون (بلداً) في هذه السورة (البقرة) المفعول الثاني، و (آمناً) صفتة، و (هذا البلد) في إبراهيم المفعول الأول، و (آمناً) المفعول الثاني. وقيل : لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة. وقيل: تقديره في البقرة: البلد بلداً آمناً، فحذف اكتفاء بالإشارة^(١).

فكأن إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة سأله أن يجعله من جملة البلدان التي يشعر أهلها بالأمن والأمان، وفي سورة إبراهيم سأله أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف وعدم الأمان إلى الأمان والأمان، كأنه قال : هو بلد مخوف فاجعله آمناً^(٢).

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا تُشْلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِلَاقِ مَنْ تُرْزَقُونَ وَلَا هُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُشْلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِلَاقِ مَنْ تُرْزَقُونَ وَلَا هُمْ﴾ (الإسراء: ٣١)

(١) أسرار التكرار في القرآن : ٣٥

(٢) تفسير الكشاف : ٥٣٦/٢

فقد كان قتلهم لأولادهم ووأدهم لبناتهم خشية الفاقة، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك، وضمن لهم أرزاقهم.

فقوله سبحانه وتعالى : "تحن نرزقكم وإياهم" في سورة الأنعام، و "تحن نرزقهم وإياكم" في سورة الإسراء على الضد؛ لأن التقدير: من إملأكم بكم ، نحن نرزقكم وإياهم، وفي الإسراء : خشية إملأكم يقع بهم نحن نرزقهم وإياكم.

وفي قوله : "لا تقتلوا أولادكم" أسلوب نهي، و (من) هنا سبيبة، أي من فقر وفاقت، وكذا في قوله : "خشية إملأكم" ، وبين الله سبحانه وتعالى أن قتل الولد حرام بسبب الفقر، وبين الله لهم أنه رازقهم وأولادهم، فكما لا يقتل المرأة نفسه بسبب الفقر والفاقة عليه ألا يقتل أولاده للعلة ذاتها.

ولكن لماذا جاء التركيب (تحن نرزقكم وإياهم) في الأنعام، وفي الإسراء (تحن نرزقهم وإياكم) ؟ !.

"يمكن أن يكون ذلك من التفنن في الكلام. ويمكن أن يقال في هذه الآية : جاء (من إملأكم) فظاهره حصول الإملأة للوالد لا توقعه وخشيته. وإن كان واحداً للمال فبدأ أولاً بقوله (تحن نرزقكم) خطاباً للأباء وتبشيرأ لهم بزوال الإملأة، وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق. ثم عطف عليهم (الأولاد) وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم مسوروون وأن قتالهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملأة والخشية منه فبدئ فيه بقوله (تحن نرزقهم) إخباراً بتكلفه تعالى برزقهم... وعطف عليهم الآباء" (١).

وكان الآيتين تعبير كل منهما عن معنى مختلف عن الآخر، فالآولى تحمل معنى أن الآباء نهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملائهم، والثانية تفيد أنهم نهوا عن قتالهم وإن كانوا موسرين لتوقعهم الإملأة وخشيته.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نَعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كُفَّارٌ﴾ (ابراهيم: ٣٤)

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ سَعَدُوا نَعْمَةَ اللَّهِ لَا يُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: ١٨)

فالآيتان متشابهتان، والذي اختلف فيما فاصلتاهما؛ لأن الآية الأولى تتحدث عن الإنسان وهو المنعم عليه، وفي الآية الثانية وصف المنعم وهو الله سبحانه وتعالى. في الآية الأولى قال سبحانه : "إن الإنسان لظلوم كفار" مستخدماً أسلوب التوكيد بـإن واللام، وصيغتي المبالغة (ظلم وکفار) بتركه الشكر وکفار بالنعم.

أما في الآية الثانية قال سبحانه : "إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" مستخدماً أسلوب التوكيد بـ"إن" واللام، وصيغتي المبالغة (غفور ورحيم) حيث إنه يتجاوز عن تقصير الإنسان في أداء شكر النعم، ولا يقطعها عنه لنفيطه، ولا يعاجله بالعقوبة على كفرانها.

"وَكَانَهُ سَبَّانٌ" وتعالى يقول : أنا المعطي وأنت الآخذ ، فحصل لك أيها الإنسان عند أخذها وضعان: كونك ظلوماً وكونك كفراً،ولي عند إعطائهما صفتان: أقابلاً ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعَ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا يَهْوَنُونَ﴾ (الحجر: ١٠-١١)

وقوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ يَسِيرٍ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ يَسِيرٍ إِلَّا كَانُوا يَهْوَنُونَ﴾ (الزخرف: ٦-٧)

فذكر في آية الحجر : (من رسول) ، وذكر في آية الزخرف: (من نبي) فما سر عدوله من (رسول) في الحجر إلى (نبي) في الزخرف؟

نزلت آية الحجر في عبد الله بن أمية والنضر بن الحارث ونوفل بن خوييد والوليد بن المغيرة، فقد كانوا يصفون الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجنون على جهة الاستهزاء والاستخفاف؛ لأنهم لا يقرؤن بتزيل الذكر عليه. فلما ذكر الله تعالى استهزاء الكفار به عليه السلام ونسبته إلى الجنون واقتراح نزول الملائكة سلاه الله تعالى بأن من أرسل من قبله كان يدين بالرسل إليهم مثل دين هؤلاء معه^(٢).

ومن الواضح أن موقع (رسول) في آية الحجر أمكن في تسلیته عليه السلام، وهذا ما يتاسب مع السياق والمناسبة.

أما في آية الزخرف ورد لفظ (كم) الخبرية التي تفيد التكثير، الذي ناسب من ذلك من يوحى إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل، فورد هنا ما يعم الصنفين عليهم السلام.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰهِي أَقْوَمُ وَيَشِّرُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَيْرًا﴾ (الإسراء: ٩)

(١) الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والمتضادات: ٦٠.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٤٣٥/٥.

وقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَمَا يَجْعَلُ لَهُ عِوَجًا ۚ قَمَّا يَنْذِرَ بِأَسَأَ شَدِيدًا مِّنْ لَدُنْهٗ وَيُنَذِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۚ ۚ﴾ (الكهف: ١-٢)

فقد وصف الأجر في الإسراء بقوله (كبيراً) ، وفي الكهف (حسناً) ، ففي قوله تعالى : (أن لهم أجراً كبيراً) في سياق آية الإسراء يحمل معنى : أنه يبشر المؤمنين ببشارةتين اثنتين : بثوابهم، وبعقاب أعدائهم فقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْذَّتَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ ۚ﴾ (الإسراء: ١٠).

كما أن السياق في آية الكهف يحمل معاني الإنذار بالعذاب الشديد للمكذيبين (لينذر بأساً شديداً من لدنه) ، وكان السياق يحمل البشارة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالجنة (أجراً حسناً).

ولنتائج القراء الكرماني رأي في اختلاف صفة الأجر في الآيتين الكريمتين ، يقول : "ولأن الأجر في السورتين : الجنة . والكبير والحسن من أوصافها ، لكن خصت هذه السورة (الإسراء) بالكبير موافقة لفوائل الآي قبلها وبعدها ، وهي : (حضريراً - أليمًا - عجولاً - تفضيلاً) وجلها وقع قبل آخرها مدة . وكذلك في سورة الكهف جاء على ما تقتضيه الآيات قبلها وبعدها ، وهي : (عوجاً - أبداً - ولداً) وجلها قبل آخرها متحرك" (١).

ومما يجدر ذكره أن الآيات القرآنية الكريمة تنتهي بفوائل منسجمة موسّيقياً بعضها مع بعض ، ومن الملاحظ أن القرآن يعني بهذا الانسجام عنابة واضحة؛ لما لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر في النفس.

يقول الدكتور فاضل السامرائي في ذلك : "إن القرآن الكريم لا يعني بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق ، بل هو يحسب لكل ذلك حسابه ، فهو يختار الفاصلة مراعيًّا فيها المعنى والسياق والجنس ومراعيًّا فيها خواتم الآي وجو السورة ومراعيًّا فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى" (٢).

(١) أسرار التكرار في القرآن : ١٢٧.

(٢) التعبير القرآني : ٢٣٦.

تشابه الأساليب

تتميز اللغة العربية بوجود مجموعة من الأساليب التعبيرية البلاغية المختلفة، إلا أن بعض هذه الأساليب تتشابه وتتشترك في بعض الخصائص والدلائل، وقد يسوق علماء البلاغة الشاهد الواحد في مواضع مختلفة لأساليب متعددة، وهذا يدل على سعة اللغة العربية، وتعدد طرائق التعبير بها.

وسيحاول الباحث - في الصفحات التالية - عرض بعض هذه الأساليب المتشابهة، حيث سيذكر المعنى الاصطلاحي لكل أسلوب يتتشابه مع غيره، وذكر بعض الشواهد التي قد تستخدم عند دراسة كل أسلوب منها، مع التركيز على ذكر الشواهد القرآنية والتعليق عليها. ومن ذلك المجاز المرسل: وهو "ما كانت علاقة بين ما وضع وما استعمل فيه غير المشابهة"^(١).

ومن علاقات المجاز المرسل السببية، وهو إطلاق السبب وإرادة المسبب. ومن ذلك قولهم : رعينا الغيث ، أي : النبات المسبب عن الغيث.

والمشاكلة: "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا"^(٢).

والجناس: هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى.

ومن الشواهد التي يسوقها علماء البلاغة؛ للتدليل على الأساليب السابقة، قوله تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سِيَّئَةٍ سِيَّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى: ٤٠)

فلفظ "السيئة" الثاني استعمل في غير ما وضع له، وهو مسبب عن السيئة الأولى (الذنب) الذي يعد سبباً، وعليه فالعلاقة بين اللفظين علاقة السبب بالمسبب.

والمشاكلة - كما ذكر سابقاً - ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأً.

ومن شواهدها قوله تعالى : **﴿وَجَزَاءُ سِيَّئَةٍ سِيَّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾** (الشورى: ٤٠)

إلا أن المتأمل للآلية الكريمة لا يجد علاقة بين اللفظين "سيئة و... سيئة" كما في المجاز المرسل، وإنما ورد لفظ "السيئة" مرتين، ويمكن استبداله في المرة الثانية بغيره يؤدي معناه نفسه ، لكنه لو حصل هذا لحدث خلل لا يستقيم المعنى به، وهو فقدان الإيقاع الموسيقي

(١) علوان، محمد شعبان (بالاشتراك) : من بلاغة القرآن، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ٢٠٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٢٧.

الناتج عن التردد، ولما تحقق القصد من التكرار والإعادة، وهو استجلاب النغمة نفسها واستبقاء أثرها في الأذن^(١).

ولو أُريدَ تطبيق مفهوم الجناس على الآية السابقة لصح، ولقيل إن السبيئة الأولى تحمل معنى الذنب ، والثانية تحمل معنى العقوبة، فهما متشابهان لفظاً ومختلفان معنى .

وعلى هذا يمكن أن يطلق على المشاكلة والمجاز المرسل ذي العلاقة السببية بالجناس، لكنه لا يتحقق مفهوم المشاكلة ، والمجاز المرسل (علاقته السببية) في شواهد الجناس التام؛ لأن اللفظين -في الجناس- يتشابهان لفظاً وشكلاً ، ويختلفان معنى ، حيث إن اللفظ له وجهان: في كل وجه يحمل معنى استعمل أصلاً فيه اللفظ.

وقد سبق دراسة بعض الشواهد التي تؤيد ما يذهب إليه الباحث ، في البحث الخاص بتكرار الكلمات، حيث درس الباحث شواهد عديدة منها قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمْرًا ﴾ (الزمر : ٧١).

وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ أَتَقْوَى رَبِّهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمْرًا ﴾ (الزمر : ٧٣).

وقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَابَرْقَهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝ قَلْبُ اللَّهِ الْأَلِيلُ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ ﴾ (النور: ٤٣، ٤٤)

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تُقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرُمُونَ مَا لَيْسُوا عِنْدَهُ سَاعَةً كَذِكْ كَانُوا يُفْكُنُونَ ﴾ (الروم: ٥٥)

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَا تَنْعَجُوا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَرْزَنَ بِالْقُسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن: ٩-٧)

وقوله تعالى : ﴿ فَعَنِ اعْدَى عَلَيْكُمْ فَاعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٩٤)

وغيرها من الشواهد القرآنية.

(١) الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والمتشابهات: ٥٧

الطباق والمقابلة :

الطباق : "الجمع بين معينين متقابلين سواء أكان ذلك التقابل التضاد أو الإيجاب والسلب أو العدم والملكة، أو التضاديف أو ما أشبه ذلك، وسواء كان ذلك المعنى حقيقةً أو مجازياً^(١)".

ومنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (الحديد: ٣)

وقوله تعالى : ﴿ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْمَانًا وَهُمْ رُؤْفُودٌ ۚ ﴾ (الكهف: ١٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۗ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۚ ﴾ (الجم: ٤٣ - ٤٤)

ومنه قول امرئ القيس :

مَكَرٌ مَفْرٌ مَقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا
كَجْلِمُودٍ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
طَابِقٌ بَيْنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ ، وَهُمَا اسْمَانٌ.

وقول بشار بن برد:

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعِدَا
فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَّ
طَابِقٌ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ: نَبَّهَ وَنَمَّ.

أما المقابلة : "أن يُؤتى بمعينين متوافقين ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل، وقد تترتب المقابلة من طباق وملحق به"^(٢).

فهي نوع من الطباق إلا أنها تختلف في العدد، فالطباق يكون بين ضدين اثنين فقط، وهي تكون بين أكثر من اثنين، فأقل الجمع فيها أربعة ألفاظ: اثنان في الأول يقابلهما اثنان في الآخر.

ولا بد فيهما من الترتيب ، فإذا انعدم الترتيب انعدمت المقابلة، وللمقابلة عدة صور أهمها:

١- مقابلة اثنين باثنين، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۗ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحَّمٍ ۚ ﴾ (الإنطمار: ١٢ - ١٣)

قابل : الأبرار في نعيم بالفجار في جحيم.

وقوله تعالى : ﴿ فَلَيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيُبَكِّرُوا كَثِيرًا ۚ ﴾ (التوبه: ٨٢)

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه".

(١) علوم البلاغة: ٢٩٧.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٢٢.

* صحيح مسلم: (٤٦٩٨) كتاب البر والصلة والأدب.

وقول النابغة الجعدي:

فَتَّى تَمَّ فِيهِ مَا يُسْرُ صَدِيقَةُ
عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يُسْوِي الْأَعَادِيَا
٢- مقابلة ثلاثة بثلاثة ، كقوله تعالى : ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّكْرِيرِ وَيُحَلِّ لَهُمُ الطَّيَّابَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمْ
الْحَيَّاتِ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

قابل : يأمرهم بيناهم، والباء بعن ، والمعروف بالمنكر ، فهذه ثلاثة بثلاثة.

وقابل : يحل بحرم ، ولهم بعليهم ، والطبيات بالخائث ، فتكون ثلاثة بثلاثة أيضاً.

وقول الشاعر:

ما أحسنَ الدِّينَ وَالدِّنَبَا إِذَا اجْتَمَعَا
وَأَبْعَجَ الْكُفَّارَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجْلِ

وقول أبي الطيب المتنبي :

فَلَا الْجُودُ يُنْفِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مَدِيرٌ
وَلَا الْبَخْلُ يُنْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مَدِيرٌ

٣- مقابلة أربعة بأربعة ، كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ أَنْعَطَنَا مِنْ حُسْنِي وَآتَنَا وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى فَسَيَسْتِرُهُ الْيُسْرَى
وَمَنْ أَنْعَطَنَا وَآتَنَا وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَيَسْتِرُهُ الْعُسْرَى﴾ (الليل: ١٠-٥)

قابل أعطى وآتى وصدق واليسرى: بدخل واستغنى وكذب والعسرى.

٤- مقابلة خمسة بخمسة ، كقول المتنبي:

أَزُورُهُمْ وَسُوَادُ اللَّيلِ يُشْفَعُ لِي
وَأَنْتَيْ وَبِيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي
فَأَزُورُهُمْ يَقَابِلُ أَنْتَيْ ، وَسُوَادُ يَقَابِلُ بِيَاضَ ، وَاللَّيلُ يَقَابِلُ الصُّبْحِ ، وَيُشْفَعُ يَقَابِلُ يُغْرِي ،
وَلِي تَقَابِلُ بِيِّ.

٥- مقابلة ستة بستة ، مثل قول الشاعر عنترة بن شداد:

عَلَى رَأْسِ عَبْدِ تَاجِ عَزِيزِهِ
وَفِي رِجْلِ حَرَقِيدِ ذُلِّ يَشِينِهِ

يتضح من خلال التعريف بمصطلحي الطباقي والمقابلة ، والتمثيل لهما أن وجه الشبه بينهما الجمع بين المتضادين ، ففي قوله تعالى : ﴿فَلَيَضْحَكُوكُوا قَلِيلًا وَلَيُبَكِّرُوكَثِيرًا﴾ (التوبه: ٨٢) بين الضحك والبكاء طباق ، وبين القلة والكثرة طباق أيضاً ، والشاهد جاء للمقابلة ، لأن جمع بين معندين ، ثم جاء بما يقابلهما على الترتيب.

والمقابلة عند بعض العلماء جزء من الطباقي ، ويرى بعضهم أن من الطباقي مقابلة ، وهكذا كل مقابلة وكل طباق يوحى بمعانٍ خفية ، ويضفي ظلاماً وارفة على الأسلوب فيجمل معناه ، ويعمق معزاه ، فتضاحي الفكرة ، وتظهر الصورة ، فالضد يظهر حسن الضد^(١).

(١) زغلول ، حمزة الدمرداش: الألوان البدوية ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠ م ، ٦٤ .

ومن هذه الأساليب اللف والنشر والتوضيح والتشويق، واللف والنشر في الاصطلاح: أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعاً من غير تعين، على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منها، ورده إلى ما هو له^(١).

ومفصل منه قسمان:

١- مرتب كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهارَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَتَبَغُّوا مِنْ فَضْلِهِ﴾

(القصص: ٧٣) فقد جمع بين الليل والنهر بواو العطف، ثم أضيف السكون إلى الليل؛ لأن فيه النوم والراحة، وابتغاء الرزق إلى النهر لما فيه من الكد والعمل.

ومنه قوله :

فِعْلُ المُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا
فِي مَقْلَبِهِ وَوْجَنْتِهِ وَرِيقِهِ

٢- يكون النشر على خلاف ترتيب اللف، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبَصِّرَةً لِتَبَغُّوا فَضْلًا مِنْ رِبْكُمْ وَلَتَلْعَمُوا عَدَدَ السِّينِ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّاهُنَّ تَفْصِيلًا﴾

(الإسراء: ١٢)

فذكر ابتغاء الفضل للثاني وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب.

وكقوله:

وَلَحْظَةُ وَمُحِيَّاهُ وَقَامَتُهُ

بَدْرُ الدُّجَا وَقَضِيبُ البَانِ وَالرَّاحِ

(فبدر الدجا) راجع إلى (المحييا) وهو الوجه، و(قضيب البان) راجع إلى (القامة)، و(الراح) راجع إلى (اللحظ).

والجمل كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ يُدْخِلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: ١١١)

فضمير قالوا لليهود والنصارى على سبيل اللف، ثم أضيف ما لكل إليه بعد، إذ التقدير: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصراانياً.

أما التوضيح في مصطلح علماء البيان: "عبارة عن أن يأتي المتكلم بمثني يفسره بمعطوف ومعطوف عليه، وذلك من أجل أن التثنية أصلها العطف"^(٢).

ومنه قوله عليه السلام: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق"، ومنه

قول أحدهم:

(١) الهاشمي، السيد أحمد: جواهر البلاغة، علّق عليه محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٩٩٩م، ٢٩٣.

(٢) كتاب الطراز: ٤٤٣.

* سنن الترمذى: (١٨٨٥) البر والصلة.

ومن له الماضيان السيفُ والقلمُ
فطبغه الأحسنانِ الجودُ والشيمُ
أنت الجوادُ وأنت البدُّ لا كذبُ
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسِيمْ نَعْمَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَيْتَهَا عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (يوسف: ٦)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الرَّزْوَجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَيْنِ ﴾ (النجم: ٤٥)

وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ زَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَيْنِ ﴾ (القيامة: ٣٩)

والتسويق غرض بلاغي يخرج إليه الاستفهام، والاستفهام "هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته ..." (١).

وقد تخرج لفاظ الاستفهام عن أصل وضعها، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث ودلالة الكلام، منها : التسويق نحو قوله : ﴿ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَىٰ تِبَارَةٍ شَرِحْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَنْتِمْ ﴾ (الصف: ١٠)

وكما هو معلوم فإن لبناء الجملة العربية طرائقه المرسومة، وأنماطه التركيبية المعروفة التي يتكلف علم النحو بتحديدها، فالجملة الفعلية مثلاً هي التي تبدأ بالفعل ثم الفاعل ثم المكلمات أو المتعلقات، والجملة الاسمية تبدأ بالمبتدأ فالخبر وهكذا.

ولكن الجملة قد تخرج (لا سيما في اللغة الفنية) عن هذا النمط التركيبي، وذلك بأن تتبادل عناصرها المواقع فيما بينها، فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم... وترتبط بلاغة التقديم والتأخير بأثرهما الفني في المعنى بمعنى أن أسلوب التقديم والتأخير لا تكون له قيمته الفنية إلا إذا وظفه الشاعر أو الأديب في تجسيد أغراض فنية خاصة لا تتأدى بغير ذلك الأسلوب (٢).

ومن الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير، التسويق، كما في قول أبي العلاء المعربي :

حيوانٌ مُسْتَحْدَثٌ من جَمَادٍ
والذي حارت البريَّةُ فيه

فأبو العلاء المعربي يتحدث في هذا البيت عنبعث وإعادة خلق الإنسان من تراب وأن هذا أمر تحير الناس في أمره ، وقد قدم الشاعر المسند إليه "الذي" وذكر في صاته ما

(١) علوم البلاغة : ٦٢

(٢) طبل، حسن : علم المعاني، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٩٩٩م، ١٠٩.

يشوق النفوس إلى الخبر، وهو حيرة الخالق فيه، فإذا ما جاء الخبر بعد ذلك تمكن في النفس لتشوّفها إليه من قبل.

وفي قول محمد بن وهب يمدح المعتصم:

شمسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمْرُ
ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

وكما في قولهم : "ثلاثة تورث المحبة: الأدب والدين والتواضع".

يتضح من خلال التعريف والتمثيل أن الأساليب: اللف والنشر والتوصيع والتسويق تشتراك في ذكر المبهم أول الكلام، ثم يفصل هذا المبهم ويتبين ، ورغم ذلك لكل أسلوب خصوصيته.

ومن الأساليب - التي تتشابه- التكير والتورية، والتکير لم يتعرض له كثير من يكتب في هذا الفن، وأول من فتق أحكام أزهاره صاحبُ الكشاف، وتبعه من جاء بعده من علماء البيان، وقصاري ما قالوه أن المسند إليه ينكر لأغراض منها: أن يقصد فرد غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَكَ لِتُشْتُرِكَ فَأَخْرُجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (القصص: ٢٠)

أي فرد من جنس الرجال... فقد نكر "رجل" بقصد إخفائه عن المخاطب^(١).

فعنصر الخفاء يناسب التكير الذي يحمل معاني السرية المطلقة والكتمان، وسرعة التبليغ. ومثله قوله : "سمعت رجلاً يقول إنك حدت عن الصواب".
والتورية تسمى "الإيهام" أيضاً ، وهي : "أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، ويراد به البعيد منها"^(٢).

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِيهِ وَإِنَّا لَمُؤْسِعُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧)، فاللفظ الذي وقعت فيه التورية هو لفظ "اليد" ، وله معنيان قريب حقيقي ، هو الجارحة المعروفة في الإنسان، وبعيد مجازي وهو القوة والقدرة.

"وكما تكون التورية في اللفظ المفرد تكون كذلك في المركب، كقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْسَوْيَ ﴾ (طه: ٥) ، إذ لا مانع من أن يكون التركيب في التورية مع خفاء القرينة، ومرد ذلك عدم اشتراط البلاغيين إفراد اللفظ في التورية، وسكتوا عنه ليعلم أنه قد يدخل فيها التركيب أيضاً"^(٣).

(١) علوم البلاغة: ١١٥.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٣١.

(٣) البلاغة وقضايا المشترك اللغطي: ٢٠٧.

فكلمة (استوى) لها معنيان: قريب وهو الاستقرار في المكان، وبعيد وهو الاستيلاء والملك ، ولم يذكر معها ما يلائم أيًّا من المعنيين.

ومن الأمثلة على التورية قول الصلاح الصندي:

تَاهَ وَنَفْسُ الْمَرْءِ طَمَاحَةٌ	وَصَاحِبُ لَمَّا أَتَاهُ الْغَنِيَّ
شَكَرُهَا قُلْتَ وَلَا رَاحَةٌ	وَقَيلَ هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا

فلراحة معنيان: قريب وهو الكف المتبدّل بقرينة ذكر اليد، وبعيد مراد وهو ضد التعب. ونحوه قول الآخر:

حَسْبَكَ اللَّهُ تَعَالَى	أَيُّهَا الْمَغْرِضُ عَنِّ
---------------------------	----------------------------

ومن السنة النبوية " فقد روِيَ أَنَّ الرَّسُولَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ سَائِرًا بِأَصْحَابِهِ يَرِيدُ بِدِرَأٍ فَلَقِيهِ بَعْضُ الْعَرَبِ فَقَالَ لَهُمْ: مِمَّنِ الْقَوْمُ ، فَقَالَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : نَحْنُ مِنْ مَاءٍ ، فَأَخْذَ الرَّجُلُ يَفْكُرُ ، وَيَقُولُ مِنْ مَاءٍ مِّنْ مَاءٍ لِيَنْظُرْ أَيَّ الْعَرَبِ يَقُولُ لَهُ مَاءً ، وَهَذَا لَيْسَ يَعْدُ مِنَ الْإِلْغَازِ ، وَإِنَّمَا يَعْدُ مِنَ الْمُغَالَطَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ (مَاءً) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَعْضَ بَطْوَنِ الْعَرَبِ يَقُولُ لَهُ (مَاءً) كَمَا يَقُولُ هُوَ (مَاءُ السَّمَاءِ) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَرَادُهُ أَنْهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ مَاءٍ ، أَيِّ النَّطْفَةِ، فَهُوَ كَمَا ذُكْرَنَاهُ صَالِحٌ لِلْأَمْرَيْنِ عَلَى جَهَةِ الْاِشْتِراكِ "(١) . وَهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ عَنْصَرَ الْخَفَاءِ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّورِيَّةِ، وَيُمْكِنُ القَوْلُ : إِنَّ هَذَا هُوَ التَّطْبِيقُ الْحَقِيقِيُّ لِمَفْهُومِ الْبَلَاغَةِ الَّذِي يَعْنِي : "بِلَاغَةُ الْكَلَامِ مُطَابِقَتِهِ لِمُقْتَضَىِ الْحَالِ الَّتِي يَورُدُ فِيهَا مَعَ فَصَاحَتِهِ"(٢) .

ومن هذه الأساليب أيضاً الكناية عن نسبة، والمجاز العقلي، والكناية: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" (٣)

كقولك : فلان طويل النجاد، أي طويل القامة وشجاع.

ومنها قولهم : هو حارس على ماله، كانوا به عن البخل الذي يجمع ماله ولا ينتفع به. "وفلانة نؤوم الضحى، أي مرفهة مخدومة غير محتاجة للسعى بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش، وكفاية أسبابه وتحصيل ما

* الحديث موجود في كتاب "الرحيق المختوم" للشيخ المبارك كفوري، ٢٠٢.

(١) كتاب الطراز: ٤٣١.

(٢) علوم البلاغة: ٣٦.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٠١.

يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها، فلا تمام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك^(١).

وتتقسم الكنية إلى ثلاثة أقسام :

الأول - كناية عن صفة: وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة...
تقول النساء في رثاء أخيها:

كثير الرماد إذا ما شتا طويل النجاد رفيع العماد

فالنساء في هذا البيت تصف أخاها صخراً بثلاث صفات هي : إنه طويل النجاد، رفيع العماد، كثير الرماد.

" وهي بهذه الصفات ت يريد أن تدل على أن أخاها شجاع ، عظيم في قومه ، كريم . ولكنها عدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الكنية عنها ، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، ثم إنه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون سيداً عظيم القدر والمكانة في قومه وعشيرته ، كما أنه يلزم من كثرة الرماد كثرة إحراق الحطب تحت الدور ، ثم كثرة الضياف ، ثم كثرة الكرم . وهنا أيضاً يجوز المعنى على جانب الحقيقة ، فمن الجائز بالإضافة إلى المعنى الكنائي أن يكون أخوها حقيقة طويل النجاد ، رفيع العماد ، كثير الرماد"^(٢).

ومنها قوله تعالى : ﴿لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقِكَ وَلَا تُبْسِطْ يَدَكَ كُلَّ الْبُسْطِ فَقَعْدَ مَلُومًا مَخْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩) ، فالحديث في الآية الكريمة يدور حول صفتين معنويتين هما: البخل ، والتبذير .

الثاني - الكنية عن الموصوف :

وهي أن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات ، ويراد بها موصوفٌ معين ، والكنية هنا تختص بالمعنى عنه.

كقوله تعالى : ﴿فَاصْرِرْ لِحُكْمِ رِبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوَبِ إِذَا دَأَدَى وَهُوَ مُكْلُومٌ﴾ (القلم: ٤٨)

صاحب الحوت كناية عن موصوف ، وهو يومنس عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْلَاجِ وَدُسْرِ﴾ (القمر: ١٣) ، فذات الألواح والدسر أي الألواح والمسامير ، وهي كناية عن موصوف (السفينه) .

ومنها قول أحمد شوقي:

(١) من بلاغة القرآن : ٢٣٠ .

(٢) عتيق، عبد العزيز: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ٢١٤.

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسَرَّهُ فِي الضَّادِ
قد كنى عن اللغة العربية، وهي الموصوف بالضاد بوصفها من الحروف التي تتميز
بها اللغة العربية عن سواها.

الثالث - الكناية عن نسبة:
ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، وفيها يصرّح بالصفة والموصوف، ولا
يصرّح بالنسبة الموجودة مع أنها هي المرادة.
ومن ذلك قول الشاعر:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمَرْوِعَةَ وَالنَّدِي فِي قَبَّةِ ضَرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَاجِ
قد نسب السماحة والمروعة والندي إلى القبة، وكان يقصد نسبتها إلى صاحب القبة،
جعل كون الصفات الثلاث في القبة كناية عن وجودها فيه.

وكقول الشنيري يصف امرأة بالعفة:
يَبْيَتُ بِمَنْجَاهٍ مِّنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بَيْوَتُ بِالْمَلَامَةِ حَلَّتْ
قد نفى الشاعر اللوم عنها بنفيه عن بيتها الذي تقيم فيه، وفي البيت أربع كنایات:
الأولى : كناية عن صفة العفة، وقد كنى عنها بالنجاة من اللوم، إذ النجاة من اللوم تستلزم
النجاة من موجباته كالزنا والفواحش، وذلك يستلزم العفة.

والثانية: كناية عن نفي العفة في الشطر الثاني، وكنى عن ذلك بحلول الملامة.
والثالثة: كناية عن نسبة العفة إلى فقاته، وقد كنى عنها بنسبتها إلى بيتها.
والرابعة: كناية عن نفي العفة عن أصحاب تلك البيوت بنفيها عن بيتهما.
ففي كل شطر من شطري البيت كنایتان قد جعلت إدراهما طرفاً للثانية^(١).
أما المجاز فهو : "استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مع قرينة مانعة من
إرادة المعنى الأصلي"^(٢).

وينقسم المجاز إلى قسمين: عقلي ومرسل، حيث سيذكر الباحث مفهوم المجاز العقلي
وأمثلة تدل عليه، وبيان علاقاته - لأن هذا له علاقة بموضوع البحث في باب تشابه الأساليب،
مع الكناية عن نسبة - المتعددة.

فالمجاز العقلي يسمى بمجاز الإسناد، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو
له علاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

(١) من بلاغة القرآن : ٢٣٦.

(٢) علوم البلاغة: ٢٢٩.

ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَيِ الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعَاً سُسْطِعِفُ طَافِهَةَ مِنْهُمْ يَدْعِ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْخَيِ نَسَاءَهُمْ﴾ (القصص: ٤)

فأسند الفعل وهو (ذبح) إلى فرعونعلمًا بأن فرعون ليس هو الذابح الحقيقي، ولكن لما كان الأمر صادرًا منه نزل منزلة الذابح.

أما علاقات المجاز العقلي فهي^(١) :

- ١- الزمانية:

وبيسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل، كقولنا: نهاره صائم، وليله قائم. فأسندها الصيام إلى النهار، والقيام إلى الليل. وقوله تعالى : ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (سبأ: ٣٣)، فقد أسنده المكر إلى الليل والنهاير على سبيل المجاز العقلي.

- ٢- المكانية:

وبيسند الفعل فيها إلى المكان الذي وقع فيه الفعل، كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الأنعام: ٦)، أسنده الجريان إلى الأنهار وهو مكان الماء إسناداً مجازياً، لأن الأنهار لا تجري إنما يجري ماء الأنهار.

- ٣- السببية:

وبيسند الفعل فيها إلى السبب الذي أدى إليه، نحو قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فَرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ رَبِّي صَرْحًا عَلَى أَبْلُغِ الْأَسْبَابِ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَيْهِ مُوسَى﴾ (غافر: ٣٧، ٣٦) أسنده فعل البناء إلى هامان إسناداً مجازياً علاقته السببية؛ لأن هامان هو السبب في البناء، وهو المسئول عن تفيذه.

- ٤- المصدرية:

وبيسند فيه الفعل إلى المصدر بدلاً من الفاعل الحقيقي، كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نَفَخْتَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ (الحقة: ١٣)، فقد أسنده الفعل وهو النفخ إلى المصدر إسناداً مجازياً، ولم يسنده إلى الفاعل الحقيقي، وهو النافخ في الصور.

وفي إسناد الفعل إلى المصدر في الآية الكريمة اختزال لوقت.

- ٥- الفاعلية:

إسناد الفعل إلى صيغة اسم المفعول، والمراد اسم الفاعل، كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَرَأَتِ الْقُرْآنَ جَعَلَنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْوِرًا﴾ (الإسراء: ٤٥)، أسنده الفعل إلى صيغة اسم

(١) من بلاغة القرآن : ١٩٩-٢٠٣.

المفعول (مستوراً)، وأراد : صيغة اسم الفاعل (ساتراً) ؛ لأن من شأن الحجاب أن يكون ساتراً.

٦ - المفعولية:

وفيها يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل والمراد اسم المفعول.
كقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا مَنْ قُتِلَ مَوَازِينَهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (القارعة: ٧، ٦) ، أُسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل (راضية) ، وأراد : اسم المفعول (مرضية)؛ لأن الذي يرضى هو صاحب العيشة، وليس العيشة نفسها.

ومنه قول الحطيئة يهجو أحدهم :

دع المكارم لا ترحل لبعيتها
وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

أي : واقعد فإنك أنت المطعم والمكسو.

وهكذا بعد عرض المصطلح للأسلوبين (الكنية عن نسبة والمجاز العقلي)، والتمثيل لهما، يتضح وجه الشبه بينهما: حيث تسند الصفة لغير الموصوف الحقيقي في الكنية عن نسبة، وكذلك في المجاز العقلي فإن الإسناد ليس حقيقياً كما سبق ذكره.
ومن تلك الأساليب الكنية والتعريض، وقد تم التعرض لمصطلح الكنية، وأقسامها، والتمثيل لها في الصفحات السابقة في معرض الحديث عن أسلوبي الكنية عن نسبة، والمجاز العقلي.
فالكنية: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" كقولك : فلان طويل النجاد، أي طويل القامة وشجاع.

وأقسام الكنية ثلاثة :

الأول - الكنية عن صفة: وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، كالجود والكرم والشجاعة...

ومنه قول طرفة بن العبد :

خَشَاشٌ كَرَأسٍ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقَّدٍ
أَنَا الرَّجُلُ الضَّرِبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ

وهو كناية عن شدة الذكاء.

الثاني - الكنية عن موصوف: وهي أن يذكر في الكلام صفة أو عدة صفات ، ويُراد بها موصوف معين، والكنية هنا تختص بالمعنى عنه.

ومنه قول أبي نواس :

فَلَمَا شَرَبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا
إِلَى مَوْطَنِ الْأَسْرَارِ قَلَّتْ لَهَا: قَفِي
فَالشَّاعِرُ كَنِيَ بِمَوْطَنِ الْأَسْرَارِ عَنِ الْقَلْبِ وَالْعُقْلِ.

الثالث- الكناية عن نسبة:

ويراد بها إثبات أمرٍ لأمرٍ أو نفيه عنه، وفيها يصرح بالصفة والموصوف، ولا يصرح بالنسبة الموجدة مع أنها هي المرادة.

ومنه قول البحري:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رِحْلَةً
فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ

فكنت بقوله : (المجد ألقى رحله في آل طلحة) عن نسبة المجد إليهم إذ جعل المجد يحط رحاله في ديارهم.

"ما من شك في أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع في النفس من التصريح... فالبالغة التي تولدها الكناية وتضفي بها على المعنى حسناً وبهاءً هي في الإثبات دون المثبت، أو في إعطاء الحقيقة مصحوبة بدليلها، وعرض القضية وفي طيّها برهانها"^(١). أما التعريض في اللغة فهو ضد التصريح، ومنه المعاريض في الكلام، وفي أمثلتهم: إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب. أرادوا أن المعاريض فيها سعة عن قصد الكذب وتعده.

وفي الاصطلاح: "هو المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"^(٢). فجملة "المعنى الحاصل عند اللفظ" شامل للحقيقة والمجاز والكناية، وقولنا : "لا به" مخرج لهذه جمعاً لأن الحقيقة والمجاز والكناية، يدل عليها بالألفاظ فهي عند ذكر الألفاظ وبها، أما التعريض فهو داخل بهذا القيد، فإنه حاصل بغير اللفظ، وهو السياق وقرائن الأحوال"^(٣).

ومن أمثلة التعريض قوله تعالى : ﴿أَفَحَسِبُوكُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا﴾ (المؤمنون: ١١٥)، فالاستفهام ورد على سبيل الإنكار، لكنه تعريض بالكافر في إنكار الرجعة والمعاد الأخروي، وليس ذلك من جهة اللفظ وإنما من جهة القرينة.

ومنه قول امرأة لقيس بن عبادة: أشكو إليك قلة الفأر في بيتي. فقال: ما أحسن ما وررت عن حاجتها، املأوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً.
فقد فهم قيس بن عبادة ما تريده المرأة، لا من اللفظ ، ولكن من حالها وطريقة إخبارها، وذلك هو "السياق".

ولكن كيف يمكن تلمس الفرق بين التعريض والكناية؟! يفرق بينهما من ثلاثة وجوه:

١- الكناية تقع في المفرد والمركب، بينما يختص التعريض بوقوعه في المركب فقط.

(١) علم البيان : ٢٢٣.

(٢) كتاب الطراز : ١٨٠.

(٣) لا شين ، عبد الفتاح: البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعرفة، ط١، ١٩٧٧م، ٢٧٧.

- الكناية تقع في المجاز، والتعريض ليس منه بشيء، لأنه يفهم من جهة السياق، لا علاقة له باللفظ في حقيقته ومجازه.
- التعريض أخفى من الكناية، إذ إن دلالة الكناية تعرف عن طريق اللفظ، والتعريض يفهم عن طريق الإشارة، وما دل عليه اللفظ أوضح مما لا يدل عليه اللفظ.
- والتعريض أخص من الكناية ، فكل تعريض كناية، وليس كل كناية تعريضاً، فهي أعم منه^(١).

لذا كان التعريض وسيلة ناجحة يستخدمها العالم البليغ في تقويم من تأخذهم العزة بالإثم إذا أمروا بمعرف أو نهوا عن منكر، وذلك بأن يوجه الخطاب إلى غيرهم، بإنكار أمر يفعلونه ذاكراً ما ورد فيه من الزجر والوعيد، في الكتاب والسنة وسيرة السلف وهم يسمعون^(٢).

وعلى هذا فإن أسلوبي الكناية والتعريض لها غرض واحد وهو مطابقة مقتضى الحال.

ومن الأساليب الأخرى الاستعارة التصريحية، والتشبيه البليغ الذي لم يذكر فيه إلا المشبه به.

فالاستعارة في اللغة مشتقة من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر، يقال:
استعار فلان سهماً من كنانته^(٣).

وفي الاصطلاح : استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وقد ذكر علماء البيان تعريفات عدة للاستعارة، تدور كلها في فاك واحد، وإن اختلفت في اللفظ والتعبير^(٤).

وتقوم الاستعارة على ثلاثة أركان، هي:

١-المستعار: وهو اللفظ المنقول.

٢-المستعار منه : وهو المشبه به.

٣-المستعار له: وهو المشبه.

(١) انظر/ المثل السائير في أدب الكاتب والشاعر: ١٨٦/٢.
من بلاغة القرآن : ٢٣٨.

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن : ٢٨٦.

(٣) لسان العرب: مادة (غير) ٤٩٤/٩.

(٤) من بلاغة القرآن : ٢١٤.

ويقسم البلاغيون الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى مكنية وتصريحية.

١- فالاستعارة المكنية:

هي ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه.

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْجُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٤)، فقد شبه الذل بالطائر، وحذف المشبه به، وأبقى لازماً من لوازمه وهو الجناح.

وقوله : ﴿ وَالصَّبَحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (التكوير: ١٨) شبه الصبح بالإنسان في الحركة وخروج النور، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو التنفس على سبيل الاستعارة المكنية.

ومنها قول الشاعر :

أَفِيتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
وَإِذَا مُنْيَةً أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
شَبَهَ الشَّاعِرَ الْمُنْيَةَ بِالْحَيْوَانِ الْمُفْتَرِسَ، وَحَذَفَ الْمُشَبَّهَ بِهِ وَهُوَ الْحَيْوَانُ، وَرَمَزَ لَهُ
بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ الْأَظْفَارُ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ الْمُكْنِيَّةِ.

٢- والاستعارة التصريحية:

وهي ما صرّح فيها بالظاهر المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.

ومنها قوله تعالى : ﴿ كَابُّ اتَّرَّتَاهُ إِلَيْكَ لَتَحْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (إِرَاهِيمٌ: ١)
ففي الآية الكريمة استعير لفظ "الظلمات" للضلال؛ لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبيهما، كذلك استعير "النور" للهدي والإيمان؛ لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْرِي الْحَيْثُ وَالصِّبَّ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كُرْكُرُ الْحَيْثِ فَأَنْهَوْا اللَّهَ يَا أَوْلَى الْأَبَابِ لِمَلَكُكُمْ نَّلْهُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٠)

فقد شبه الحرام بالخيث، والحلال بالطيب على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومنها قول أبي الطيب المتّبّي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:
وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتفق
فقد استعار "البحر" والمقصود "سيف الدولة" الممدوح، والعلاقة المشابهة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفظية ، وهي : "وأقبل يمشي في البساط".

كذلك أراد الشاعر تشبيه الممدوح بالبدر، فحذف المشبه وصرّح بالمشبه به، وهو البدر في علاه وضيائه، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي القرينة الفظية السابقة نفسها "وأقبل يمشي في البساط".

ومنها قول الأوّاء الدمشقي:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقط
ورداً وعشت على العناب بالبرد
شبيه الدموع باللؤلؤ، والعيون بالنرجس، والخدود بالورد، والأنانمل بالعناب (العناب
شجر كحبّ الزيتون أحمر اللون حلو)، والأسنان بالبرد.

وتتجلى بلاغة الاستعارة في أمرين: طريقة تأليف الفاظها، وهي ابتکار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب، وهب الله له استعداداً سليماً في تعرف وجوه الشّبه الدقيقة بين الأشياء وأودعه قدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

"فبلغتها- الاستعارة- من ناحية اللّفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحمّل عمداً على تخيل صورة جديدة تنسّيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفيّ مستور"^(١).
أما التشبيه لغة التّمثيل، يقال هذا شبه هذا ومثله، وشبهت الشيء بالشيء أقمنته مقامه؛ لما بينهما من الصفة المشتركة.

والتشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف، وهذه التعاريف وإن اختلفت لفظاً فإنها متفقة معنى.

ويمكن إجمال تعريف البلاغيين في: "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، باءة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرّب بين المشبه والمشبّه به في وجه الشّبه"^(٢).

أركان التشبيه:

أركان التشبيه أربعة: مشبه، ومشبه به، ويسميان بالطرفين، ووجه شبه، وأداة.
وقد قسم علماء البلاغة التشبيه تقسيمات كثيرة، لا يرى الباحث ضرورة لذكرها كلها؛ وذلك لأن التشبيه البليغ ذو صلة قوية بتشابه الأساليب.
فالتشبيه البليغ: هو ما حذفت منه الأداة ووجه الشّبه، ويعد أكثر الأنواع بلاغة؛ لأن حذف الأداة ينبغي عن التطابق بين الطرفين، وحذف الوجه ينبغي عن الشمول في الصفات ، فقد اجتمع فيه القوتان^(٣).

(١) جواهر البلاغة: ٢٦٩.

(٢) علم البيان: ٦٢.

(٣) من بلاغة القرآن: ١٧٨.

"فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل في النفس وأدعى إلى تأثيرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أضئ وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعانى بالجوهر في الصدف، لا يبرز إلا أن تشهه وبالحبيب المتحجب لا يريك وجهه، حتى تستأنن"^(١).

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿نَساؤُكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَتَيْ شِسْمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٣)

فقد شبه النساء بالأرض التي تحرث للزرع ، فحذفت الأداة ووجه الشبه.

ومنه قول الشاعر :

عزمائهم قُضبٌ وفيضٌ أكفهم سُحبٌ وبِيَضٌ وجوههم أقمارٌ

ومن أمثلة التشبيه البليغ الذي لم يذكر فيه إلا المشبه به قوله تعالى : ﴿صُبْرُكُمْ عَمَّيْ فَهُمْ لَا يُرِجِّعُونَ﴾ (البقرة: ١٨)

فقد حذف المشبه لشدة معرفته وسهولة تقديره، وعليه يكون تقدير المذوق : هم صمّ، وهم بكم، وهم عمّي.

ومنه قول الشاعر :

أَسْدٌ عَلَيْ وَفِي الْحَرُوبِ نَعَامَةٌ فَتَخَاءُ تَصَقُّرٌ مِّنْ صَفَرِ الصَّافِرِ

يتضح من خلال العرض السابق وذكر التعريف وسوق الأمثلة، أن الاستعارة التصريحية والتشبيه البليغ الذي لم يذكر فيه إلا وجه الشبه، يتباينان إلى حد كبير، ولكن كيف يمكن التفريق بين كون الشاهد البلاغي استعارة تصريحية أو تشبيهاً بلاغياً؟

لقد عقد الإمام عبد القاهر الجرجاني فصلاً أسماه "في الفرق بين التشبيه والاستعارة" في كتابه "أسرار البلاغة"، ووضع ضوابط يستطيع الأديب والمهتم بهذه الدراسات من خلالها تشخيص ذلك بسهولة ويسر^(٢):

أولاً - إن حسن دخول أدوات التشبيه على المشبه به، بأن يكون معرفة، فإنه يكون تشبيهاً بلاغاً، ولا يكون استعارة إطلاقاً.
مثل: زيد الأسد، وهي شمس النهار.

(١) جواهر البلاغة: ٢٢٣.

(٢) انظر / أسرار البلاغة : ٢٩٢ ، وما بعدها.

من بلاغة القرآن: ٢٢٦-٢٢٧.

ثانياً - إن حسن دخول بعض أدوات التشبيه على المشبه به، وتعذر دخول بعضها الآخر، وكان المشبه به نكرة فإنه جاز عده من الاستعارة.

مثل : زيد أسد ، وهي شمس . فإنه لا يحسن أن يقال : زيد كأسد ، وحسن أن نقول : لأن زيداً أسد.

ثالثاً - وإذا لم يحسن دخول شيء منها على المشبه به، لأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به، كان عده من الاستعارة أحسن كقولك : فلان بدر يسكن الأرض ، وشمس لا تغيب. فإنه لا يحسن دخول شيء من الأدوات فيها، إلا بتغيير صورته كقولك: فلان كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وهي كالشمس إلا أنها لا تغيب.

ومثله قول الشاعر:

شمسٌ تألقُ والفرقانُ غروبُها

رابعاً : يبالغ في التشبيه فيقلب ، ويجعل كل واحد من الطرفين مكان الآخر، كذلك يبالغ في الاستعارة، ويصف المستعار له بصفة أبلغ من الاسم المستعار. كقول أبي الطيب المتنبي :

أسدٌ ، دمُ الأسدِ الهزير خضابه موتٌ ، فريصُ الموتِ منه يرعد

لا سبيل لك أن تقول: هو كالأسد وهو كالموت لما يكون في ذلك من التناقض؛ لأنك إذا قلت هو كالأسد فقد شبنته بجنس السبع المعروف ومحال أن تجعله محمولاً في الشبه على هذا الجنس أولاً ، ثم يجعل دم الهزير الذي هو أقوى الجنس خضاباً يده، لأن حملك له عليه في الشبه دليل على أنه دونه، وقولك بعد "دم الهزير من الأسود خضابه" دليل على أنه دونه، وقولك بعد "دم الهزير من الأسود خضابه" دليل على أنه فوقها. وكذلك محال أن تشبهه بالموت المعروف ثم تجعله يخافه، وترتعد منه أكتافه.

وتعد الاستعارة صورة من صور التوسيع في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة. وترتكز الاستعارة في أصلها على أساس من التشبيه، والتشبيه يقوم على أصلين: المشبه والمشبه به، أما الاستعارة فإنها تعتمد على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه، وإذا كان التشبيه يأتي لبيان المعنى وإيضاح الفكرة فإن الاستعارة أكثر ما تكون تستعمل في القوة وشدة التأثير في السامعين.

الخاتمة

- وبعد: فهذه خلاصة مجملة لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث:
- ١ ترددت كلمة النظم على أقلام النحاة والبلغاء قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني، قبل أن يحيطها الإمام إلى نظرية بلاغية كبيرة، حتى يمكن القول إن الإمام الجرجاني لم يضيف إلى مفهوم النظم شيئاً جديداً، ولكنه جعل من هذا المفهوم إطاراً عاماً تدور حوله البلاغة كلها.
 - ٢ كان النظم محور الدراسات البلاغية الحديثة، والذي شجع النقاد والبلغيين العرب على دراسة النظم من جديد، هو التطور الهائل في المناهج النقدية عند الغربيين، فأراد النقاد إثبات أن تراثهم العربي قد الشتم على تلك المناهج ، ومن هذا التراث "نظريّة النظم عند عبد القاهر الجرجاني"، فكانت تلك النظرية كالبواصلة التي يستدل بها الباحثون والبلغيون في دراساتهم وأبحاثهم وتطبيقاتهم؛ بهدف الكشف عن أسرار بلاغة كتاب الله، ودلائل إعجازه.
 - ٣ مصطلح الأسلوبية في الأدب الغربي يحمل تعريفات مختلفة متضاربة أحياناً ، وهو بصورة مجملة يعرض للطريقة الفنية في التعبير عن الدلالات أو المعانى ، لكنه يمترز في أحياناً كثيرة بمفاهيم متعددة في البلاغة والنحو وسائر علوم اللغة والأدب.
 - ٤ وجدت كلمة "الأسلوب" مجالاً طيباً في دراسات الإعجاز البلاغي، حيث تناولها العلماء المهتمون بإثبات إعجاز القرآن في سبيل المقارنة بين أسلوب القرآن وغيره من أساليب العرب، وقد تفاوت هذا المفهوم ضيقاً واتساعاً من باحث إلى آخر.
 - ٥ الترادف مصدر ثراء اللغة بمفردات يتزود بها المتكلم ويختار منها الأنسب للتعبير والمقام، ويختار منها الشاعر ما يسعف في الوزن والروي.

إلا أن القائلين بالترادف تجاهلوا بعض الفروق بين بعض المترادفات، كما أنهم لم يلتزموا بخطة ولا مصطلح يحكم عملهم، فاختلط في الباب الواحد، أو على المعنى الواحد، مما هو مترادفات ، وما هو متبادرات، وما هو متقابلات، كما اجتمع المفرد مع المركب ، والصفة مع الاسم.

 - ٦ لا يوجد ترادف بالمفهوم المطلق، ولكن من باب الواقع اللغوي وسنة التطور يتم القبول بالمترادفات وفق قواعد وأصول محددة، وقد اهتم علماء اللغة المحدثون بوضع شروط وقواعد للترادف.
 - ٧ انقسم العلماء إلى فريقين: الأول يقول بالترادف في اللغة والقرآن الكريم، والآخر يمنع الترادف في لغة القرآن، ويقول بالفارق اللغوية بين المفردات التي يظن أنها مترادفة.

- ٨- قسم الإمام بدر الدين الزركشي المتشابه إلى عدة فصول منها المتشابه باعتبار الإفراد، وما يشتبه بالزيادة والنقصان، وما يشتبه بالتقديم والتأخير، وبالتعريف والتكيير، وبالجمع والإفراد، ومنه إيدال حرف بغيره، وإيدال كلمة بأخرى، ومنه الإدغام وتركه... .
- ٩- لا ترافق في كتاب الله تعالى، حيث اتضح عدم وجود الترافق بين الفاظ يظن أنها متراوحة، وال Shawahid القرآنية التي تم سوقها في الفصل الثالث "الترافق في النظم القرآني" تدلل بما لا يدع مجالاً للشك على عدم وجود الترافق في كتاب الله تعالى.
- ١٠- أسلوب التكرار في اللغة العربية يشتمل على كثير من الأسرار التي تكسب الكلام حسناً وجمالاً وتعين الأديب على تحقيق أغراضه.
- ويقول جمهور البayanيين والمفسرين بالذكرar البیانی القرآنی، واعتبروه تكراراً حکیماً مقصوداً، وأسلوباً بلاعیاً رفیعاً، كما اعتبروه تكراراً مضیفاً ، یضیف القرآن فیه فی كل مرّة جزءاً من المعنی، أو لفظاً جدیداً .
- ١١- في كتاب الله آيات تتشابه مع آيات أخرى، ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة، إلا أن هذا التشابه والاختلاف مقصود ، فهو قائم على أعلى درجات البلاغة الإعجاز.
- ١٢- تمتاز اللغة العربية بوجود مجموعة من الأساليب التعبيرية البلاغية المختلفة، وبعض هذه الأساليب تتشابه وتشترك في بعض الخصائص والدلائل ، وقد يسوق علماء البلاغة الشاهد الواحد في مواضع مختلفة لأساليب متعددة، وهذا يدل على سعة اللغة العربية، وتعدد طرائق التعبير بها.
- ١٣- القرآن الكريم هو الكتاب الذي حرك هم الدارسين، فقاموا ببحثون عن سر إعجازه ، وقوة بلاغته، ومتانة نظمها، وجمال تعبيرونها، وتوصلوا بعد عناء البحث إلى معرفة القليل من حقائقه، ولكن ما زالت أسراره باقية لا تنفذ، وما زالت عجائبه ظاهرة لا تقضي، فهذه دعوة لدراسة كتاب الله تعالى؛ لإدراك حقائقه ، وفهم مقاصده ، وبيان بلاغة تعبيرونها، وجمال تصويرها، وبراعة نظمها.

الفهارس

أولاً - فهرس الآيات القرآنية الكريمة

ثانياً - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً - فهرس الأشعار

رابعاً - فهرس الأعلام

خامساً - فهرس الكتب

سادساً - فهرس المصادر والمراجع

سابعاً - فهرس الموضوعات

أولاً - فهرس الآيات القرآنية الكريمة

سورة البقرة (٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١٣٨
٦	٥٦
٩	٢٠١
١٤	٢٠٠
١٥	٢٠٠
١٨	٢٤٤
٢٠	٥٤
٢٧	١٦٨
٣٥	٥٧
٣٨	٥٧
٤٠	١٦٧
٤٣	٥٥
٤٥	١٦٣
٤٧	٦٦
٥٠	١٥٣
٥٤	٦٦
٥٨	١٢٧
٦٠	٩٦، ٩٥
٦١	٢١٢، ٥٧
٦٢	٥٦
٧٧	١١٩
٨٠	٥٧
٨١	١٢٨، ١٢٧
١٠١	١٣٩
١١١	٢٣٢

رقم الصفحة التي وردت فيها	رقم الآية
٥٤	١١٨
٦٦	١٢٢
٢٢٤	١٢٦
١٤٠	١٣٦
٩٩، ٩٧	١٤٤
٩٧	١٤٨
١٥٩، ١٥٣، ١٤٠	١٦٤
٥٧	١٧٠
١٣٨	١٧٦
١١	١٧٩
١٣٥	١٨٤
١٧١، ١٤١	١٨٥
٢١١	١٩١
٢٢٩، ٢٠١	١٩٤
١٧٢، ١٧٠	١٩٦
٢١١	٢١٧
١٢٩	٢١٩
٢٤٤	٢٢٣
١٧٢، ١٧٠	٢٢٣
١٤٠، ١١٧	٢٣٥
٢٠٧، ٢٠٦	٢٤٥
٢٠٦	٢٤٧
٦٥	٢٥٣
١٣٣	٢٦٨
١٣٣	٢٧١
١٣٣	٢٧٣
١٢٠	٢٧٤
٢٠٢، ١٧٩	٢٨٢
١٢٠	٢٨٦

سورة آل عمران (٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٣٨
٤	١٤١
٧	١٣٨،٥٣
٢٤	٥٧
٤٢	١٩٩
٤٥	١٤٤
٥٢	٢٠٢،١٤٠
٥٤	٢٠١
٥٥	١٤٥
٥٩	١٤٥
٧٨	٢٠٣
٨١	١٦٨
٨٤	١٤٥
٩٦	٢٠٤
٩٧	٢٠٤
٩٩	١١٠
١٠٤	١٨٨
١١١	٩٧
١١٢	٢١٢،٥٧
١٢١	٧٨
١٣٩	١٧٨
١٤٠	١٩٨
١٤٤	١٤٣
١٤٦	١٧٩،١٧٨،١٧٧،١٠٤
١٥١	١٧٧،١٧٥،١٧٤،٦٦
١٦٤	٧٧

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٦٩	٧٦
١٨١	١٣٣
١٩٩	١٦٣

سورة النساء (٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٣٠
٦	١٣٣
١٥	٢٠٥
١٨	٦٦
٢٣	٢٠٥
٣٤	٢٠٥
٣٦	١٥٠، ١٣٤
٦٢	٦٦
٦٥	١٠١
٩٢	١٢٧
١٠٤	١٧٨
١٠٥	١٣٨
١١٢	١٢٧، ١٢٦
١١٤	١٢٢
١١٥	٥٧
١٢٥	١٩٨
١٢٧	٢٠٥
١٣٥	١٣٣
١٥٧	١٤٤
١٦٣	١٤٧، ١٤٥
١٧١	١٤٤
١٧٢	١٤٥
١٧٤	١٣٧

سورة المائدة (٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠
٤	١٠١
١٧	١٤٥
٢٦	١٥٦
٤٤	١٠٩
٤٧	١٠٩
٤٨	١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٦٩
٥٢	١١٩
٥٣	١٨٢
٥٧	١١٥
٥٨	١١٥
٦٨	٦٦
٧٢	١٤٥
٧٥	١٤٥
٨٩	١٨١ ، ١٣٤
٩٦	١٥٣
١٠٠	٢٤٢
١١٠	١٨٤

سورة الأنعام (٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٨٥ ، ١٨٣
٣	١٢٠
٦	٢٢٨
٣٢	١١٧ ، ١١٥ ، ١١٤
٣٨	١٣٩ ، ١٣٨
٤٢	٧٦

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦١	٦٦
٧٠	١١٥
٨٥	١٤٦
٨٦	١٤٧
٩١	١١٤
٩٨	٧٤
١٠٩	١٨٢، ٦٦، ٦٤
١٢٥	١٠٢، ١٠١، ١٠٠
١٢٨	١٦٦
١٤٢	١٦٠
١٥١	٢٢٤، ٢١٣، ٥٥

سورة الأعراف (٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١٠١
١٩	٥٧
٤٥	١١٠
٥١	١١٥
٦٩	٢٠٦
٧٤	٩٥
٨٦	١١٠
٩٨	١١٤
١٣٠	١٥٦
١٣٦	١٥٤
١٤٨	١٩٨
١٥٧	٢٣١

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٦٦	١٢٧
١٦٣	١٠٨
١٦٤	١٢٤
١٧٩	١٦٠ ، ١٥٨
٢٠٤	١٤٠

سورة الأنفال (٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦	١٩٢
٧	١٨٧
٨	١٨٧
١٨	١٧٨
٢٢	١٥٩ ، ١٥٨
٢٩	١٤١
٣٠	٢٠٢
٤١	١٤١
٥٥	١٥٩ ، ١٥٨

سورة التوبة (٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦	١٣٧
٢٥	١٠٠ ، ٩٨
٣٠	١٤٥
٣١	١٩٨ ، ١٤٥
٤٢	١٨١
٤٦	٧٩
٥٨	٩٠
٦٠	١٣٣ ، ١٣٢
٦٥	١١٤

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦٦	١٢٣
٧٣	١٦٥
٧٤	١٨١، ٦٤
٧٨	١٢٢، ٧٥، ٦٩
٧٩	٩٠
٨٢	٢٣١، ٢٣٠، ٨٧
٨٧	١٢٠
٩٠	١٢٤
٩١	١٠١
٩٤	١٢٣
١٠٧	١٩٨
١١٨	١٠٠

سورة يونس (١٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٣٨
٢٢	١٥٣
٥٤	١١٩
٥٨	١٣٧
٦١	١٤٠
٩٨	١٤٧
٩٩	٩٥

سورة هود (١١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٥٣
٥	١١٩
٩	١٧٣
١٢	١٠١
١٤	١٨

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٩	١١٠
٤٣	١٦٥
٧١	٨٧
٧٢	٨٧
٧٧	١٠٠
٨٠	١٦٥
٨٥	٩٥

سورة يوسف (١٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦	٢٢٣
١٢	١١٤
١٩	١١٩
٢١	١٦٦
٢٣	١٦٦
٢٩	١٢٧
٣٠	٢٠٨
٤٢	١٥٦
٤٧	١٥٦
٤٩	١٥٧
٥٠	٢٠٥
٦٩	١٦٥
٧٧	١١٨
٨٠	١٧٣
٨٦	١٣٠ ، ١٤٩ ، ٧٤ ، ٦٣
٨٧	١٧٤ ، ١٧٣
٩١	٦٦ ، ٦٥
٩٧	١٢٧
١١٠	١٧٣

سورة الرعد (١٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	١٩٠
١٠	١١٨
١١	١٩٧
١٦	٦٦
١٩	١٩٤
٢٠	١٦٨ ، ١٦٧
٢١	١٧٦ ، ٧٩
٢٢	١٢٠
٢٥	١٦٧
٢٦	٢٠٦
٣١	١٧٤

سورة إبراهيم (١٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٢٤٢
٣	١١٠
٣١	١٢٠
٣٤	٢٢٥
٣٥	٢٢٤
٣٧	٢٢٤

سورة الحجر (١٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١١٦
١٠	٢٢٦
١١	٢٢٦
٣٠	٩٤ ، ٩٣
٥٥	١٧٤
٥٦	١٧٤

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٨٨	٦٦
٩٧	١٠٠

سورة النحل (١٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	١٥٩
١٤	١٥٣
١٧	١٨٣
١٨	٢٢٥
١٩	١١٩
٢٣	١١٩
٢٥	١٧٢، ١٧٠
٢٩	١٦٦
٣٨	١٨٢
٤٩	١٥٩
٥٠	١٧٦
٦٤	١٣٨
٦٦	٤٧
٦٧	١٩٨
٧٥	١٢٠
٧٧	١٩٤
٨٠	١٧٠
٩١	١٧٧
٩٨	١٤٠
١٢٧	١٠٠، ٧٧

سورة الإسراء (١٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٩	٢٢٦
١٠	٢٢٧
١٢	٢٣٢
١٥	٦٤
٢٣	٥٥
٢٤	٢٤٢
٢٦	١٤٩
٢٩	٢٣٦ ، ٢٠٧
٣١	٢٢٤ ، ١٢٧
٤٥	٢٣٨ ، ١٤٠
٤٧	١٢٢
٥٧	١٧٥
٥٨	١٣٨
٦٦	١٥٣
٧٠	١٥٤
٨٣	١٧٤
٩٦	١٤٠
١٠٩	١٦٣

سورة الكهف (١٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٢٢٧ ، ١١١
٢	٢٢٧
١٠	١٦٥
١٨	٢٣٠
٦١	١٩٨
٦٣	١٦٥
٧٦	١٢٣

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٩٦	٢١٤
٩٧	٢١٤

سورة مريم (١٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	١٧٨، ٢٣، ٢٢
١٧	١٩٨
٢٦	١٢٤
٨٣	٨٩
٨٦	١٩٢
٨٧	١٩٨

سورة طه (٢٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	٢٣٤
٧	١٢٠
٣٩	١٥٤
٤٠	١٥٦
٦٢	١٢٢
٧٣	١٢٨
٧٧	١٧٧، ١٧٥، ١٥٢، ١٠٤
٧٨	١٥٤
٩٧	١٥٤
١٠٠	١١١
١٠٦	١١١
١٠٧	١١١، ١٠٩، ٧٦
١٠٨	١٦٣، ١١٠
١١٢	١١٢، ١٠٤
١١٣	١٤١

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٢٣	٥٧

سورة الأنبياء (٢١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١١٤
٣	١٢٢، ١١٩، ١١٧
١٦	١١٤
١٧	١١٧
٣١	٩٣، ٩٢، ٩١
٤٨	١٤١
٥٥	١١٥
٥٧	٩٨
٧٦	١٥١
٨١	١٥١
٨٣	١٥١
٨٤	١٥١
٨٥	١٥١
٨٧	١٥١، ١٤٨، ١٤٧
٨٨	١٥١
٩٠	١٦٣
١٠٧	٦٤

سورة الحج (٢٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٧	٥٦
٢٧	٩١
٢٨	١٣٣
٤٧	١٥٦
٧٣	١٧٩
٧٨	١٠٢

سورة المؤمنون (٢٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١٦٤ ، ١٦٣
٢١	٢٠٧ ، ١٦٠
٣٢	٦٦
٤١	٢١٣
٤٤	٢١٣
٥٠	١٤٦
٩٧	٨٩
١١٠	٨٧
١١٥	٢٤٠

سورة النور (٢٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣٢	١٣٤
٣٧	١١٦
٤٣	٢٢٩ ، ١٩٤
٤٤	٢٢٩ ، ١٩٤
٤٥	١٥٩
٥٣	١٨٣ ، ١٨١
٥٧	١٦٥
٦٠	٤٠٥
٦١	١٠١

سورة الفرقان (٢٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٤١ ، ١٣٧
٢	١٩٦
٣	١٨٤
٦	١٢٠
١٣	١٠١

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣٩	٩٤
٤٤	١٦٠

سورة الشعرا (٢٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	١٦١
١٣	١٠٠
٣٤	٢١١
٣٥	٢١١
٣٦	٢١١
٤٩	٢١٢
٥١	١٢٨
٨٢	١٢٧
١٣٧	١٨٤
١٤٨	١١٣
١٨٣	٩٦، ٩٥

سورة النمل (٢٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٠	٩٨
١٩	٨٧، ٨٦
٤٤	١١٢
٥٢	٧٤
٧٠	١٠١، ٦٦
٨٠	٩٩، ٩٧
٨٢	١٥٨
٩١	١٤٠
٩٢	١٤٠

سورة القصص (٢٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	٢٣٨
٧	١٥٤
٨	١٢٧
١٦	١١٢
٢٠	٢٣٤
٢٤	١٣٣
٢٩	١٤٧
٣١	٩٨
٤٠	١٥٤
٤٥	١٦٦
٧٣	٢٣٢
٨٣	٩٦

سورة العنكبوت (٢٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٢	١٢٨
١٤	١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥
١٧	١٨٤
٢٣	١٧٣
٣٣	١٠٠
٣٦	٩٦
٤١	١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٧٨
٦٢	٢٠٦
٦٤	١١٥
٦٨	١٦٦

سورة الروم (٣٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦	٢١٠
٧	٢٩٠
٩	٢٠٩
٢١	٢١٠، ١٨٤
٢٤	٢٩٠
٢٤	٢٠٩
٢٩	٢١٠
٣٠	٢١٠، ١٨٤
٣٤	٢١٠
٣٦	١٧٤
٣٧	٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٦، ٧٤
٤٢	٢٠٩
٤٨	٢٠٩، ٢٠٧
٥٠	٢٠٩
٥١	٢٠٩
٥٢	٩٩
٥٣	٢١٠
٥٤	٢١٠، ١٧٨
٥٥	٢٢٩، ١٩٧، ١٩٥
٥٦	٢١٠
٥٧	١٢٤
٥٩	٢١٠

سورة لقمان (٣١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٣٧
٦	١١٦
١٠	١٣٠

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٣	١١٢
١٤	١٧٨ ، ١٥٧
٢١	٥٧
٢٢	١٦٨
٢٨	١٨٤

سورة السجدة (٣٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٠	١٦٥

سورة الأحزاب (٣٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	٢٠٤
٥	١٢٦
٧	١٦٨
١٠	١٩٤
٢٣	١٦٧
٣٢	١٦٢
٣٥	١٦٣
٣٧	١٠١
٣٨	١٠١
٤٠	١٤٣
٥٠	٢٠٥ ، ١٠١

سورة سباء (٣٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	٦٢
٣٣	٢٣٨ ، ١٧٩ ، ١١٩
٣٩	٢٠٧

سورة فاطر (٣٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٥	١٣٤ ، ١٣٢
٢٨	١٧٦
٢٩	١٢٠
٣٢	١١٢
٤٥	١٥٩

سورة يس (٣٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٠	٥٦
٧٦	١١٩
٨١	١٨٤

سورة الصافات (٣٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٩٠	٩٩
١٣٩	١٤٧

سورة ص (٣٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥٠	١٩٣
٧٣	٩٣

سورة الزمر (٣٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	١٨٤
٧	٢٠٩
٩	٢٠٩
١٦	١٧٥
٢١	٢٠٩
٢٣	٥٤ ، ٥٣

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٦	٢٠٩
٢٨	١٤١ ، ١١٠
٢٩	٢١٠
٣٢	١٦٦
٣٨	٢٠٩
٣٩	٢١٠
٤٦	٢١٠
٤٩	٢١٠ ، ٢٠٩
٥٢	٢١٠ ، ٢٠٨
٥٨	٢٠٩
٦٠	٢٠٩ ، ١٦٦
٦٤	٢١٠
٦٨	٢٠٩
٧٠	٢١٠
٧١	٢٢٩ ، ١٩٢
٧٢	١٦٦
٧٣	٢٢٩ ، ١٩٢
٧٥	٢٠٩

سورة غافر (٤٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣٣	٩٩
٣٦	٢٣٨
٣٧	٢٣٨
٥٢	١٢٤
٧٦	١٦٦

سورة فصلت (٤١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٤١ ، ١٣٨
٢١	١٨٤
٢٤	١٦٦
٢٦	١٤٠
٣٩	١٦٣ ، ٨
٤٤	١٤١
٤٩	١٧٥ ، ١٧٣

سورة الشورى (٤٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦	١٩٨
٧	١٤١
١١	٥٥
١٣	١٤٦ ، ١٠٨ ، ١٠٧
٢١	١٠٨
٢٨	١٧٤
٢٩	١٥٩ ، ١٣٠
٤٠	٢٢٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١١٢
٤٥	١٦٣

سورة الزخرف (٤٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٤١
٦	٢٢٦
٧	٢٢٧
١٢	١٦٠
٤٧	٨٧
٥٧	١٤٦

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦٣	١٤٦
٨٠	١٢٢ ، ١٢٠ ، ١١٧
٨٣	١١٤

سورة الدخان (٤٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٣٧
٢	١٣٧
٩	١١٤
٣٨	١١٥

سورة الجاثية (٤٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	١٥٩ ، ١٣٠
١٨	١٠٨ ، ١٠٦

سورة الأحقاف (٤٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٩	١٤٠

سورة محمد (٤٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١٤٣
٤	١٦٨
١٢	١٦٦ ، ١٦١ ، ١٥٨
١٩	١٦٦
٢٤	١٤٢
٢٦	١٢٠
٣٥	١٧٨
٣٦	١١٥
٣٨	١٣٤

سورة الفتح (٤٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٠	١٦٧
١٧	١٠١
٢٤	٢٠٤
٢٩	١٤٣

سورة الحجرات (٤٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١١	٩١
١٤	٢٠٨

سورة ق (٥٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٢	١٩٤

سورة الذاريات (٥١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤٠	١٥٤
٤٧	٢٣٤

سورة الطور (٥٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٢	١١٤
١٣	١٩٢

سورة النجم (٥٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٧	١٩٤
٤٣	٢٣٠، ٨٧
٤٤	٢٣٠
٤٥	٢٣٣
٦٠	٨٧

سورة القمر (٥٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٢١٧
٢	٢١٧
٣	٢١٧
٤	٢١٧
٥	٢١٧
٦	٢١٧
٧	٢١٧، ٢٦٣
٨	٢١٨
٩	٢١٨
١٠	٢١٨
١١	٢١٨
١٢	٢١٨، ٢٢
١٣	٢٣٦، ٢١٨
١٤	٢١٨
١٥	٢١٨
١٦	٢١٩، ٢١٨، ٢١٧
١٧	٢١٨
١٨	٢١٩، ٢١٨، ٢١٧
١٩	٢١٩
٢١	٢١٩، ٢١٨، ٢١٧
٣٠	٢١٧
٥٠	١٩٤
٥٤	٢١٩
٥٥	٢١٩، ٧٩

سورة الرحمن (٥٥)

رقم الآية	
رقم الصفحة التي وردت فيها	
١	٢١٦
٢	٢١٦
٣	٢١٦
٤	٢١٦
٥	٢١٦
٦	٢١٦
٧	٢٢٩ ، ٢١٦ ، ١٩٦
٨	٢٢٩ ، ٢١٦ ، ١٩٦
٩	٢٢٩ ، ٢١٦ ، ١٩٦
١٠	٢١٦ ، ١٩٦
١١	٢١٦
١٢	٢١٦
١٣	٢١٦
٣٥	٢١٦

سورة الواقعة (٥٦)

رقم الآية	
رقم الصفحة التي وردت فيها	
٥	١٣٠
٦	١٣١
١٩	٩
٣٣	٩
٧٦	١٨١
٧٧	١٣٧

سورة الحديد (٥٧)

رقم الآية	
رقم الصفحة التي وردت فيها	
٣	٢٣٠
١٦	١٦٣
٢٠	١١٥

سورة المجادلة (٥٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	٢٠٥
٧	١٢١
٨	١٢١
١٠	١٢١
١١	٧٩
١٢	١٢١
١٣	١٢١
١٤	١٨١

سورة الحشر (٥٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	٥٧
٨	١٣٤
٩	٦٢
٢١	١٦٤ ، ١٦٣

سورة المتحنة (٦٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٢١ ، ١١٩
١٣	١٧٣

سورة الصاف (٦١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٦	١٤٣
١٠	٢٢٣

سورة الجمعة (٦٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١١	١١٧ ، ١١٦

سورة المنافقون (٦٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١٩٨
٩	١١٦

سورة التغابن (٦٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	١١٩
١٤	١٨٨ ، ٦٣

سورة الطلاق (٦٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	٢٠٥ ، ١٧٣
٦	١٠٠

سورة التحرير (٦٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١١٨
٧	١٢٣
٩	١٦٥

سورة الملك (٦٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٣	١١٩

سورة القلم (٦٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٠	١٨١ ، ٩٠
١١	٩٠
١٧	١٨١
٢٤	١٣٤
٤٣	١٦٤
٤٨	٢٣٦ ، ١٥٢ ، ١٤٧

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤٩	١٥٤
٥٠	١٥٤

سورة الحاقة (٦٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٢٢٢
٢	٢٢٢
٣	٢٢٢
٤	٢٢٣، ٢٢٤
٩	١٢٨، ١٢٧، ١٢٦
١٣	٢٣٨
٣٤	١٣٤

سورة المغارج (٧٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٣	١٦٥
١٧	٩٨
٣٢	١٦٧
٤٢	١١٤
٤٤	١٦٣

سورة نوح (٧١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	١٥٧
٦	١٥٧
٩	١١٨
١٩	٩٣، ٩٢، ٩١
٢٠	٩٢
٢١	١٥٧
٢٢	١٥٧

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٥	١٤٧
٢٦	١٥٧

سورة الجن (٧٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١٤٠

سورة المزمل (٧٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	١٤٠
٩	١٩٨
٢٠	١٤٠

سورة المدثر (٧٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٣	٩٨
٢٧	٦٩
٢٨	٦٩
٣٨	٩٤

سورة القيامة (٧٥)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٥	١٢٤
١٧	١٤٠
١٨	١٤٠
٢٥	١٣٤
٣٤	١٠٤
٣٥	١٠٤
٣٩	٢٣٣

سورة المرسلات (٧٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	١٢٥ ، ١٢٣
٦	١٢٥ ، ١٢٣
١٥	٢٢٠ ، ٢١٩
١٦	٢٢٠
١٧	٢٢٠
١٨	٢٢٠
١٩	٢٢٠
٢٠	٢٢٠
٢١	٢٢٠
٢٢	٢٢٠
٢٣	٢٢٠
٢٤	٢٢٠
٢٥	٢٢٠
٢٦	٢٢٠
٢٧	٢٢٠
٢٨	٢٢٠
٣٦	١٢٣

سورة النازعات (٧٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣١	١٦٠
٣٢	١٦٠
٣٣	١٦٠
٣٩	٦٦

سورة عبس (٨٠)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٠	١١٦
٣٩	٨٧

سورة التكوير (٨١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٨	٢٤٢

سورة الانفطار (٨٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١٢	٢٣٠
١٣	٢٣٠
١٧	٢٢١
١٨	٢٢١
١٩	٢٢١

سورة المطففين (٨٣)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢٩	٨٧
٣٤	٨٧

سورة الاشواق (٨٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢١	١٤٠

سورة الغاشية (٨٨)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٢	١٦٣
١٦	١٣١

سورة الفجر (٨٩)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	١٨١
١٨	١٣٤

سورة الليل (٩٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٥	٢٣١
٦	٢٣١
٧	٢٣١
٨	٢٣١
٩	٢٣١
١٠	٢٣١

سورة العلق (٩٦)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٣٤
١٦	١٢٧
٣٧	١٢٨ ، ١٢٧

سورة القارعة (١٠١)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٤	١٣٠
٦	٢٣٩
٧	٢٣٩

سورة التكاثر (١٠٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	١١٦
٣	٢٢٢
٤	٢٢٢

سورة الهمزة (١٠٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٩١ ، ٨٨

سورة الماعون (١٠٧)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
٣	١٣٤

سورة الإخلاص (١١٢)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٥٥

سورة الناس (١١٤)

رقم الآية	رقم الصفحة التي وردت فيها
١	٢٠٣
٢	٢٠٣
٣	٢٠٣
٤	٢٠٣
٥	٢٠٣
٦	٢٠٣

ثانياً - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة التي ورد فيها	الحديث الشريف
١٠٨	"إذا قتلتم فأحسنوا القتلة"
١٧١	"أعوذ بكلمات الله التامات"
١٧٦	"أما والله إني لأنقاكم الله وأخشاكم له"
٢٣٠	"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"
١٢٨	"إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان"
١٢٩	"البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس"
٢٣٢	"خلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق"
١٨٧	"فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنته"
٩٨	"لا تقاطعوا ولا تدابرو وكونوا عباد الله إخواناً"
٦٢	"مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جيتان من حديد ... وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع"
٢٣٥	"تحن من ماء"
١٢٨	"وإذا اجتهد فأخذوا فله أجر"

ثالثاً - فهرس الأشعار

(ب)	
الصفحة التي ورد فيها	عجز البيت
٨٠،٧٥	يدي ولسانى والضمير المحجا
١٥٠	مع المماري ومع المصاحب
١٨٠	وليس وراء الله للمرء مذهب
٥٢	إذ رحل الجيران عند الغروب
٥٢	ودمع عيني كفيض الغروب
٥٢	تنقر عن مثل أقاحي الغروب
٢٣١	وأنتني وبياض الصبح يغري بي
(ت)	
٢٣٦	كثير الرماد إذا ما شتا
٦٢	وإن عظمت فيه الخطوب وجلت
٢٣٧	إذا ما بيوت بالملامة حلت
(ث)	
١٨٩	وقبولها وأدباؤها أثلاثا
(ج)	
٢٣٧	في قبة ضربت على ابن الحشرج
٥٢	متى لحج خضر لهن نثيج
(ح)	
٢٣٥	تاه ونفس المرء طماحة
٢٣٥	تشكرها قلت ولا راحة
٢٣٢	بدر الدجا وقضيب البان والراح
(د)	
٢٤٣	ورداً وعضَّت على العناب بالبرد
٢٣٣	حيوان مستحدث من جمام
١٤٢	إلى الماجد القرم الجواد محمد
٢٣٧	جعل الجمال وسره في الضاد

٧٧	وهنَّ أَنِي مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ
١٠٧	سَبِيلُ الْمَكَارِمِ وَالْهَدَى تَعْدِي
٢٤٥	مَوْتٌ فَرِيقُنَّ الْمَوْتِ مِنْهُ يَرْعَدُ
٢٣٩	خَشَاشٌ كَرَأْسٍ الْحَيَاةِ الْمُتَوْقَدُ
(ر)	
١٢٨	إِذَا كَذَبَ الْأَثْمَاتُ الْهَجِيرَا
٢٣١	وَلَا الْبَخْلُ يَبْقَى الْمَالُ وَالْجَدُ مَدِيرٌ
٢٣٤	شَمْسُ الْضَّحْىٰ وَأَبُو إِسْحَاقٍ وَالْفَقْرٌ
٢١٥	إِذَا طَرَدَ الْيَتَمَ عَنِ الْجَزُورِ
٢١٥	إِذَا مَا ضَيَّمَ جِيرَانَ الْمَجِيرِ
٢١٥	إِذَا رَجَفَ الْعَصَاهَةُ مِنَ الدَّبُورِ
٢٤٤	سَحْبٌ وَبَيْضٌ وَجُوْهَرُهُمْ أَقْمَارٌ
٢٤٤	فَخَاءٌ تَصْفَرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
(ز)	
٨٨	وَإِنْ أَعْيَّبْ فَأَنْتَ الْهَامِزُ الْلُّمَزَةُ
٨٨	وَإِنْ تَغْيِبْ كُنْتَ الْهَامِزُ الْلُّمَزَةُ
٨٩	كَمَا قَوَّمْتَ ضِعْنَ الشَّمْوَسِ الْمَهَامِزَ
(س)	
٢٣٩	وَاقْعَدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِيُّ
(ع)	
٢٤٢	أَفْيَتْ كُلَّ تَمِيمَةً لَا تَنْفَعُ
(ف)	
٢٣٩	إِلَى مَوْطَنِ الْأَسْرَارِ قَلْتَ لَهَا: قَفِي
٢٤٥	عَنَا، وَبَدْرُ وَالْصَّدُودُ كَسُوفُهُ
(ق)	
٢٤٢	إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي
٢٣٢	فِي مَقْلَتِيهِ وَوْجَنَتِيهِ وَرِيقَهُ
(ل)	
١٨٨	بِكُلِّ مَغَارٍ الْفَتْلِ شَدَتْ يَبْذَلُ

١٣٨	عِنْكُمْ وَهُلْ أَمْنَنْ اللَّهُ مَا فَعَلَ
١٨٨	بِأَمْرِكَسْ كَتَانَ إِلَى صَمْ جَنْدَلْ
٢٣٠	كَجَلْمُودْ صَخْرَ حَطَهُ السَّيْلَ مِنْ عَلَ
٢٣١	وَأَقْبَحَ الْكُفَّرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ
٢٤٠	فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحُوَّلْ
٢٣٥	حَسِبَكَ اللَّهُ تَعَالَى
١٢٨	كَذَّاكَ إِلَّاثُمْ تَذَهَّبُ بِالْعُقُولِ
(م)	
١٨٠	إِذَا مُخْرَمْ جَاؤْزَنَهُ بَعْدَ مُخْرَمْ
٢٣٠	فَنَبَّهَ لَهَا عَمَراً ثُمَّ نَمْ
١٨٨	لَمْثَنِي عَنْهُمْ مَثَنَهُمْ مَقَامْ
٢٣٣	وَمِنْ لَهِ الْمَاضِيَانِ السَّيْفُ وَالْقَلْمَ
٢٣٣	فَطَبَعَهُ الْأَحْسَنَانِ الْجَوْدُ وَالشَّيْمَ
٢٣٣	يُمْحَى بِكَ الْأَسْوَدَانِ الْظَّلْمُ وَالظُّلْمُ
(ن)	
٢٣١	وَفِي رَجُلِ حَرِ قَيْدِ ذَلِ يَشِينَهُ
(هـ)	
٢١٧	فَهُوَ الَّذِي أَنْبَكَ كَيْفَ نَعِيمَهَا
(يـ)	
٢٣١	عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسْوِي الْأَعْدَادِيَا

رابعاً : فهرس الأعلام

(أ)	
الاسم	رقم الصفحة التي ورد فيها
إبراهيم (عليه السلام)	٢٢٤
إبراهيم أنيس	٦٦، ٦٥
إبراهيم خليل	٣٣
إبراهيم النظام	١٠
إبراهيم اليازجي	٤١
ابن أبي الأصبع المصري	١٩
ابن الأثير	٦٣، ٦٢، ٦١
ابن الأجدابي	٤١
ابن الأعرابي	١٥٠، ٤٩، ٤٧
ابن نعيمية	٧٧، ٧٦
ابن جني	٤٥، ٤٤
ابن حزام الفلكي	٤٥
ابن خالويه	٤٥، ٤٤
ابن خلدون	٣٧، ٣٦
ابن درستويه	٧٢، ٧٠، ٦٩، ٥١، ٤٩، ٤٧
ابن دريد	٤٥، ٢٦
ابن رشيق القيرواني	٣٥
ابن الزمل堪ى	١٩
ابن السكيت	٤١
ابن سيده الأندلسى	٤٤، ٣
ابن عامر	٢٠١
ابن عباس	٢٢٢، ١٠٦، ١٠١
ابن عطية الأندلسى	٧٦، ٧٥
ابن قتيبة	٦٨، ٥٤، ٣٣، ١٠
ابن القيم	٢٠
ابن كثير	٢٠١، ١١٣، ٧٨، ٧٧

٤١	ابن مالك
١١٣	ابن محيسن
٧	ابن المقفع
١١٨، ١١٧، ٩٦، ٣٩	ابن منظور
٤١	الأب رفائيل نخلة اليسوعي
١٧٠	أبو إسحاق
٨٠	أبو بكر الجزائري
٦٣، ٦١	أبو بكر الحسيني
٦٢، ٦١، ٤٤	أبو بكر بن العربي
١٨٨، ٦٢	أبو تمام
٢٠١	أبو جعفر
١٨٨	أبو جهل بن هشام
٩٠	أبو الجواظ
١٢٥، ١٨	أبو حيان الأندلسي
٥٢	أبو ذؤيب الهذلي
٤٤	أبو زيد الأنصاري
٢٠٢، ٢٠٠، ١٧٩، ١٣٥، ٩٠، ١٨	أبو السعود (القاضي)
١٣١	أبو طالب
٨	أبو عبيدة عمر بن المثنى
٩٠	أبو عقيل الأنصاري
٤٤	أبو علي الفارسي
٢٠١	أبو عمرو
١١	أبو الفتح بن جعفر بن الفرات
١٣٧	أبو المعالي عزيزي
٢٣٩	أبو نواس
٩١	أبو الهيثم
٢٤	أحمد بدوي
٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٥، ٤٢، ٣٩	أحمد بن فارس
٧	أحمد سيد عمار
٢٣٦	أحمد شوقي

١٥، ١٤	الأسد آبادي (القاضي عبد الجبار)
١٣٩	إسماعيل بن قسطنطين
٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤١	الأصمي
١٨٠، ١٤٢	الأعشى
٥١، ٤٢	الكيا الهراسي
٢٣٠، ١٨٨	أمروة القيس
٤٠	أولمان

(ب)

رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٣٦، ٣٤، ٣٣، ١٤، ١٣	الباقلاني (أبو بكر)
٢٤٠	البحتري
٢٤	بدوي طبانة
٢٣٠	بشار بن برد
٨	بشر بن المعتمر
١٨	البقاعي
٢٩، ٢٨	بيبر حبرو

(ت)

رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٤١	التاج السبكي
٢٢٧، ٢٢٤، ٢١٨، ٢١٦، ٢١٤	تاج القراء الكرماني
٣٤	تشومسكي
١٩٦، ٦	تمام حسان
٥١	توفيق شاهين

(ث)

رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٦٥	التعالي
٤٩، ٤٧، ٤٢	شعلب (أبو العباس)

(ج)

رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٣٥، ١٠، ٩	الجاحظ

١٤	الجباري (أبو هاشم)
٤٢، ٤٠، ٦	الجرجاني (الشريف)
٣٤، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ٥، ٤	الجرجاني (عبد القاهر)
٢٤٤، ١٩٥، ٣٥	الجوهري
٣٩، ٣	الجويني (إمام الحرمين عبد المالك)
٧٣	(ج)
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٣٦، ٣٥، ١٩	حازم القرطاجني
١٣٧	الحرالي
٩٠	حرقوص بن زهير التميمي
٢٣٩، ٧٧	الخطيبة
٢٠١، ١٩٣	حمزة
١١٣	حميد
(خ)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٧١، ٧٠، ٤٠، ٣٣، ١٣	الخطابي (أبو سليمان محمد)
١٣٩	الخطيب البغدادي
٤١	الخطيب التبريزي
٢٠١، ١٩٣	خلف
٥٢	الخليل
٢٣٦	الخنساء
(ذ)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢١٤	ذو القرنين
(ر)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
١١٠، ١٠٦، ٩٨، ٩٢، ٧٤، ٤٤، ٤١، ٢٦	الراغب الأصفهاني
١٥٣، ١٤٤، ١٢٨، ١٢٦، ١١٦، ١١٤	
١٩٤، ١٧٠، ١٦٥	

٤٥	الرشيد
١٨	رشيد الدين الوطواط
٤٦ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٣٣ ، ١٢	الرمانى (علي بن عيسى)
٢٧	ريفاتير
(ز)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٤٤ ، ٣	الزبيدي
٢٠٧ ، ١٠٤ ، ١٠٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٢٠	الزركشى
٩٧ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٢٦ ، ١٨ ، ١٧ ، ٢	الزمخشري
١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٦٨ ، ١٦١ ، ١٥٥ ، ١١١	
٢٢٢ ، ٢١٥ ، ٢٠١	
٨٨	زياد الأعجم
(س)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
١٨	السكاكى
١٤٩ ، ١٤٨	السهيلى (أبو القاسم)
٥١ ، ٤٠ ، ٧	سيبويه
٢٣ ، ٢٢ ، ٢١	سيد قطب
٢٤٢	سيف الدولة
١٢ ، ١١	السيرافى (أبو سعيد)
٨٠ ، ٧٩ ، ٥٢ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٢٠	السيوطى (جلال الدين)
(ش)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
١٥٠ ، ١٣٩	الشافعى
٢٨	شبلنر
٨٩	الشماخ
٢٣٧	الشنفرى
١٧٢ ، ١٢٩ ، ١١٥	الشوكانى

(ص)	
الاسم	رقم الصفحة التي ورد فيها
صبحي الصالح	٦٥، ٦٤، ٥١، ٢٣
صخر	٢٣٦
صلاح الخالدي	١٩٠، ١٨٩، ٨٢، ٥٦
الصلاح الصفدي	٢٣٥
(ط)	
الاسم	رقم الصفحة التي ورد فيها
الطاهر بن عاشور	٢٢٣، ٢٢١، ٢١١، ٢٠١، ١٩٧، ١٣٥، ١٢٥، ٩٩
الطبرى (ابن جرير)	٦٩
طرفة بن العبد	٢٣٩
(ع)	
الاسم	رقم الصفحة التي ورد فيها
عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)	١٦٣، ٨١، ٢٣
عاصم	٢٠١، ١٩٣
عبد الرحمن بن عوف	٩٠
عبد الفتاح لاشين	٢٤
عبد الكريم الخطيب	٢٢٠، ٢١٦، ٢١٥
عبد الله أبو السعود بدر	٥٤
عبد الله بن أمية	٢٢٦
عبد الواحد الشيخ	٥٢، ٥١
عدنان قاسم	٢٩
عز الدين بن جماعة	٤٤
العسكري (أبو هلال)	٩٦، ٨٠، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٤٨، ٤٧، ٤١، ١٣، ١٣١، ١٢٩، ١٢٤، ١١٨، ١١٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٨٠، ١٧٦، ١٧١، ١٦٧، ١٣٢
عفان	٢٠٤
علي بن أبي طالب	٢٢٢، ١٨٨، ١٨٧
علي بن أحمد بن الصباح	٤٥
علي الجارم	٨٢
علي اليمني دردير	١٥٠

٢١١	عمرو الحضرمي
٢٣١	عترة بن شداد
٢٠٢، ١٩١، ١٤٦، ١٤٤، ١٤٣	عيسى (عليه السلام)
(ف)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢٢٧، ٢١٠، ٢٠٧، ٢٤	فاضل السامرائي
٤٤، ٤٣، ٤١، ٤٠، ١٨	فخر الدين الرازي
٩٧، ٨٩، ٨٨، ٨	الفراء
٣٤، ٢٩	فرديناند دي سوسيير
٢٣٨، ٢١٢، ١٧٧، ١٥٤	فرعون
١٧٦، ١٥٨، ٨١، ٢٠، ١٦، ٨، ٥	فضل عباس
١٢٣، ١١٣، ٩٦، ٧٩، ٤٦، ٤٤، ٤٥، ٢٠	الفيلوز آبادي
١٩٧، ١٨٤، ١٨١	
(ق)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٤٣، ٤١	القاسم بن سلام
٤١	قدامة بن جعفر
٧٦	القرطبي (أبو عبد الله)
٤٥، ٤٤	قطرب
٢٤٠	قيس بن ساعدة
(ك)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢٠١، ١٩٣، ٨٩	الكسائي
٢١٥	كليب
١١	الكندي
(ل)	
٨٩	اللحياني
(م)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢١٤	ماجوج

١٠٥، ٤٤، ١١، ١٠	المبرد
١١	متى بن موسى
٢٤٥، ٢٤٢، ٢٣١، ١٨٨	المتنبي
١٠٩، ١٠٨، ٩٨، ٩٣، ٩٠، ٨٩، ٦٧، ٦٢ ، ١٤٣، ١٤٢، ١٣٩، ١٣١، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٢ ، ١٧٩، ١٧٦، ١٦١، ١٦٠، ١٥٧، ١٥٢، ١٤٨ ٢٣٥، ٢٣٠، ٢٢٦، ٢١١، ٢٠٤، ١٨٧	محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
٢٣٤	محمد بن وهيب
١٠٦	محمد بن يزيد
١٩٢	محمد جمال القاسمي
١٣	محمد زغلول سلام
١٩٥، ٨٨، ٥٧	محمد شعیان علوان
٢٣	محمد عبد الخالق عضيمة
٦٣	محمد عبد الرحمن الشايع
٢٤	محمد عبد الله دراز
٨٨، ٧١	محمد علوان علي
٥	محمد مندور
١٨٧	محمود السيد شيخون
٢١٥	المرتضى
٢١	مصطفى الرافعي
٢٣٤	المعتصم
٢٣٣	المعرى
٢١٥	مهلهل بن ربيعة
٢١٢، ١٥٤	موسى (عليه السلام)
(ن)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢٣١، ١٣٨	النابغة الجعدي
١٨٠	النابغة الذبياني
٢٠١	نافع
٤١	نجيب اسكندر
٢٢٦	النصر بن الحارث

٢٢	نعميم الحمصي
٢١٩ ، ٢١٨ ، ١٥٧	نوح عليه السلام
٤٩ ، ٤٧	نور الدين الجزائري
٢٢٦	نوقل بن خويلد
٩٤	النيسابوري
(هـ)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢٣٨	هامان
١٨٧	هشام بن المغيرة
٤٤ ، ٤٦ ، ٤١	الهمذاني
(و)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
١١	الواسطي (عبد الله بن محمد)
٢٤٣	الواواء الدمشقي
١٧٥	وحشى
٢٢٦	الوليد بن المغيرة
١٩١	وهبة الزجلي
(ي)	
رقم الصفحة التي ورد فيها	الاسم
٢١٤	يأجوج
١٠٧	يزيد بن الحذاق العبدى
٢٠١	يعقوب
١٧٤ ، ١٥٦ ، ١٣١	يوسف (عليه السلام)
٢٣٦ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤٧	يونس (عليه السلام)

خامساً - فهرس الكتب

رقم الصفحة التي ورد فيها	اسم الكتاب
(أ)	
٦٨	أدب الكاتب
١٨	أسرار البلاغة
٢١٦	أسرار التكرار في القرآن
١٨٧	أسرار التكرار في لغة القرآن
٤٣	الأسماء المختلفة للشيء الواحد
٨١ ، ٢٣	الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق
٢١٦	الإعجاز في دراسات السابقين
٣٣ ، ١٣	إعجاز القرآن
١٩٠ ، ١٨٩ ، ٨٢	إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني
١١	إعجاز القرآن في نظمه
٢٠	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية
٤١	الألفاظ
٤٦ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١	الألفاظ المترادفة المتقاببة المعاني
٤١	الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة
٤٦ ، ٤١	الألفاظ الكتابية
٢١٥	أمالى المرتضى
٨٠	أيسير التفاسير لكلام العلي الكبير
(ب)	
٢٠٧ ، ١٦٦ ، ١٤٣ ، ١٨	البحر المحيط
١٠٤ ، ٧٨ ، ٥٦ ، ٥٥	البرهان في علوم القرآن
١٩٧ ، ١٨٤ ، ٧٩	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز
١١	البلاغة
٢٤	بلاغة القرآن
٢٣	بلاغة الكلمة في التعبير القرآني
٥١	البلاغة وقضايا المشترك اللغطي

٢٤	البيان العربي
١٩٦	البيان في روائع القرآن
(ت)	
٤٣	تاج العروس من جواهر القاموس
١٠	تأويل مشكل القرآن
٤٥	ترقيق الأسل لتصفيق العسل
٦٣	الترائق النافع بايضاح وتمكيل مسائل جمع الجوامع
٢٣	التعبير القرآني
٨١	التفسير البياني للقرآن الكريم
٤١	التلخيص في معرفة أسماء الأشياء
٤١	تهذيب الألفاظ
(ج)	
٤٤	جمع الجوامع
٢٦	جمهرة اللغة
٤١	جواهر الألفاظ
(ح)	
١٨	حدائق السحر في دقائق الشعر
(د)	
٢٣	دراسات لأسلوب القرآن الكريم
٣٣،٢١،١٨،١٦،١٥	دلائل الإعجاز
١٤٩	الدليل اللغوي العام
(ر)	
٤٥	الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألف
(ص)	
١٣	الصناعتين
(غ)	
٤٣،٤١	الغريب المصنف

(ت)	
٢٠٧	فتح القدير
٤٧	فروق اللغات
٤٧	الفروق في اللغة
٧٢، ٧١ ، ٤٧	الفروق اللغوية
٦٣	الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم
٦٥	فقه اللغة
(ق)	
٤١	قاموس المترادفات والمتجازسات
٢	القاموس المحيط
(ك)	
٧٤ ، ١٨ ، ١٧ ، ٦	الكاف
٤١	كافية المتحفظ
(ل)	
٩١ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٣٩ ، ٢٧٦٢ ، ١١٢، ١١٠، ١٠٩، ١٠٦، ٩٧، ٩٣ ، ١٥٥، ١٥٢، ١٢٣، ١١٨، ١١٥، ١١٤ ، ١٧١، ١٧٠، ١٦٦، ١٦٤، ١٦١، ١٥٨ ٢٠٤ ، ١٨٥ ، ١٨٣ ، ١٨٠	لسان العرب
٢٣	لمسات بيانية في نصوص التنزيل
(م)	
٤٣ ، ٤١	ما اختلفت ألفاظه واتفاق معانيه
٦٢	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
٨	مجاز القرآن
٤١	مجمع البلاغة
١٩٢	محاسن التأويل
٣٩	مختر الصاح
٥٢ ، ٤٦ ، ٤٤	المزهر في علوم اللغة وأنواعها
٥١	المشترك اللغوي نظرياً وتطبيقاً

٧٩ ، ٢٠	معترك القرآن في إعجاز القرآن
٧٤	معجم مفردات ألفاظ القرآن
٧٤ ، ١٨ ، ١٧ ، ٦	المعجم الوسيط
١٨	مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)
١٨	مفتاح العلوم
١٩	منهاج البلغاء وسراج الأدباء
(ن)	
٢٤	النبأ العظيم : نظرات جديدة في القرآن
٤١	نجعة الرائد وشرعية الوارد في المترافق والمتوارد
١٨	نظم الدرر
١٠ ، ٩	نظم القرآن
١٢	النكت في إعجاز القرآن
١٩ ، ١٨	نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز

سادساً - فهرس المصادر والمراجع

أولاً - المصادر:

- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائِر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٥ م.
- ابن تيمية، تقى الدين: كتاب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢ م.
- ابن الزملکاني: التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، تحقيق أحمد مطلاوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٦٤ م.
- ابن سیده الأندلسی، علي بن إسماعيل: المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، تحقيق علي محمد الجاوی، دار الفكر، ١٩٧٤ م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: أدب الكاتب، شرح علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: تأویل مشکل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، الطبعة الثانية، ١٩٧٣ م.
- ابن القيم، شمس الدين: الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، الإمام الحافظ: تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
- ابن المقفع، عبد الله : الأدب الصغير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤ م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى: مجاز القرآن ، تحقيق محمد فؤاد، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٥٤م.
- الأسد آبادي، القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٦/ إعجاز القرآن، تحقيق أمين الخلوي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة.
- الأصفهاني، الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- الأندلسي، أبو حيان: تفسير البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الباقياني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤م.
- البصري، ابن دريد الأزدي: جمهرة اللغة، مطبعة مجلس دائرة المعارف- حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ.
- البغدادي، الخطيب: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- التوحيدي، أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد: كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، تحقيق محمد خفاجي وعبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
- الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- الجوزية، ابن قيم: جامع السيرة، جمعه يسري السيد محمد، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، م٢٠٠٢.
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩ م.
- الحلى، صفي الدين: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق نسيب نشاوى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣ م.
- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم: بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر.
- الرمانى، علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن - (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
- الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الزركشى، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- الزمخشري، جار الله: أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩ م.
- الزمخشري، جار الله: الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.
- السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- السيوطي جلال الدين: معرك الأقران في إعجاز القرآن، تصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، راجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧ م.
- الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م.
- العسكري، أبو هلال: الصناعتين، تحقيق البجاوى وأبى الفضل، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى.
- العسكري، أبو هلال : الفروق اللغوية، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- العلوى ، يحيى بن حمزة: الطراز، راجعه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
- فالرس ، أحمد بن: مجلل اللغة، تحقيق زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
- فالرس، أحمد بن: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
- الفراء، أبو زكريا: معانى القرآن، تحقيق محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الفيروز آبادى، مجد الدين: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- الفيروز آبادى، مجد الدين: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت.
- القاضي أبو السعود، محمد بن محمد: تفسير أبي السعود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
- القرطاجنى، حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦ م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد: *الجامع لأحكام القرآن*، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- الفزويي، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- القبرواني، ابن رشيق: *العمدة في محسن الشعر وآدابه*، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الكرماني، تاج القراء محمود: *أسرار التكرار في القرآن* ، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: *البلاغة*، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.
- المرتضى، الشريف: *أمالى المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.
- المصري، ابن منظور: *لسان العرب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.

ثانياً - المراجع:

- ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتتوير ، دار سخنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م.
- أبو حميدة ، محمد صلاح: الخطاب الشعري عند محمود درويش - دراسة أسلوبية ، مطبعة المقاد ، غزة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م.
- أبو موسى ، محمد : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، دار التضامن ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩م.
- أنيس ، إبراهيم: دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م.
- أنيس ، إبراهيم: في اللهجات العربية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢م.
- أولمان ، ستيفن: دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشر ، المطبعة العثمانية - مكتبة الشباب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م.
- بالي ، شارل: علم الأسلوب وعلم اللغة العام ، من كتاب (اتجاهات البحث الأسلوبي) ، اختيار وترجمة شكري عياد ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م.
- برند ، شيلر: علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمة محمود جاد الرب ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.
- بيبر ، ج فهو: الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت.
- الجزائري ، أبو بكر جابر: أيسير التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة لينا ، دمنهور ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م.
- حسان ، تمام: البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٠م.
- حسان ، تمام: اللغة العربية معناها وبناؤها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م.

- حسين، عبد القادر: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار قطرى بن الفجاءة، قطر، الطبعة الثانية.
- الحمصي، نعيم: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- الخطيب، عبد الكريم: الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى، ١٩٧٤ م.
- خليل، إبراهيم : الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- الدبل، محمد بن سعد: النظم القرآني في سورة الرعد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ م.
- دردير، علي اليمني: أسرار الترافق في القرآن الكريم، دار ابن حنظل، الفيوم، ١٩٨٥ م.
- الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار المنار، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- الزحيلي، وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر ، بيروت، دار الفكر ، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨ م.
- زغلول، حمزة الدمرداش: الألوان البدوية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.
- السامرائي، فاضل صالح: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م.
- السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م.

- سلطاني، محمد علي: مع البلاغة العربية في تاريخها ، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م.
- السيد، شفيع: البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي.
- الشايع، محمد: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- شيخ أمين، بكري: التعبير الفني في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
- الشيخ، عبد الواحد حسن: البلاغة وقضايا المشترك اللغوي، مؤسسة شباب الجامعه، الاسكندرية، ١٩٨٦ م.
- شيخون، محمود السيد: أسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣ م.
- الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الحادية والعشرون، ١٩٩٧ م.
- ضيف، شوقي: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ١٩٥٦ م.
- طبل، حسن: علم المعاني، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
- عباس، فضل: إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
- عباس، فضل (بالاشتراك) : إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١ م.
- عباس، فضل: البلاغة فنونها وأفاناتها - علم المعاني، دار الفرقان، عمان، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩ م.

- عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- عبد الرزاق، حسن إسماعيل: النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
- عبد الرحمن، عائشة: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف بمصر.
- عبد الرحمن، عائشة: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٢ م.
- عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
- عتيق، عبد العزيز: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥ م.
- عرفة، عبد العزيز: من بلاغة النظم العربي - المعاني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١ م.
- علوان، محمد شعبان (بالاشتراك): من بلاغة القرآن، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨ م.
- عمار، أحمد سيد: نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد القديم، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م.
- العمري، أحمد: المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠ م.
- عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠ م.
- فياض، سليمان: الدليل اللغوي العام، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م.
- الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المطبعة الأميرية الكبرى - دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ.
- قاسم، عدنان: الاتجاه الأسلوبي البنوي في نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

- القاسمي، محمد جمال الدين: *تفسير القاسمي المسمى محسن التأويل*، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، علّق عليه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي.
- قطب، سيد: *التصوير الفني في القرآن*، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة.
- الكاندھلوی، محمد يوسف: *حياة الصحابة*، تحقيق محمد سيد، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الكواز، محمد كريم: *الأسلوب في الإعجاز البلاغي لقرآن الكريم*، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- لاشين، عبد الفتاح: *البيان في ضوء أساليب القرآن*، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
- لعيبي، حاكم مالك: *الترادف في اللغة*، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
- المراغي، أحمد مصطفى: *علوم البلاغة*، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م.
- مصطفى، إبراهيم (بالاشتراك): *المعجم الوسيط*، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
- مطلوب، أحمد: *عبد القاهر الجرجاني - بلاغته ونقده*، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى.
- مندور، محمد: *في الميزان الجديد*، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- مولينيه، جورج: *الأسلوبية*، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- النحوي، عدنان علي رضا: *الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملزם بالإسلام*، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الهاشمي، السيد أحمد: *جواهر البلاغة*، علّق عليه محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

ثالثاً - الدوريات والرسائل الجامعية:

- أبو زيد، نصر: مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول، العدد الخاص بالأسلوبية، ١٩٨٤ م.
- بدر، عبد الله أبو السعود: معرفة تأويل المتشابه، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس، العدد الأول، آب ١٩٩١ م.
- درويش، أحمد : الأسلوب والأسلوبية- مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، فصول، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر- ديسمبر ، ١٩٨٤ م.
- عتيق، عمر إبراهيم: دراسة أسلوبية في شعر الأخطل (رسالة ماجستير). إشراف خليل عودة، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠١-٢٠٠٠ م.
- علوان ، محمد : الإعجاز البياني في استعمال القرآن الكريم للمترادفات والمتضادات، نسخة مستلة من مجلة كلية الآداب ببنها، العدد السابع، يناير - ٢٠٠١ م.
- عنبر، عبد الله نايف: نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث (رسالة دكتوراه). إشراف نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، ١٩٩١ م.
- عودة ، خليل: المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي، مجلة النجاح للأبحاث، المجلد الثاني، العدد الثامن، ١٩٩٤ م.
- المجالي، طارق عبد القادر: دراسة أسلوبية لشعر نزار قباني (رسالة دكتوراه). إشراف محمود السمرة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٠ م.

سابعاً : فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ت	المقدمة
	التمهيد
١	أولاً - مفهوم النظم القرآني
٢	- النظم لغة
٤	- النظم اصطلاحاً
٧	- النظم قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني
١٧	- أثر نظم الجرجاني في الباحثين
٢٠	- نظرية النظم في دراسات الباحثين المعاصرین
٢٥	ثانياً - الأسلوب والأسلوبية
٢٦	- الأسلوب والأسلوبية (المفهوم والدلالة)
٣٢	- الظاهرة الأسلوبية في التراث العربي
٣٨	الفصل الأول - مفهوم الترادف والتشابه
٣٩	- الترادف لغة
٤٠	- الترادف اصطلاحاً
٤٤	- اختلاف آراء العلماء في الترادف
٥٠	- الترادف والمشترك والتضاد
٥٣	- مفهوم التشابة
٥٣	- المحكم والمشابه
٥٥	- التعريف اصطلاحاً بالمحكم والمشابه
٥٦	- تقسيم المشابه
٥٧	- المقصود بالمشابهات في النظم القرآني

الصفحة	الموضوع
٥٩	الفصل الثاني - الترافق في النظم القرآني بين المؤيدين والمعارضين
٦٠	- الترافق في النظم القرآني
٦١	- المؤيدون القائلون بالترافق في النظم القرآني
٦٢	- أبو بكر بن العربي
٦٢	- ضياء الدين بن الأثير
٦٣	- أبو بكر الحسيني
٦٤	- الدكتور صبحي الصالح
٦٥	- الدكتور إبراهيم أنيس
٦٧	- المعارضون المانعون للترافق في النظم القرآني
٦٨	- ابن قتيبة
٦٩	- ابن جرير الطبرى
٦٩	- ابن درستويه
٧٠	- أبو سليمان الخطابي
٧١	- أبو هلال العسكري
٧٣	- إمام الحرمين عبد الملك الجويني
٧٤	- الراغب الأصفهانى
٧٤	- أبو القاسم جار الله الزمخشري
٧٥	- ابن عطية الأندلسى
٧٦	- الإمام أبو عبد الله القرطبي
٧٦	- الإمام نقى الدين بن تيمية
٧٧	- ابن كثير
٧٨	- الإمام بدر الدين الزركشى
٧٩	- مجد الدين الفيروز أبادى
٧٩	- جلال الدين السيوطي
٨٠	- أبو البكر الجزائري
٨١	- الدكتورة عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ "
٨١	- الدكتور فضل عباس
٨٢	- الدكتور صلاح الخالدي

الصفحة	الموضوع
٨٤	الفصل الثالث - الترادف في النظم القرآني
٨٥	تأكيد المترادفات
٨٦	- تبسم ضاحكاً
٨٨	- همزة لمرة
٩١	- فجاجا سبلًا
٩٣	- كل أجمعون
٩٥	- العثو الفساد
٩٧	- ولوا مدربين
١٠٠	- ضيقا حرجا
١٠٣	عطف المترادفات
١٠٦	- الشرعة والمنهاج
١٠٩	- العوج والأمت
١١٢	- الظلم والهضم
١١٤	- اللهو واللعب
١١٧	- السر والتجوى
١٢٣	- العذر والنذر
١٢٦	- الخطيبة والإثم
١٢٩	- البث والحزن
١٣٢	- الفقير والمسكين
١٣٦	ترادف الأسماء
١٣٧	- الكتاب القرآن الفرقان
١٤٢	- أحمد محمد
١٤٤	- المسيح عيسى ابن مريم
١٤٧	- يونس صاحب الحوت ذا النون
١٥٢	- البحر اليم
١٥٥	- السنة العام
١٥٨	- الدواب الأنعام

الصفحة	الموضوع
١٦١	- الخضوع الخشوع
١٦٤	- المأوى المثوى
١٦٧	- العهد الميثاق
١٦٩	ترادف الأفعال
١٧٠	- أكملت وأتممت
١٧٣	- يئس وقط
١٧٥	- يخاف ويخشى
١٧٧	- وهن وضعف واستكان
١٨٠	- حلف وأقسم
١٨٣	- خلق وجعل
١٨٦	الفصل الرابع - التشابه في النظم القرآني
١٨٧	- التكرار
١٩٠	- تكرار الكلمات
٢٠٤	- التشابه والاختلاف
٢١٥	- تكرار المقاطع
٢٢٤	- تشابه الآيات
٢٢٨	- تشابه الأساليب
٢٤٦	الخاتمة
٢٤٨	المصادر
٢٤٩	أولا - فهرس الآيات القرآنية
٢٨٣	ثانيا - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٢٨٤	ثالثا - فهرس الأشعار
٢٨٧	رابعا - فهرس الأعلام
٢٩٦	خامسا - فهرس الكتب
٣٠٠	سادسا - فهرس المصادر والمراجع
٣١١	سابعا - فهرس الموضوعات

Abstract

Abstract

The holy Quran is Allah great book and tight rope. It is a book of guidance and miraculousness that implies all the elements of miraculousness in its all different aspects, and includes the methods of counseling and convince. This made it a light and proof for people.

This study investigates the rhetoric of Quranic expressing, the beauty of depiction, and the supremacy of rhythm, which I called “The Synonymousness And Similitude In the Quranic Rhythm”. Stylistic study”

I adopted in my research an integrated approach getting use of the historical and analytic literatcy approaches. With focus on the stylistic approaches as the Quranic verses were the principal key to reach the truth.

I divided the research into a preface, a prologue, four chapters and a conclusion. In the preface I tackled the importance of the topic and reasons of choice and the approach that I employed.

The first section of the prologue revolves around the concept of the Quranic rhythm in terms of language and expression.

Whereas the second section revolves around the meaning of style and stylism and the roots of the stylistic phenomenon in the Arabic heritage. The first chapter has been devoted to study the concepts of synonym and similitude.

The second chapter I manifested the points of view of those who are prosynonymness and those who oppose it in the Quranic rhythm. The third chapter is a practical study on the synonymness on the Quranic rhythm where I envistaged the confirmation of synonyms, the genitive of synonyms, the synonym in nouns, verbs. This was supported by a large group of Quranic verses.

In the fourth chapter I tackled the similitude in the Quranic rhythm where I invistigated the types of redundancy, the redundancy of words, (resemblance and differences) the redundancy of syllables, the similitude of verses and similitude of styles.

The conclusion included the main findings I have reached. An index was made to refer to the Quranic verses, the prophetic sayings, the poetic verses, people names and the books mentioned in the research. The researches used have been alphabetically arranged in an independent index. The last arrangement was made for the subject tackled as they appear in the research.

The outstanding findings of the study: -

- 1- The word "rhythm" was mentioned and used by grammarians and rhetoricians before imam Abed Al Qaher Al Jerjani who transferred it to a major rhetorical theory.
- 2- The rhythm theory by Al Jerjani was used as a compass by researchers, rhetoricians in their studies, researches and implementation to reach the secrets of the Quran rhetoric and indications of its miraculousness.
- 3- The expression "stylistic" bears contradictory definitions in the Arabic literary whereas the word "style" has found a fine domain in the studies of rhetoric miraculousness as it was used by scholars who were interested in proving the Quranic miraculousness when comparing the Quranic style and other styles used by the Arabs.
- 4- "The synonymess" derived from the course of language and the course of use. This matter does not contradict with the mind or use in the contrary it was considered by adopters a source of enrichment for the language that a speaker can use and select the most suitable for the place and occasion and also the poet can choose to fulfil his rhythm and narrative.
- 5- Scholars stand in two opposing teams concerning synonymousness in the language of Quran, the first team support the idea but the other oppose it.
- 6- There is no synonymousness absolutely in the holy Quran but when some interpreters resort to synonyms, their intention is to clarify the meaning only.
- 7- The great majority of interpreters and explainers support the idea of redundancy in the Quranic verses and consider it an intentional wise redundancy and a supreme rhetoric.
- 8- In the holy Quran, some verses resemble other verses and the difference is very little in a word or a letter. When contemplating this resemblance we find out that this resemblance is intentional and built upon the highest levels of rhetoric and miraculousness.
- 9- Rhetoricians may explain by the same evidence in various different sites for several techniques. This refers to richness of the Arabic language and variety of its expressive ways.
- 10- The researcher calls for the care of the holy Quran and tendency to study it to grasp its facts and understand its meanings.